مجلة
إسلامية
جامعة

التوحيد

AL-TAWHĪD

العدد الخامس – السنة الاولى ١٤٠٣ هجرية

Shiabooks.net

٣ ص ١
١٠ /٩

اسلامية
فكرية
جامعة

العدد الخامس ـ السنة الأولى ـ ذي القعدة، ذي الحجة ـ ١٤٠٣ هـ.ق

تُعنىٰ بالفكر الإسلامي المعمّق،
والكلمة الهادفة الصادقة،
وكل مايهمّ الأمة من رؤىً وسلوك بنّاء.

وتفتح صدرها:
لكل المفكرين الإسلاميين،
خدمةً لقضية التوحيد الكبرى،
وتركيزاً لخصائص الأمة الاسلامية الواحدة،
ونشراً لأضواء الثورة الاسلامية،
في كل أرجاء الوجود.

بعيداً عن:
كل تعصب ذميم،
وتفريق بين المسلمين لاتحمد عقباه،
ولغو من القول لاطائل فيه.

ثمن النسخة في

ايران	١٠٠ ريال
لبنان	٣٠٠ قرش
سوريا	٣٠٠ قرش
الاردن	٣٠٠ فلس
الكويت	٣٠٠ قرش
عمان	٤٠٠ بيسة
البحرين	٤٠٠ فلس
الامارات	٦ دراهم
السعودية	٦ ريالات
قطر	٦ ريالات
مصر	٣٠٠ مليم
ليبيا	٤٠٠ درهم
السودان	٣٠٠ مليم
الجزائر	٤ دنانير
المغرب	٤ دراهم

• وفي باقي دول آسيا وافريقيا و في اميركا و استراليا و اوربا دولاران أو مايعادلها.

تسدد قيمة الاشتراك في بانك ملي على رقم الحساب التالي: ٩٠٦٩٨ العنوان: ايران ـ طهران ـ بانك ملي شعب سعدي
ويرجى اعلام المجلة بذلك.

التوحيد

اسلامية ـ فكرية ـ جامعة

تصدر كل شهر بن مرة

العدد خامس

محتويات العدد

كلمة التحرير

الحج بين الفرد والأمة ٥

حول القرآن

تفسير القرآن الكريم ١٠

حديث

الروايات المشتركة (٢) ..... الشيخ محمود قانصوه ١٧

فقه

حرمة التكسب بالواجبات (١) ..... مرجع الأمة الامام الخميني ٢٩

اصول الفقه

الإجتهاد في مدرسة أهل البيت(ع) ..... الشيخ محمدعلي التسخيري ٤٢

فلسفة

المعرفة بلغة الفطرة(٥) ..... آية الله الشهيد بهشتي ٥٧

عالم الكتب

الأخلاق بين القرآن والمذاهب الفلسفية ..... الشيخ مسيح مهاجري ٦٥

بصدرها:

قسم العلاقات الدولية في منظمة الاعلام الاسلامي

ايران ـ طهران ـ خيابان طالقاني
خيابان ايرانشهر شمالي ـ كوچه هما
پلاك ٢ هاتف: ٠٠٠٠٠٠

مفاهيم

الموقف الانساني ..... آية الله الجوادي الآملي ٧٩
نظافة البيئة ..... الدكتور علي التميمي ٨٤

لغة

المصطلحات الاسلامية (الأمة) ..... الدكتور الحسيني ٨٨

تاريخ

الاسلام في الاتحاد السوفيتي(١) ..... الدكتورة س. اكينر ٩٨

شعر

العشق المكتوب بالقلم الإلهي ..... ابراهيم رفاعة ١١٠

سياسة

الكارثة الامريكية ..... تعليق محمدتقي ابراهيم ١١٢
الشيوعيون في دور جديد ..... الدكتور محمد الصافي ١٢٩
وعاظ السلاطين في بغداد ١٤٢

أدب

خصائص القصة الاسلامية (٣) ..... محسن مخملباف ١٤٥

ملف المؤتمر الأول للفكر الاسلامي

حول خصائص الأمة الاسلامية ..... الاستاذ محمد النخعي ـ ماليزيا ١٥٤
خصائص الأمة الاسلامية ..... الشيخ محمد نوري ـ السنغال ١٥٧
شؤون اسلامية **١٦٢**
بريد التوحيد **١٦٦**
الصفحة الأخيرة **١٦٨**

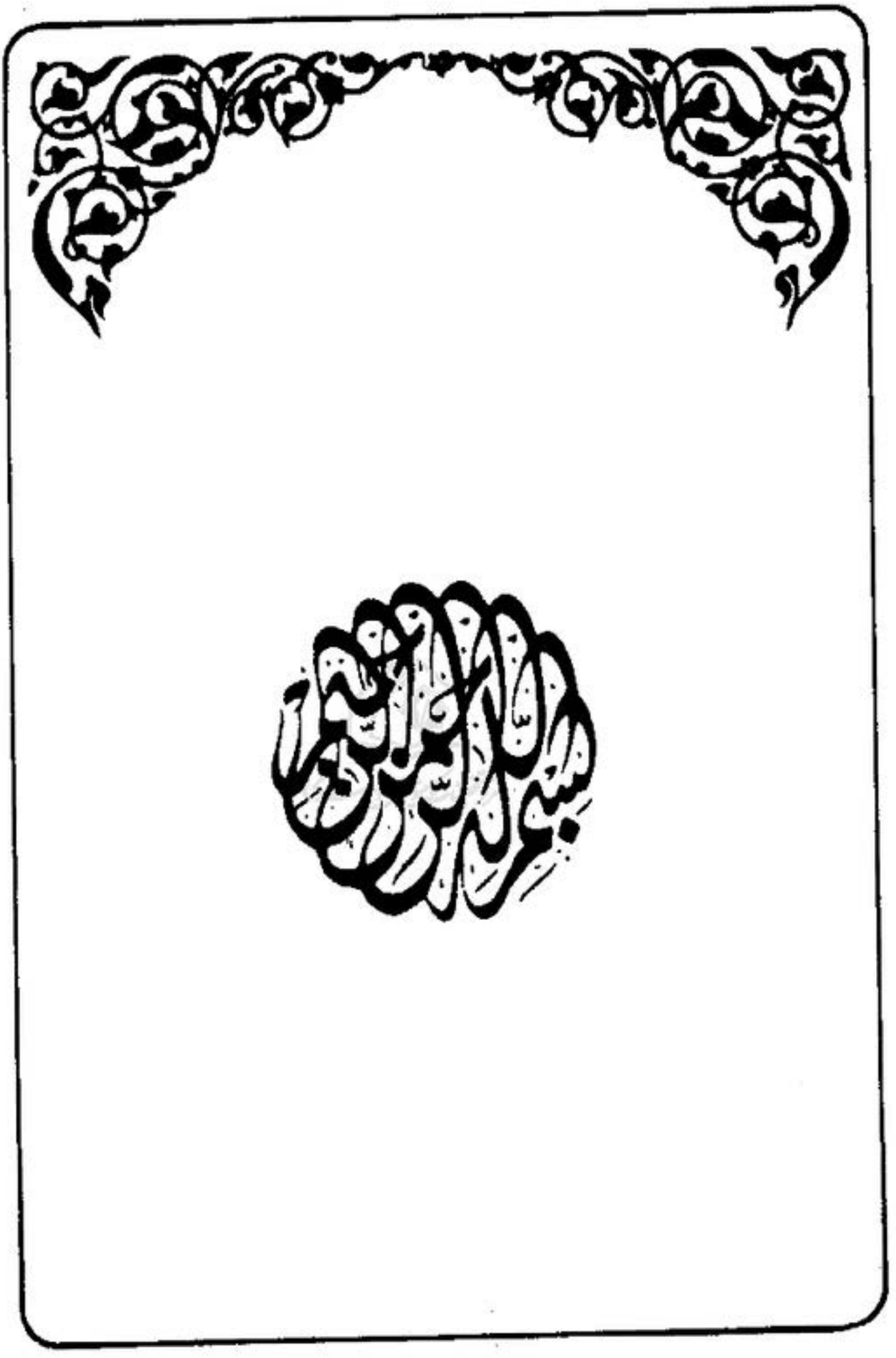

كلمة التحرير

بنى الفرد والأمة

من طبيعة الانسان:

هكذا هي التركيبة الإنسانية... تركيبة متناسقة منسجمة، لا تقبل إنفصاماً إلا لفترة محدودة، ثم تتجه للتواؤم اتجاهاً يختلف من حالةٍ لأخرى، وإنْ كانت عوامل الإتجاه الايجابي أقوى من عوامل الإتجاه السلبي بشكل طبيعي... إلا أنه قد يتحكم الإنحراف فيؤثر في جعل هذه العملية تسير باتجاه معاكس للفطرة الإنسانية.

هذه هي الحقيقة التي لامراء فيها، فلنعطها شيئاً من التوضيح.

إنَّ الانسان ــ كما هو واضح لكل متأمل ــ تركيبة من طاقات فطرية لها مساحة واسعة في الوجود الانساني تشمل: الغرائز الأصلية، والقناعات الوجدانية، والميول الأصيلة على الصعيد العملي، كما تشمل القدرات الخارقة على التفكير والتأمل والتدبر وغير ذلك.

إلا اننا قد نستطيع حصر الأبعاد الإنسانية بالأمور التالية:

أولاً: البعد الإعتقادي، حيث موقع القناعات النفسية.

ثانياً: البعد العاطفي، حيث موطن الميول الأصيلة وشبهها.

ثالثاً: البعد السلوكي، و يكاد يشكل بناءً علوياً في التركيبة الانسانية.

واذا تمَّ هذا، عُدنا إلى الطبيعة الانسانية لنستقرئها، وحينئذ فسنجدها تعلن بكل وضوح ميلها الشديد للإنسجام بين هذه الأبعاد وذلك لتحقيق التوازن المطلوب في الشخصية الانسانية.

إنَّ الإنسان المتوازن هو من: رست قناعاته العقائدية على أرضية قوية متينة، وصيغت عواطفه ومشاعره بالنحو المنسجم مع تلك القناعات، وراحت سلوكاته المتنوعة تتناغم مع

قناعاته وعواطفه بل وتنطلق منها بكل دقة واستنتاج.

خطأ بعض المبادىء الوضعية:

ومن الأخطاء الفضيعة التي منيت بها بعض المبادىء الوضعية انها تجاهلت هذه الحقيقة الناصعة، فراحت تنظم مساحة خاصة من مساحات الوجود الانساني، وهي مساحة السلوك دون أن تأبه بالأسس الداخلية له، وبتعبير آخر راحت تنظم المسألة الإجتماعية مهملة علاقتها بالمسألة الواقعية، أو فلنعبر بالمسألة العقائدية والعاطفية، وكان من نتائج ذلك هذا التمزق المهول الذي أصاب أتباعها، فعاشوا قمة الصراع وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

ولكن المظاهر سرعان ما تطفو، فاذا بهم والقلق يمزق وجودهم و يصرخ في وجه حضارتهم المزعومة. وعلى أي حال؛

فالاسلام ــ وهوالدين الواقعي النظرة ــ آمن بهذه الحقيقة أيما إيمان وراح يبدأ بالنفس ليغيرها عقائدياً، ثم ليصوغها عاطفياً ثم ليخطط لها السلوك الأمثل المنسجم مع ذلك التغيير.

فكانت نية المرء خيراً من عمله، وكان لكل امرىء مانوى. وقد رو يت عنه(ص) روايات متظافرة تؤكد على المضمون التالي؛ **(لاقول إلّا بعمل ونية، ولا قول وعمل إلّا بنية)**[1].

وما النيّة إلّا تعمق في الذات، وملاحظة للأسس العقائدية التي صاغت الميل العاطفي، فتحول الى شوق أكيد حرك بدوره الجوارح الانسانية نحو هذا السلوك أو ذاك .

التأثير المتبادل بين الأبعاد:

وانطلاقاً من تلك الحقيقة نكاد ندرك العلاقة المتبادلة التأثير بين (العقيدة والعاطفة والعمل). فان كلا من هذه العناصر يؤثر أثره الإيجابي والسلبي في الآخر و يتأثر به في نفس الوقت.

فالعقيدة الإلهية الموحدة تقود السلوك باتجاه واحد مطمئن:

«ضَربَ اللّهُ مثلاً رجلاً فيه شركاءُ متشاكِسونَ ورجلاً سَلَماً لرجلٍ هل يستويانِ مَثَلاً» (الزمر: ٢٩).

وتعمل على إثارة العاطفة وتأجيجها بالإتجاه الموحد:

«كِتاباً متشابِهاً مَثانيَ تَقشعِرُّ منه جُلودُ الّذينَ يَخشَوْنَ ربَّهم ثمَّ تلينُ جُلُودُهمْ وقُلوبُهمْ إلى ذكرِ اللّهِ» (الزمر: ٢٣).

«ألا بِذكرِ اللّهِ تطمئِنُّ القُلوبُ» (الرعد: ٢٨).

والعاطفة الواعية توصل العقيدة في النفس:

يقول أمير المؤمنين علي (ع) في وصفه للمتقين:

«فإذا مَرّوا بآيةٍ فيها تشويقٌ ركنوا إليها طَمَعاً، وتطلّعوا إليها شَوْقاً، وظنّوا أنّها نصبُ أعينهمْ، وإذا مرُّوا بآيةٍ فيها تخويفٌ أصغَوا إليها مسامِعَ قلوبِهمْ، وظنّوا أنّ زفيرَ جهنّمَ وشَهيقَها في أصولِ آذانهمْ...».

والحقيقة ان التلاحم بين العقيدة والعاطفة هنا قوي جداً، لايكاد معه المؤمن يميز بين المؤثر والمتأثر، و بخلاف ذلك ، العاطفة المنحرفة نحو

الآباء مثلاً، تؤدي الى رفض الايمان بالله؛ (وكَذَّبُوا واتَّبَعُوا أهواءَهُمْ) (القمر: ٣). ونفس العلاقة نجدها مع العمل.

فالعقيدة تصوغ العمل وما أكثر تعبيرات: («آمنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ») في القرآن الكريم.

والعمل الصالح يركز العقيدة ويجسدها، خصوصاً إذا صحبته التضحية العاطفية القوية.

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة:

«وَلقدْ كنّا مَعَ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليْهِ وآلِهِ: نَقْتُلُ آباءَنا وأبْناءَنا وإخْوانَنا وأعمامَنا: ما يَزيدُنا ذلِكَ إلا إيماناً وتسليماً ومُضِيّاً عَلى اللّقَمِ، وصَبْراً عَلى مَضَضِ الألَمِ، وَجِدّاً في جِهادِ العَدُوّ...» (الخطبة: ٥٦).

وكلما زادت عناصر الخوف والجهد زاد الايمان:

«الّذينَ قالَ لهُمُ النّاسُ إنّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا لكُمْ فَاخْشَوهُم فزادَهُمْ إيماناً» (آل عمران: ١٧٣).

«ولمّا رأى المؤمنونَ الأحزابَ قالُوا هٰذا ما وعدَنا اللّهُ ورسولُه وصدَقَ اللّهُ ورسولُه وما زادَهُمْ إلّا إيماناً وتَسْليماً» (الاحزاب: ٢٢).

والعمل السيء قد يؤدي الى العقيدة السيئة:

«ثُمّ كانَ عاقِبةَ الّذينَ أساؤُا السُّوأى أنْ كذّبوا بآياتِ اللّهِ» (الروم: ١٠).

الإسلام يركز على هذه الأبعاد:

والمتتبع لتصورات الاسلام ومفاهيمه وأحكامه وما ساقه من أدلة وعبر يجد الإسلام يركز على مجموع هذه الأبعاد وان اختلف تركيزه على هذا البعد أو ذاك باختلاف أهميته وأسبقيته في التأثير.

فالعقيدة هي الأساس، وتأتي بعدها العاطفة، ثم يأتي العمل. ولذا كان التركيز الأكبر على العقيدة قبل كل شيء.

كل ذلك في إطار تحقيق الهدف التكاملي الأسمى للانسان، وتأهيله لكل تغيير باستمرار وفي كل أبعاد وجوده نحو هذا الهدف الذي عبّرتْ عنه النصوص الاسلامية: (التقرب الى الله) أي الى الوجود الكامل المطلق (جلّ وعلا).

الايمان والعبادات:

يقول آية الله الشهيد الصدر في هذا الصدد:

«وكما ولد الإنسان وهو يحمل كل امكانات التجربة على مسرح الحياة وكل بذور نجاحها من رشد وفاعلية وتكيف، كذلك ولد مشدوداً بطبيعته الى المطلق، لأنّ علاقته بالمطلق أحد مقومات نجاحه وتغلبه على مشاكله في مسيرته الحضارية كما رأينا. ولا توجد تجربة أكثر إمتداداً وأرحب شمولاً وأوسع مغزىً من تجربة الإيمان في حياة الانسان الذي كان ظاهرة ملازمة للانسان منذ أبعد العصور وفي كل مراحل التاريخ. فان هذا التلازم الإجتماعي المستمر ببرهن ــ تجريبياً ــ على أن النزوع الى المطلق، والتطلع اليه وراء الحدود التي يعيشها الإنسان، اتجاه أصيل في الانسان مهما اختلفت أشكال هذا النزوع، وتنوعت طرائقه ودرجات وعيه.

ولكنَّ الإيمان كغريزة لا يكفي ضماناً لتحقيق الارتباط بالمطلق بصيغته الصالحة، لأنَّ ذلك يرتبط في الحقيقة بطريقة اشباع هذه الغريزة واسلوب الاستفادة منها، كما هي الحال في كل غريزة أُخرى، فان التصرف السليم في اشباعها على نحو موازٍ لسائر الغرائز والميول الأخرى ومنسجم معها، هوالذي يكفل المصلحة النهائية للانسان، كما أن السلوك وفقاً لغريزة أو ضدها هوالذي ينمّي تلك الغريزة و يعمقها أو يضمرها ويخنقها. فبذور الرحمة والشفقة تموت في نفس الانسان من خلال سلوك سلبي، وتنمو في نفسه من خلال التعاطف العملي المستمر مع البائسين والمظلومين والفقراء.

ومن هنا كان لابُدَّ للايمان بالله والشعور العميق بالتطلع نحو الغيب والإنشداد الى المطلق، لابُدَّ لذلك من توجيه يحدد طريقة اشباع هذا الشعور، ومن سلوك يعمقه و يرسخه على نحو يتناسب مع سائر المشاعر الأصيلة في الانسان.

و بدون توجيه قد ينتكس هذا الشعور ويمنى بألوان الإنحراف، كما وقع بالنسبة الى الشعور الديني غير الموجه في أكثر مراحل التاريخ.

و بدون سلوك مُعمقٍ قد يضمر هذا الشعور، ولا يعود الإرتباط بالمطلق حقيقة فاعلة في حياة الإنسان، وقادرة على تفجير طاقاته الصالحة.

والدين الذي طرح شعار: (لاإله إلّا الله)، ودمج فيه بين الرفض والإثبات معاً هوالموجه.

والعبادات هي التي تقوم بدور التعميق لذلك الشعور، لأنها تعبير عملي وتطبيقي لغريزة الإيمان، وبها تنمو هذه الغريزة وترسخ في حياة الانسان.

ونلاحظ ان العبادات الرشيدة بوصفها تعبيراً عملياً عن الارتباط بالمطلق يندمج فيها عملياً الاثبات والرفض معاً، فهي تأكيد مستمر من الانسان على الارتباط بالله تعالى، وعلى رفض أي مطلق آخر من المطلقات المصطنعة.

فالمصلي حين يبدأ صلاته بـ (اللهُ أكبرُ) يؤكد هذا الرفض، وحين يُقَيِّم في كل صلاة نبيه بأنه عبده ورسوله يؤكد هذا الرفض، وحين يمسك عن الطيبات و يصوم حتى عن ضرورات الحياة من أجل الله متحدياً الشهوات وسلطانها يؤكد هذا الرفض.

وقد نجحت هذه العبادات في المجال التطبيقي في تربية أجيال من المؤمنين على يد النبي(ص) والقادة الأبرار من بعده، الذين جسّدتْ صلاتهم في نفوسهم رفض كل قوى الشر وهوانها، وتضاءلت أمام مسيرتهم مطلقات كسرى وقيصر وكل مطلقات الوهم الانساني المحدود».

الحج من أغنى العبادات تأثيراً في النفس:

وان المتتبع لهذه العبادة الرائعة يجدها تقوم بأروع الأدوار في عملية التركيز العقائدي، والشد العاطفي بل والإلتزام السلوكي بالشريعة كلها... والجميل أن بعض الروايات أسمت الحج نفسه بالشريعة!!. فهي عملية صمّمتْ بشكل تتناغم فيها عناصر مختلفة:

(الأفعال، المحرمات، الأقوال، الأسماء، الذكريات، الأمكنة، الأزمنة، العيد) لتحقق الغرض المنشود الآنف بأجل ما يكون.

وأهم مصب لهذه العملية هو(الشعور) مما يحمله من بعدي (الوعي والعاطفة)

انها في كل خطوة من خطواتها ترفد الشعور بمعان جمّة: (التوحيد، الإخلاص، والوجهة الصحيحة،والنضحية،والتوبة)وتمثل مسيرة الاسلام منذ انطلاقته، وعظمة الاسلام، والوحدة.... الخ.

وهكذا يشكل الحج دعوة إلهية لمثلي الانسانية الصالحة (المجسدة في المسلمين) من استطاع اليه سبيلا، فهم ان يفدوا الى أرض مقدسة، و يدخلوا دورةتدريبية إلهية تغذي عقيدتهم وعاطفتهم والتزامهم العملي بالتركيز والتأجج والقوة.

الإنحراف المقصود:

واذا كانت كل الشواهد، وطبيعة الاسلام تؤكد الهدف الاجتماعي الضخم لهذه العبادة مما يجعلها بالتأكيد عبادة سياسية اجتماعية أو عملية سياسية عبادية فلماذا هذا الذي نشاهده من قبل البعض من تحريف لهذا العمل الرائع وتحويله الى عملية تخدير و بطالة، وربما نزهة فارغة المحتوى فاذا بعشرات الألوف لاهمّ لها إلا أن ترددألفاظاًولقلقةً،ونقوم بأعمال لا تفهم مضمونها، وترجع خالية الوفاض دون أن يترك الحج أي أثر تغييري في وجودها... يعصى الله أمامها من قبل الطواغيت فترضى، وتطبق الأحكام الوضعية على شؤون حياتها وترضى، وتقبل يد الأجنبي الكافر ولا تُبدي حَراكاً، وتنتهك الأخلاق والحرمات بأبشع الصور ولا من معترض، و يعترف بالكيان الصهيوني وأمنه ولا من صوت هادريهزّ أركان الخونة، و يُقتلُ المسلمون وتُحرقُ أجسادهم هنا في لبنان وهناك في الهند وفي كل مكان ولا من ذاب يذبُّ عن حماهم أو تتحرك أريحيته لهذا العمل الاجرامي...

لقد عمل الاستعمار على تحويل العملية الى مجرد طقس ميت، بل الى اسلوب يركز فرعنة الطغاة و يسبغ عليهم الشرعية بعد أن يظهروا للعالم الاسلامي بمظهر حماة الحرمين،وخدمة ضيوف الرحمن، ثم تتم التغطية على أعظم الجرائم بحق الاسلام والمسلمين!!

اننا ندعو علماء المسلمين ليُقيّموا الموقف من جديد، وليتخذوا الموقف الشجاع من الأمر، ولا يدعوا العملاء يستبينون بالمقدسات فيحرفونها عن واقعها الأصيل.

إنَّ نداء النهضة الإسلامية العالمية يستصرخ كل الضمائر المؤمنة لرفد حركة النهضة، وفتح الآفاق أمامها، ورفع العقبات من طريقها، والعاقبة للمتقين...

(١) الوسائل ج ١ باب وجوب النية ص ٣٣ الطبعة الجديدة.

حول القراءة

تفسير القرآن الكريم

إحساساً بضرورة وجود تفسير للقرآن الكريم، يحمل عناصر الايجاز والعمق والوضوح، بالاضافة الى طرح البعد الاجتماعي للمفاهيم القرآنية، فقد قام كل من الشيخ محمد علي التسخيري والشيخ محمد سعيد النعماني بهذه المهمة التي نسأل الله تعالىٰ التوفيق لاكمالها.

وينبغي للقراء الأعزة ان يلاحظوا انه روعيت في هذا التفسير العناصر التالية:

١ ــ الايجاز الى الحد الممكن مما يجعل كل صفحة من القرآن الكريم تقابلها صفحتان من التفسير تقريباً.

٢ ــ طرح الأبعاد المختلفة للمدلول القرآني ومنها البعد الاجتماعي الاصيل.

٣ ــ طرح التفسير وفق مختلف الآراء مهما امكن مع التركيز على المروي عن اهل البيت(ع).

ولنبلونكم بشيء ...: البلاء والامتحان يربي النفوس الانسانية و يصقلها و يبدي جوهرها المكنون، و به تعلو على شهواتها الرخيصة وارتباطها المادي في سبيل هدف أسمى وعقيدة أغلى. ومن هنا امتحن الله الأنبياء والمؤمنين بأنماط من البلاء ليؤهلهم لحمل رسالته. ولن يفوز في النهاية إلا الصابرون على البلاء، الثابتون على الحق رغم الأهوال، الموكلون أمرهم الى الله، القائلون: إنّا لله و إنّا اليه راجعون، لا بألسنتهم فقط وانما بعمق وجودهم وشعورهم بانهم ملك لله، وانهم اليه راجعون. وحينذاك يرون ثمار أعمالهم صلوات وتكريماً و رحمة شاملة وسمة كبرى هي سمة (المهتدين) بعد أن لم يبذروا بطاقاتهم وانما أعدوها للمستقبل الذي صنعوه بالحق.

ان الصّفا وَالْمَرْوَةَ...: ان جبلي الصفا و المروة في مكة من شعائر الله ومعالم دينه. و بشكل السعي بينها أحد مناسك الحج والعمرة في الاسلام، وقد تحرج بعض المسلمين من السعي بينها لأن المشركين كانوا قد وضعوا على كل منها صنماً مبالغة في الابتعاد عن كل ماهو جاهلي، فعرفهم القرآن ان لا إثم في ذلك بعد أن جعل الله هذين الجبلين من شعائره، فلا مانع منه في حج أو عمرة واجبين، ومن تبرع وأزاد فذلك خير يشكره الله عليه بأن يمنحه رضاه وعطاءه. والمسلم إذ يسعى بينها يشعر بتضحيات العائلة الابراهيمية المسلمة كما يشعر بلزوم التحرك النشط ضمن حدود الله في حياته كلها، وانه يتذكر انطلاقة الدعوة العلنية الى العالم من على الصفا.

ان الّذين يكتمون...: استحق احبار اليهود غضب الله بكتمانهم التعاليم المادية والبشارات الواضحة في التوراة فانصبت عليهم لعنة الله ولعنة الانسانية التي أوهموها ولعنة التاريخ الذي حرّفوه.

اما من ندم منهم وتاب واصلح أمره وتدارك الخطأ فبيّن الحق للناس ـ إذ ان التوبة ندم نفسي واصلاح عملي ـ فهؤلاء يرجع الله عليهم بالرحمة وبمقتضى لطفه العميم.

والآية مطلقة تحذّر كل صاحب علم نافع راح يكتمه أو يستغله لصالحه الضيق ومن أحوج اليوم من البشرية الباسة الى الاسلام الناصع الأصيل المنزّه عن البدع والانحراف والأهواء؟

ان الّذينَ كفروا...: إذا تأصل الكفر في وجود الإنسان، انصبت عليه لعائن الله والملائكة والناس أجمعين، فخسر دنياه وراح مُخلّداً في مظهر اللعنة «جهنم» في الآخرة فما أجرأه على الله وما أشد عذاب الله له.

وإلهكم إلـهٌ واحد...: التوحيد هو أساس الإيمان وعليه تبتني كل تصورات الاسلام وتنشر بعائه. اما الرحمة فهي الصفة الإلهية التي بمقتضاها انطلق الكون، وخلق الانسان ومنح الهدى.

انّ في خلق السماوات...: في هذه الآية دلائل على ما ذكره من (وحدانية الله ورحمته) في الآية السابقة... ومن هذه الدلائل: الترابط الكوني الماثل بين الأرض والأجرام السماوية التي قد تبعد عنها ملايين السنين الضوئية والذي يهيئ الأجواء للحياة الانسانية، ومنها تعاقب الليل والنهار المؤثر على تكامل الأحياء، ومنها أيضاً جريان السفن في البحر ــ طبق قوانين طبيعية مترابطة ــ وهي تحمل معها مايمنفع الناس ومنها كذلك: هذا المطر الذي يحمل الرحمة والبركة للارض فتحيي به أنواع الاحياء الدابة المنتشرة عليها والضرورية لحياة الإنسان، ومن هذه الدلائل اختلاف اتجاه الرياح الذي يؤثر في حركة السحاب الذي سخره الله لصالح الانسان يحمل الأمل والخير لمناطق الجفاف.

ان كل هذه الظواهر الطبيعية العظمى المترابطة المنسجمة مع الحياة الانسانية تكشف لكل من فكر وتأمل، عن وحدة الخالق ورحمته بهذا الانسان المعد لخلافة الأرض، كما ان هذا الاستعراض الكوني أثره الباهر في تحريك الطاقات الفكرية لديه ليستكشف أسرار الكون ومجاهيله.

ومن الناس...: اما من لايعقلون ولايتأملون فانهم في جهلهم وانحطاطهم تؤثر عليهم بعض مخلوقات الله فيتخذونها من دون الله آلهة مطلقة التأثير «ومن هذه الآلهة الوهمية: النجوم والشمس والقمر، والملائكة والأصنام وبعض الحيوانات، والقبيلة والآباء، والجنس والهوى، والقوة والاقتصاد، والعلم والتجربة، والوطن والقومية، والحكام المستبدين كفرعون، وكل من يشرع من دون الله فيطاع».

ومن ثمّ يوجهون حيهم الفطري لله تعالى الى هذه الموهومات التي تشكل بذلك قيداً على نمو الذهن الانساني وتقدمه، اما الذين آمنوا ووعوا تلك الدلائل على الوحدانية والرحمة فيتجه حبهم وجهته الصحيحة ويتعلق بالمطلق الحقيقي «الله» الذي يحبونه فوق كل شيء فينعكس ذلك على سلوكهم الفردي والإجتماعي، وتشكل علاقة الحب بين الله وعباده أحد معالم التصور الاسلامي.

ولو يرى...: ليت اولئك المشركين يشهدون يوم القيامة عذاب الله الشديد ليعرفوا سخف ما تصوروه من قوة لأنداده الوهميين. وهناك حين تبدو الحقائق يتبرأ المتبوعون من الذين أتبعوهم جهلاً ووهماً، فيرون العذاب المحيط بهم وتنقطع وسائل النجاة فيتمنى هؤلاء التابعون أن يعودوا الى الحياة الدنيا ليقابلوا آلهتهم الوهمية بالبراءة منها ولكنها مجرد حسرات تحولت اليها أعمالهم وهي لا تنقذهم من عذاب النار.

يا أيها الناس...: يطلب القرآن في هذه الآية ان تستثمر خيرات الأرض الطيبة التي ابيحت لصالح البشرية ومسيرتها التكاملية، وان ترفض أساليب الشيطان لاستدراجها ودفعها نحو الكفر بالنعمة واشاعة الخرافات التي تحرم الاستفادة من بعض ثروات الطبيعة، أو إشاعة العمل بالسيئات المعيقة للتقدم، والدفع نحو الفحشاء أي الخروج عن الصراط السوي، وكلها تقولات على الله تعالى تعني التحليل والتحريم المعتمد على الاستحسانات التي لا تغني من الحق شيئاً.

واذا قيل لهم...: من خطوات الشيطان استغلال الربط الخاطئ بين السلف والخلف ليصنع من الأولين أصناماً وهمية تصوغ عقيدة الآخرين وسلوكهم وتحرف عقولهم عن المنطق السليم، وتقيدها عن التفكير الحر النزيه، وتلقيها في هوة التقليد الأعمى بلا دليل. والقرآن ضمن علاجه لكل قيود الفكر الموضوعي يفند هذا الاسلوب بسؤال يوقف المقلدين على خطئهم وهو: هل كنتم ستتبعون آباءكم لو ثبت لكم جنونهم؟ والجواب الطبيعي هو الرفض. إذن فليتنبه المقلدة الى أن القياس هو الحق المؤيد بالبرهان. ولايتناقى هذا تقليد العامة للمجتهدين العدول في أحكام الشريعة بعد ثبوته بالدليل.

وَمَثَلُ الَّذين كفروا...: تقريع لهؤلاء المقلدة بتشبيههم ــ كما قيل ــ بالأغنام السائمة التي لا تسمع من نداء الانسان إلا صراخاً لا تعي مضمونه، فتعرض عنه الى الأهواء والتقليد. والظاهر انه تشبيه لحالهم ونبعيتهم لآبائهم وساداتهم بحال البهائم التي تستجيب للراعي بمجرد دعوته دون ان تفهم مضمونها، وانما تتبعه ــ لاعتيادها ــ سواء ساربها للرعي أو الذبح بل هم أسوأ حالاً من الأغنام إذ منحهم الله أداة التفكير فعطلوها وعادوا: صماً لايسمعون الحق، وبكماً لا يقدرون على النطق به، وعمياً لايبصرون الآيات.

يا أيها الَّذين آمنوا كلوا...: بعد الخطاب السابق الذي أباح الطيبات واستثمار خيرات الطبيعة وعدم تعطيلها ــ بفعل الأساطير ــ وتحسين الانتاج والتوزيع العادل. كل ذلك وفق أوامر الله الأعلم بالمصالح، وتحقيقاً لشكر هذه النعم والقيام بحق العبودية الكاملة لله.

انما حرم عليكم...: بعد طلب استثمار الخيرات ذكرت الآية الخبائث التي يجب اجتنابها وهي الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير، وماذبح ولم يذكر عليه اسم الله وحده، أما الثلاثة الأول فقد جاءت الروايات تشرح مضارها وأبدها العلم، وأما الأخير فلتطهير المؤمنين من الشرك وتمييز ذبائحهم عن غيرهم، وقد استثنيت حالة الإضطرار الذي لم يسبقه ظلم، فللمضطر غير الظالم أن يتناول من هذه المحرمات بقدر الضرورة للابقاء على حياته، ولايتعدى ذلك.

ان الَّذين يكتمون...: نزلت في علماء اليهود ــ كما يروى ــ إلا أنها تحذر كل حامل علم يكتم ما أنزل الله لاستغلاله لمصالحه الرخيصة مهما غلت، إذ تشكل أخس ثمن في قبال تحصيل رضا الله. وما يأكل هؤلاء إلا ناراً سيجرهم اليها عملهم وفوق ذلك عذاب شديد يوم القيامة يتمثل في إعراض الله عنهم وعدم تطهيرهم من دنس أعمالهم وذلك لاستهانتهم بعقوبتهم وأوامر ربهم، واستبدالهم الهدى بالضلال والمغفرة بالعذاب فيا لشدة صبرهم على النار؟ وما أعظم جرأتهم عليها؟ كل ذلك لعنادهم المتأصل واختلافهم في الكتاب بعد ان نزل من الله بالحق ليكون الهدى والمقياس.

ليس البرّ...: جاءت الآية لتوقف الجدل حول القبلة وتعلن ان الإتجاه الى وجهة معينة في الشرق أو في المغرب ليس كل البر، وانما البر الكامل هو:

الإيمان بالله: و يشكل الأساس في التصور الاسلامي عن الكون والحياة، و بالآخرة كتعبير عن العدل الإلهي والحياة الممتدة للانسان، و بالملائكة: كجزء من الايمان بعالم الغيب، و بالكتاب: المعبّر عن الوحي المرئي للبشرية، و بالنبيين: كقادة للحركة الموحدة لدين الله ثم باعطاء المال — غير الزكاة — تحرراً من الحرص وسمواً على المادة وذلك: لذوي القربى لدعم الروابط العائلية، واليتامى والمساكين وابن السبيل المنقطع عن أهله و بلاده، والسائلين المحتاجين لتحقيق مقتضيات التكافل والاخوة، كما يتقوم البر بإقامة الصلاة وأدائها الكامل ووعي معطياتها، وايتاء الزكاة لتمو ين عملية تحقيق التوازن والارتفاع بالمستو يات الضعيفة الى حد (الغنى) والوفاء بالعهد لإشاعة الثقة، والصبر في البأساء وهي الشدة والفقر، والضراء، وهي المرض، وحين البأس وهو اشتداد الحرب، وهذه المواطن من أشد الحالات على الإنسان. ولذا يطلب الصبر عليها للتقوي على باقي الجوانب، وقد نصب لفظ (الصابر ين) لتركيز المدح عليهم بتقدير (اخص)... فاذا جمع المسلم هذه الصفات الحميدة فهو الصادق في ايمانه والذي انعكس تقواه على مجالي حياته، وقد جاء عن النبي (ص): «من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان».

يا أيها الّذين آمنوا...: رفض الاسلام سنة الثأر الجاهلية الممزقة، وأعلن مبدأ القصاص والمساواة في القتل العمد، الحر بالحر، والعبد بالعبد، والانثى بالانثى، ولكن الرؤية الاسلامية فتحت مجال دأب الصدع للحفاظ على العواطف الأخوية والطاقات الانسانية، فشرعت العفو مع الدية (وهي مال يدفع لأهل القتيل) و بدونها وربما حبّذت الآية العفو بتعبير (أخيه) فاذا عفى أولياء الدم عن شيء من حقهم فان الأخلاق تقتضي منهم مطالبة القاتل بالدية المتعارفة بلاعنف، وتقتضي من القاتل اداءها بلاتهاون أوانتقاص.

وهذا الحكم تسهيل من الله و رحمة بالقاتل والمجتمع، فاذا تمّ العفو فلا مجال للتراجع باعتداء العافين على القاتل، والا أصابهم من الله العذاب الأليم.

ولكم في القصاص حياة...: تعد هذه الآية من أبلغ التعابير العربية وأثراها رغم ايجازها. فهي تعلن ان الحياة الاجتماعية متوقفة على تشريع القصاص، لشفاء الغليل الطبيعي لأولياء القتيل، ولردع الجناة إذ ربما توقف تكامل المجتمع — كأي كائن حي — على قطع العضو الفاسد لئلا يأتي على الكيان كله، وقد أخطأت بعض النظريات الحديثة إذ رفعت هذه العقوبة، فوقعت في جحيم الإجرام بما دعاها للتفكير بالعودة اليه بعد أن كانت تتهمه — ظلماً — بالقسوة والوحشية، أما السجن فلا يؤدي دور القصاص والحدود ان لم يشجع على الإجرام، وقد ذكر فقهاؤنا ان الرجل إذا قتل المرأة فلأولياءها المطالبة بقتله قصاصاً بعد دفع نصف دية وذلك لأسباب اقتصادية.

كتب عليكم...: حبذ القرآن للمتقين أن يوصوا ببعض أموالهم لأبويهم ولذوي قرباهم بشكل متعارف ومناسب قياماً بحقوق الابوة والقرابة. ولا تنفذ الوصية إلا في الثلث من التركة، والعمل بها بعد ثبوتها لازم، فمن بدّل ما أوصى به الموصي كان آثماً، والله سميع عليم.

فمن خاف من...: بعد الحكم بعدم جواز تبديل الوصية تعرضت الآية لحالة يميل فيها الموصي عن المتعارف، فيضر بنصيب الورثة ــ وهو الجنف ــ أو يوصي بأمر غير مشروع ــ وهو الإثم ــ فللوصي ــ وربما لغيره ــ التدخل لارجاع الموصي الى حد الاعتدال، أولحل الخلاف بين الموصي له والورثة بعد الموت ــ وكذلك لعدم تنفيذ الوصايا غير المشروعة، فليس تبديله إثماً.

يا أيها الذين آمنوا...: كتب الله الصوم على هذه الأمة كما فرضه على سائر الأمم مما يوحي بضرورته للبشرية التي تحمل هدفاً سامياً. والتشابه في الوجوب دون الخصوصيات. و يعني الصوم كف النفس عن لذائذ معينة في أيام معدودة قربة لله. وله تأثير كبير في مجال تربية الإرادة الواعية وتعميق الإخلاص له تعالى والشعور بقيمة نعمه، والتحسس بآلام الفقراء و بالتالي الشعور بالمسؤولية الداخلية والعمل على تكوين مجتمع المتقين ــ هذا بالإضافة الى فوائده الصحية.

و يبدو اللطف الإلهي في توجيه الخطاب للذين آمنوا ليعملوا بمقتضى ايمانهم، ثم التخفيف عن ثقل الصوم بذكر اشتراك الأمم معهم، وانه يتم في أيام معدودة وانه ضروري لايصالهم الى هدفهم وهو التقوى، وأخيراً استثناء بعض الموارد.

فمن كان منكم مريضاً...: يجب صوم شهر من السنة وهو رمضان، أما المريض والمسافر فيجب أن يفطرا بلا رخصة في الصوم ــ كما يبدو من الآية وروايات أهل البيت (ع) وعليه جمع من الصحابة ــ وعليهما القضاء بعد ذلك.

وعلى الذين يطيقونه...: أي يتحملون مشقة غير عادية في الصوم فلهؤلاء الإفطار، وعليهم حينئذ اطعام مسكين كفدية، وهي تعبر عن وجه اجتماعي لنظام العبادات.

فمن تطوع...: التطوع هو العمل برغبة، وقد دفع المؤمنون ليصوموا رغبة وطواعية فذلك خير، وقد تقصد الآية ببيان أفضلية الصوم لمن يطيقونه، أو ارادة الفدية أوالصوم المستحب.

شهر رمضان...: ان ظرف الصوم وهو شهر رمضان اكتسب أهميته من نزول القرآن فيه و هويحمل للعالم الهدى والفرقان المميز بين الحق والباطل، مما يوحي للامة بعظم مهمتها واحتياجها الى الارادة والتضحية والاخلاص الذي يحققه الصوم، وقد نزل القرآن تارة على قلب النبي (ص) دفعة وتربية للقائد ونزل اخرى تدريجاً خلال مراحل الدعوة لتربية الامة. وهناك آراء اخرى في البين.

فمن شهد...: تركيز على صوم الحكم الواجب واستثناء المريض والمسافر إذ يقضيان الصوم في أيام أخرى، وتوضيح لدور مصلحة التسهيل على العباد في التشريع الاسلامي.

ولتكبروا الله...: ان الهداية الإلهية للسبيل القويم تستوجب تعظيم الله ــ جلّ وعلا ــ وشكره والقيام بلوازم الشكر.

واذا سألك...: الدعاء رحمة إلهية تفتح أبواب الأمل البناء ونشعر الانسان حساً بفتحه أمام خالقه ولطف خالقه به إذ يمده بالعزم والسكينة والثقة بالمستقبل، وقد علّم أهل البيت (ع) الأمة أساليب الدعاء ومضامينه بشكل بربيها أروع تربية. هذا وقد عبّرت الآية عن جو الرحمة الإلهية بذكر كل من ضمير المتكلم (الله تعالى) وضمير المخاطب (العبد) سبع مرات للمبالغة في الربط.

ونفهم من الآية شرائط استجابة الدعاء ــ لوكان فيه مصلحة ــ وهي العبودية الخالصة ولوازمها، وحصر الأمل بالله دون غيره.

احلّ لكم ليلة...: كانت السنة النبوية قد حرمت على من نام ليلة الصيام مباشرة الزوجة وكذا الأكل والشرب، وقيل أن حرمة المباشرة كانت تعم شهر رمضان بلياليه، إلا ان بعض المسلمين كانوا يخونون أنفسهم ويخالفون أمرالله في ذلك، وقد نزلت هذه الآية لتنسخ حكم السنة بجوزة المباشرة ارفاقاً و يسراً موضحة بلفظ (اللباس) معاني الحنان والستر عن المعاصي والتلاقي والترابط بين الزوجين، وقد أخبرتهم عن توبة الله عليهم وأكدت جواز المباشرة وطلب الولد أو إشباع الغريزة من خلالها، كما أباحت الأكل والشرب،وان كان بعد النوم، الى أن يتميز بياض النهار عن سواد الليل، إذ يبدأ الصوم. اماختامه فهو دخول الليل بذهاب الحمرة المشرقية أو غروب الشمس — على رأي —.

ولا تُباشروهن...: الاعتكاف، هو البقاء في أحد المساجد الجامعة ثلاثة أيام مع الصوم نهاراً، وله أحكام ذكرت الآية منها حرمة مباشرة النساء ثم ذكرت ان الأحكام الواردة فيها هي حدود الله التي يجب أن لايقربها الناس حتى يتسنى لهم بلوغ درجات التقوى.

ولا تأكلوا أموالكم...: قررت الآية احترام الملكية الخاصة المؤطرة بالصالح العام حيث أضافت الأموال لضمير الجماعة، وقد منعت التعدي وانتقال الأموال بالأسباب الباطلة شرعاً كالغصب والظلم وغيرهاوخصت ذكر الرشوة باعطاء مال أوهدية لاغراء الحاكم بالجور مما يشكل خطراً على العدالة.

وقد قدم أحدهم هدية للامام علي(ع) متوقعاً ميلاً لصالحه فقال له — ضمن ما قال —: «هيلك المهول أعن دين الله أتيتني لتخدعني، والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته».

يسألونك عن الأهلّة...: سأل البعض رسول الله (ص) عن علة خلق الأهلة وكمالها ونقصها فجاء الجواب موضحاً ارتباط حالاتها بحياة الناس فهي مواقيت مضبوطة واضحة للجميع تنفعهم في تمشية أمورهم ومعرفة وقت واجباتهم كالحج. ولم يتعرض للإجابة المباشرة اما لعدم امكان تفهيمهم الواقع الطبيعي أولخروج ذلك عن مهمة القرآن ككتاب تربية للبشرية تاركاً كشف الأسرار الطبيعية للفكر.

وليسَ البرّبأن تأتوا...: اعتاد الجاهليون — كما قيل — عند الإحرام أو الرجوع من سفر على دخول البيوت من غير أبوابها فردّ القرآن ذلك مؤكداً على ان البر هو سلوك الطريق الطبيعي الى كل شيء لحفظ التوازن، دون اضاعتها بسلوك السبل الملتوية، ومن ذلك السؤال عن الأهلّة، كما أن منه محاولة معرفة الشريعة من غير السبل التي عينها هي، وهي: (القرآن وأهل البيت «ع») كما أكدته الروايات.

وقاتلوا في سبيل...: تشرع الآية — لأول مرة — قتال المشركين، في سبيل إعلاء كلمة الله وتطبيق شريعته وازالة الطواغيت، وهو مبرر القتال في الاسلام دون الأطماع والشهوات على ان القتال إنما هو للظالمين دون المسالمين كالشيوخ والأطفال مما يوضح انسانية الاسلام حتى في قتاله.

واقتلوهم حيث...: أمر المسلمون بملاحقة المشركين أينما ثقفوهم (وجدوهم) واخراجهم من ديارهم جزاء اخراج المسلمين من مكة.

حديث

الروايات المشتركة

القسم الثاني — الشيخ محمود قانصوه

ـ باب فضل صلوات الجمعة ـ

مـاروي عن طريق أهل البيت (عليهم السلام):

١ ـ عن أبيه عن علي بن ابراهيم عن ابيه عن النوفلي عن السكوني عن الصادق عن آبائه قال ـ قال رسول الله (ص): «من أتى الجمعة ايماناً واحتساباً استأنف العمل»[١].

٢ ـ جمال الاسبوع باسناده الى زرارة قال ـ قال ابوجعفر في حديث: «فاذا زالت الشمس فقم وعليك السكينة والوقار»[٢].

٣ ـ وفي حديث: «... وليكن عليه في ذلك اليوم السكينة والوقار... الحديث»[٣].

٤ ـ وفي رسالة الشهيد الثاني روي عن النبي (ص) أنه قال في حديث: «... واذا اخذ في المشي كتب له بكل خطوة عشرون حسنة»[٤].

وقد مرَّ طرف من روايات تذكر فضل الخطوات «وأن يكون عليه السكينة والوقار»، ونذكر هنا منها فراجع الهامش[٥].

ـفضل المشيـ

٥ ــ عن الحسين بن ابراهيم بن ناتانه عن علي بن ابراهيم عن ابيه عن محمد بن أبي عمير عن ابي زياد النهدي عن عبدالله بن بكير قال، قال الصادق جعفر بن محمد: «ما من قدم سعت الى الجمعة إلا حرم الله جسدها على النار»[٦].

وكذا نقله البحار عن الآمالي[٧].

ـالمشيـ

٦ ــ عن جعفر بن محمد بن مسرور عن الحسين بن محمد بن عامر عن عمه عبدالله عن ابن ابي عمير عن حماد عن الحلبي عن أبي عبدالله قال: «اذا قمت الى الصلاة ان شاء الله تعالى فأتيها سعياً وليكن عليك السكينة والوقار فما أدركت فصلّ وما سبقت فأتمه فان الله عزّوجلّ يقول: «يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكرالله» و معنى قوله فاسعوا هوالانكفات[٨].

ما ورد من طريق أهل السنة:

١ ــ علي بن عبدالله، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: حدثنا يزيد بن أبي مريم، قال: حدثنا عباية بن رفاعة، قال: أدركني أبو عبس وأنا أذهب الى الجمعة، فقال: سمعت النبي(ص) يقول: «من أغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار»[٩].

٢ ــ حدثنا آدم، قال: حدثنا ابن ابي ذئب، قال: الزهري عن سعيد وابي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي(ص)، وحدثنا ابواليمان، قال: أخبرنا شعيب عن الزهري، قال: أخبرني ابوسلمة بن عبدالرحمن: أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون عليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا»[١٠]

و ذكره البيهقي بأسانيد متعددة عن ابي هريرة.

٣ ــ وقد مرّ فيما تقدم عن فضل أفعال يوم الجمعة ومن جملتها المشي في سكينة ونذكر طرفاً منها راجع الهامش[١١].

و ذكر البيهقي في سننه في حديث... كان له بكل خطوة عمل سنة اجر صيامها وقيامها[١٢].

٤ ــ ابوالحسن محمد بن الحسين العلوي املاء، أنبأنا عبدالله بن محمد بن الحسن الشرقي حدثنا محمد بن يحيى الذهلي حدثنا عبدالرحمن بن مهدي عن عبدالله بن المبارك عن

معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «الكلمة الطيبة صدقة ومشيك الى المسجد صدقة»[١٣].

ونقله عن عبدالرزاق، عن معمر، ونقله عن الصحيحين مسلم والبخاري والبيهقي وان ذكره في باب الجمعة الا أنه أعم.

ـ باب وجوبها على الأمصار والقرى ـ

ما ورد عن طريق أهل البيت (عليهم السلام):

١ ـ محمد بن الحسن، باسناده، عن الحسين بن سعيد، عن صفوان، عن العلاء، عن محمد بن مسلم، عن احدهما(ع)، قال: «سألته عن أناس في قرية هل يصلون الجمعة جماعة؟ قال: نعم ويصلون أربعاً اذا لم يكن من يخطب»[١٤].

و هذه الرواية في اشتراط الجمعة بمن يخطب.

٢ ـ محمد بن الحسن، عن فضالة، عن أبان بن عثمان، عن الفضل بن عبدالملك، قال: سمعت أبا عبدالله(ع) يقول: «اذا كان القوم في قرية صلوا الجمعة أربع ركعات فان كان لهم من يخطب لهم جمعوا اذا كانوا خمس نفر وانما جعلت ركعتين لمكان الخطبتين».[١٥]

ما ورد عن طريق أهل السنة:

١ ـ حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا ابوعامر العقدي، قال: حدثنا ابراهيم بن طهمان عن ابي جمرة الضبعي، عن ابن عباس أنه قال: «ان اول جمعة جُمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله(ص) في مسجد عبدالقيس بجواثي من البحرين»[١٦].

وجواثي: (قرية من قرى البحرين. قال عثمان: قرية من قرى عبدالقيس)[١٧].

و روى هذا الحديث البيهقي باسنادين آخرين عن ابراهيم بن طهمان مثله، و فيه بزيادة (قرية من قرى عبدالقيس) من ابن عباس[١٨]

٢ ـ اخبرنا ابوالحارث الفقيه أنبأناعلي بن عمر الحافظ حدثنا ابوبكر النيسابوري حدثنا محمد بن يحيى حدثنا محمد بن وهب بن عطية حدثنا بُقيه بن الوليد حدثنا معاوية بن يحيى حدثنا معاوية بن سعيد النجيبي حدثنا الزهري عن أم عبدالله الدوسية، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الجمعة واجبة على كل قرية وان لم يكن فيها الا أربعة»[١٩].

وله اسانيد متعددة ذكرها البيهقي.

وهذا الحديث ستذكره في باب العدد.

ـ باب في المعذورين ـ

ماورد عن طريق أهل البيت (عليهم السلام):

١ ــ محمدبن علي بن الحسين، باسناده عن زرارة بن أعين، عن أبي جعفر الباقر(ع)، قال: «انما فرض الله عزّوجلّ على الناس من الجمعة الى الجمعة خمساً وثلاثين صلاة منها صلاة واحدة فرضها الله عزّوجلّ في جماعة وهي الجمعة. ووضعها عن تسعة عن الصغير والكبير والمجنون والمسافر والعبد والمرأة والمريض والأعمى ومن كان على رأس فرسخين»[٢٠].

و رواه الكليني، عن محمدبن اسماعيل، عن الفضل بن شاذان، وعن علي بن ابراهيم، عن أبيه، جميعا، عن حمادبن عيسى، عن حريز، عن زرارة[٢١].

و رواه الشيخ، عن محمد باسناده، عن محمدبن يعقوب.[٢٢]

و رواه الصدوق في (الأمالي)، عن أبيه، عن علي بن ابراهيم.[٢٣]

و نقله البحار عن الصدوق في مجالسه باسناد آخر عن حماد نحوه.[٢٤]

و نقله ايضاً عن الخصال باسناد آخر ايضاً و بزيادة في آخره.[٢٥]

و نقله ايضاً عن مجالس ابن الشيخ باسناده الى الصدوق في الخصال نحوه.[٢٦]

و نقل ايضاً نحوه عن كتاب العروس باسناده الى ابي جعفر(ع).[٢٧]

و نقل ايضاً نحوه عن كتاب الهداية.[٢٨]

٢ ــ محمدبن يعقوب، عن محمدبن يحيى، عن أحمدبن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن عاصم بن حميد، عن أبي بصير و محمدبن مسلم، جميعاً، عن أبي عبدالله(ع) قال: «ان الله عزّوجلّ فرض في كل سبعة ايام خمساً وثلاثين صلاة منها صلاة واجبة على كل مسلم أن يشهدها الا خمسة: المريض والمملوك والمسافر والمرأة والصبي».[٢٩]

و رواه في البحار عن المعتبر نحوه.[٣٠]

٣ ــ وعنه، عن صفوان، عن منصور، عن أبي عبدالله[٣١] في حديث قال: «الجمعة واجبة على كل أحد لا يعذر الناس فيها الا خمسة: المرأة والمملوك والمسافر والمريض والصبي».[٣٢]

وفي رواية عن أميرالمؤمنين(ع) في خطبة: (الجمعة واجبة على كل مؤمن إلّا الصبي والمرأة والعبد والمريض... الخطبة).

ما ورد عن طريق أهل السنة:

١ ــ اخبرنا ابوبكر بن الحسن القاضي، وابو زكريا بن أبي اسحاق، قالا: حدثنا

ابوالعباس الأصم، انبأنا الربيع بن سليمان، انبأ الشافعي، انبأ ابراهيم بن محمد، حدثني سلمة بن عبدالله الخطمي، عن محمد بن كعب، أنه سمع رجلا من بني وائل يقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تجب الجمعة على كل مسلم إلّا إمرأة أوصبي أو مملوك»[٣٣].

و روى الهيثمي، عن أبي الدرداء: «يستثنى خمسة بزيادة المريض والمسافر».[٣٤]

و روي مثله عن ابي هريرة: يستثنى «خمسة بجهل أهل البادية مكان المريض».[٣٥] و نقله عن الطبراني.

٢ ــ اخبرنا ابوعلي الروذباري، أنبأنا محمد بن بكر، حدثنا ابو داوود، حدثنا عباس بن عبدالعظيم، حدثني اسحاق بن منصور، حدثنا هرم يعني ابن سفيان، عن ابراهيم بن محمد بن المنتشر، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال: «الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلّا أربعة عبد مملوك أوإمرأة أوصبي أومريض».[٣٦]

و روى البيهقي باسناد آخر عن طارق بن شهاب عن النبي(ص) بهذا المعنى[٣٧].

ــ المعذورون ــ

٣ ــ اخبرنا علي بن احمد بن عبدان، انبأنا احمد بن عبيد الصفار، حدثنا علي بن الحسن بن بيان، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا محمد بن طلحة بن مصرف (ح واخبرنا) ابوحازم الحافظ، انبأ ابواحمد الحافظ يعني النيسابوري، انبأ ابواحمد محمد بن سليمان بن فارس حدثنا محمد يعني ابن اسماعيل البخاري، حدثني اسماعيل بن ابان، حدثنا محمد بن طلحة، عن الحكم ابي عمرو، عن ضرار بن عمرو، عن ابي عبدالله الشامي، عن تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال: «الجمعة واجبة إلا على صبي أومملوك أومسافر»[٣٨]

و روى البيهقي باسناد آخر عن جابر أن رسول الله قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة إلا على مريض أومسافر أوصبي أومملوك ..... الخ الحديث».[٣٩]

و روى عبدالرزاق باسناده عن كعب القرظي في حديث نحوه.[٤٠]

وراجع في هذه المعاني كنز العمال فقد نقل احاديث متعددة في المعذورين من صلاة الجمعة منها تذكر الاربعة ومنها تذكر الخمسة كما في الروايات المذكورة ورواها ابو هريرة وابن عباس وجابر فراجع.[٤١]

ـباب في الأعذار في المطرـ

ماورد عن طريق أهل البيت (عليهم السلام):

١ ـ روى عبدالرحمن بن ابي عبدالله، عن ابي عبدالله عليه السلام أنه قال: «لابأس أن تدع الجمعة في المطر».[٤٢]

٢ ـ محمد بن علي بن الحسين قال: قال النبي(ص): «اذا ابتلت النعال فالصلاة في الرحال».[٤٣]

و الرواية غير مخصوصة بالجمعة بل عامة ثم هي قريبة من رواية أهل السنة.

ما ورد عن طريق أهل السنة:

١ ـ اخبرنا ابوالحسن علي بن محمد المقري، انبأنا حسن بن محمد بن اسحاق، حدثنا يوسف بن يعقوب القاضي، حدثنا نصر بن علي، انبأ سفيان بن حبيب، عن خالد الحذاء، عن أبي تلابة، عن أبي المليح، عن أبيه، أنه شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم جمعة واصابهم مطر زمن الحديبية لم يبتل اسفل نعالهم فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلوا في رحالهم.[٤٤]

و روى احمد باسناده الى ابي المليح بن اسامة عن ابيه نحوه.[٤٥]

و روى الهيثمي عن عبدالرحمن بن سمرة أن رسول الله(ص) كان يقول؛ اذا كان مطر وابل فليصلّ احدكم في رحله. رواه عبدالله، عن ابيه، وجادة[٤٦]، ورواه المستدرك للحاكم باسناده[٤٧].

٢ ـ حدثنا مسدد قال حدثنا اسماعيل قال أخبرني عبدالحميد صاحب الزيادي قال حدثنا عبدالله بن الحرث بن عم محمد بن سير ين، قال ابن عباس لمؤذنه في يوم مطير: اذا قلت أشهد أن محمداً رسول الله فلا تقل حيّ على الصلاة قل صلوا في بيوتكم فكأن الناس استنكروا، قال فعله من هو خير مني ان الجمعة عزمة واني كرهت أن اخرجكم فتمشون في الطين والدحض.[٤٨]

وبهذه الاحاديث اسانيد متعددة ذكرها البيهقي والبخاري فراجع.

ـ باب في اشتراط العدد بخمسة ـ

ما ورد عن طريق أهل البيت (عليهم السلام):

١ ـ عن علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن ابي عمير، عن أبن أذينه، عن زرارة قال: كان[٤٩] ابوجعفر(ع) يقول: لا تكون الخطبة والجمعة وصلاة ركعتين على اقل من خمسة رهط الامام واربعة. ورواه الشيخ باسناده عن علي بن ابراهيم مثله[٥٠].

٢ ـ الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن أحمد بن محمد، عن البزنطي، عن عاصم بن عبد الحميد، عن ابي بصير، عن ابي جعفر(ع): قال: لا تكون جماعة بأقل من خمسة.[٥١]

٣ ـ محمد بن الحسن باسناده، عن الحسين بن سعيد بن عثمان بن عيسى، عن ابن مسكان عن ابن ابي يعقوب، عن أبي عبدالله(ع) قال: لا تكون جمعة مالم يكن القوم خمسة.[٥٢]

ما ورد عن طريق أهل السنة:

١ ـ اخبرنا ابوالحارث الفقيه، انبأنا علي بن عمر الحافظ حدثنا ابو بكر النيسابوري، حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا محمد بن وهب بن عطية حدثنا بقيه بن الوليد، حدثنا معاوية بن يحيى حدثنا معاوية بن سعيد النجيبي حدثنا الزهري عن ام عبدالله الدوسية، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الجمعة واجبة على كل قرية وان لم يكن فيها الا أربعة »[٥٣]

ـ باب في اشتراط المسافة ـ

ما ورد عن طريق أهل البيت (عليهم السلام):

١ ـ محمد بن الحسن، عن محمد بن أحمد بن يحيى، عن يعقوب بن يزيد، عن ابراهيم بن عبدالحميد، عن جميل، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر(ع) قال: «تجب الجمعة على من كان منها على فرسخين»[٥٤].

٢ ـ محمد بن يعقوب عن علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن دراج، عن محمد بن مسلم وزرارة، عن أبي جعفر(ع)، قال: «تجب الجمعة على كل من كان منها على فرسخين.[٥٥]

و رواه الشيخ باسناده، عن محمد بن علي بن محبوب، عن علي بن السندي، عن محمد بن ابي عمير مثله.[٥٦]

٣ ــ محمدبن يعقوب، عن أبيه، عن حماد، عن حريز، عن محمدبن مسلم، قال: سألت ابا عبدالله(ع) عن الجمعة فقال: «تجب على كل من كان منها على رأس فرسخين فان زاد على ذلك فليس عليه شيء»[٥٧] ورواه الشيخ باسناده عن علي بن ابراهيم، عن ابيه[٥٨].

ما ورد عن طريق أهل السنة:

١ ــ احمد، قال: حدثنا عبدالله بن وهب، قال، أخبرني عمرو بن الحرث عن عبيدالله ابن أبي جعفر أن محمدبن جعفر بن الزبير، حدثه: عن عروة بن الزبير، عن عائشة زوج النبي(ص)، قالت:

«كان الناس ينتابون يوم الجمعة من منازلهم والعوالي فيأتون في الغبار يصيبهم الغبار .... الخ الحديث».[٥٩]

والعوالي: القرى المجتمعة حول المدينة من جهة نجدها، و بعد بعض العوالي من المدينة اربعة اميال، وابعدها ثمانية أميال، كما في شرح صحيح مسلم.[٦٠]

٢ ــ أخبرنا ابوبكر بن الحارث الفقيه، انبأنا ابومحمدبن حيان، حدثنا ابواسحاق ابراهيم بن محمدبن الحسن حدثنا ابوعامر حدثنا الوليدهوابن مسلم، اخبرني سبرة بن العلاء عن الزهري: أن اهل ذي الحليفة كانوا يجمعون مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك على مسيرة ستة أميال من المدينة. قال: وحدثنا الوليد، اخبرنا الاوزاعي، عن عطاءبن ابي رباح، قال: «كان أهل من يحضرون الجمعة بمكة»[٦١].

و ذكره عبدالرزاق، عن معمر، عن الزهري، وفيه بز يادة قال الزهري: وذلك ــ بعد ذي الحليفة ــ ستة اميال، قال معمر وقتادة: فرسخين.[٦٢]

و ذكر نهي رسول الله(ص) عن عدم حضور الجمعة لمن كان على رأس الميلين من المدينة أو الثلاثة.[٦٣]

ــ باب في آية الانفضاض ــ

ما ورد عن طريق أهل البيت (عليهم السلام):

١ ــ تفسير علي بن ابراهيم: قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي بالناس يوم الجمعة ودخلت ميرة و بين يديها قوم يضربون بالدفوف والملاهي فترك الناس الصلاة ومرّوا ينظرون اليهم فأنزل الله: «واذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا اليها وتركوك قائماً».[٦٤]

٢ ــ الجعفريات اخبرنا محمد، حدثني موسى، حدثنا أبي، عن أبيه، عن جده جعفر بن محمد(ع) عن ابيه(ع)، قال: بينا رسول الله(ص) قائماً يخطب يوم الجمعة وكان سوق يقال لها البطحا وكانت بنو سليم تجلب اليها السبي والخيل والغنم وكانت الانصار اذا تزوجوا ضربوا بالكبر والمزمار واذا سمعوا ذلك خرج الناس اليهم وتركوا رسول الله صلى الله عليه وآله قائما فعيّرهم الله بذلك فانزل الله؛ «واذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا اليها... الآية».[٦٥]

ما ورد عن طريق أهل السنة:

١ ــ اخبرنا ابوعبدالله الحافظ، انبأ ابوالفضل بن ابراهيم، حدثنا احمد بن سلمة حدثنا اسحاق بن ابراهيم، حدثنا جرير، عن حصين، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر بن عبدالله، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب يوم الجمعة قائما فجاءت عِيَرٌ من الشام فانفتل الناس اليها حتى لم يبق معه الا اثني عشر رجلاً فانزلت هذه الآية التي في الجمعة؛ «واذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا اليها وتركوك قائماً»[٦٦].

ــ الانفضاض ــ

٢ ــ اخبرنا ابو بكر احمد بن محمد بن الحارث الفقيه، أنبأنا علي بن عمر الحافظ، حدثنا احمد بن محمد بن اسماعيل الآدمي، حدثنا محمد بن اسماعيل الحساني، حدثنا علي بن عاصم، عن حصين بن عبدالرحمن، عن سالم بن ابي الجعد، عن جابر بن عبدالله، قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا يوم الجمعة اذ أقبلت عِيَرٌ تحمل الطعام حتى نزلوا بالبقيع، فالتفتوا اليها وانفضوا اليها وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس معه إلّا اربعون رجلاً أنا فيهم قال فأنزل الله على النبي صلى الله عليه وآله؛ «واذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا اليها وتركوك قائماً»[٦٧].

ــ باب في الخطبة عوض الركعتين ــ

ما ورد عن طريق أهل البيت (عليهم السلام):

١ ــ محمد بن الحسن باسناده عن الحسين بن سعيد، عن صفوان، عن العلاء، عن محمد بن مسلم، عن احدهما(ع) قال: سألته عن أناس في قرية، هل يصلون الجمعة جماعة؟ قال(ع): نعم ويصلون أربعاً اذا لم يكن من يخطب.[٦٨]

٢ ــ محمدبن الحسن، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة، عن أبان بن عثمان، عن الفضل بن عبدالملك قال: سمعت أبا عبدالله(ع)، يقول: اذا كان قوم في قرية صلوا الجمعة أربع ركعات فان كان لهم من يخطب لهم جمعوا اذا كانوا خمس نفر وانما جعلت ركعتين لمكان الخطبتين.[٦٩]

٣ ــ محمدبن الحسن باسناده، عن الحسين بن سعيد، عن النظر، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله(ع) في حديث قال: «انما جعلت الجمعة ركعتين من أجل الخطبتين فهي صلاة حتى ينزل الامام»[٧٠]

ما ورد عن طريق أهل السنة:

١ ــ اخبرنا أبو حازم الحافظ، أنبأنا ابواحمدمحمدبن محمدالحافظ، أنبأنا ابوجعفر محمدبن عبدالرحمن الضبي، حدثنا القاسم وهو ابن عبدالله بن مهدي ابوالطاهر بمصر، حدثنا عمي يعني محمدبن مهدي، حدثنا يزيد، يعني ابن يونس بن يزيد الايلي، عن ابيه يونس، عن الزهري، قال: بلغنا أن اول ما جمعت الجمعة بالمدينة قبل أن يقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمع المسلمين مصعب بن عمير، قال: وبلغنا أنه لا جمعة الا بخطبة فمن لم يخطب صلى أربعا.[٧١]

الهوامش

---

(١) البحار ج ٨٩ ص ١٩٢ عن ثواب الاعمال وفي هامشه عنه ص ٣٤.

(٢) البحار ج ٨٩ ص ٣٥١ عن جمال الاسبوع ونحوه في الوسائل باسناده الى زرارة ج ٥ ص ٧٨ حديث ٣ ونحوه الكافي ج ٣ ص ٤١٧ الحديث ٤.

(٣) الوسائل ج ٥ ص ٧٨ الحديث ٢ والكافي ج ٣ ص ٤١٧ الحديث ١.

(٤) البحار ج ٨٩ ص ٣٥٧ عن الرسالة المذكورة.

(٥) المستدرك: (كان له بكل خطوة عمل سنة صيامها وقيامها الحديث) ج ١ ص ٤١٣ والتهذيب ج ٣ ص ١٠ الحديث ٣٢.

(٦) الوسائل ج ٥ ص ٧٠ وفي هامشه عن الامالي ص ٢٢١.

(٧) الوسائل ج ٨٩ ص ١٨٣ وفي هامشه عن الامالي ص ٢٢١.

(٨) البحار ج ٨٩ ص ١٧٦ عن علل الشرائع وفي هامشه عن العلل ج ٢ ص ٤٦.

(٩) البخاري ج ٢ ص ٨ ورواه البيهقي في سننه باسنادين عن عباية عن ابوعبس ج ٣ ص ٢٢٩.

(١٠) البخاري ج ٢ ص ٩ سنن البيهقي ج ٣ ص ٢٢٨ ونقله عن البخاري ومسلم وروى الحميدي بسنده عن ابي هريرة نحوه ج ٢ ص ٤١٨ حديث ٩٣٥.

(١١،١٢) مجمع الزوائد ج ٢ ص ١٧١ وروى في فضل خطوات الجمعة ص ١٧٢ و ١٧٨، المنتقى ج ٢ ص ١٢ عن السكينة في المشي وعن فضل الخطوات، المستدرك للحاكم ج ١ ص ٢٨٢ بأسانيد متعددة، والترمذي ج ٢ ص ٣٦٨، والنسائي وشرح السيوطي ج ٣ ص ٩٦ و ٩٧ والبيهقي في سننه ج ٣ ص ٢٢٩ و ٢٢٧ بسند آخر، وكنز العمال نقله

عن عدة راجع ج ٧ ص٥٣٤ الحديث ٣٥٥٤ و ص ٥٤١ الحديث ٣٦١١ و ٣٦١٢ و ص ٥٤٢ الحديث ٣٦١٣ و ٣٦١٨ وعن السكينة في المشي ج ٧ ص ٥٤٠ الحديث ٣٦٠٨.

(١٣) سنن البيهقي ج ٣ ص ٢٢٩.

(١٤) وسائل الشيعة ج ٥ ص ١٠ والاستبصار ج ١ ص ٤١٩ لكن بنقصان (نعم) بل فيه في الجواب (يصلون... الخ).

(١٥) المصدر السابق ج ٥ ص ١٠، والاستبصار ج ١ ص ٤٢٠.

(١٦) البخاري ج ٢ ص ٥، ورواه ابوداوود باسناده عن وكيع عن ابراهيم مثله ج ١ ص ٢٨٠ والمنتقى ج ٢ ص ١٠ ح ١٥٥٦ نقله عن البخاري وابن داوود.

(١٧) عمدة القارئ ج ٦ ص ١٨٧.

(١٨) سنن البيهقي ج ٣ ص ١٧٦.

(١٩) سنن البيهقي ج ٣ ص ١٧٩ ورواه الدار قطني ج ٢ ص ٧ أخرجه بثلاثة اسانيد باختلاف يسير وكنز العمال ج ٧ ص ٥١٢ الحديث ٣٤١٥ وص ٥١٤ الحديث ٣٤٣٢ باختلافات يسيرة ونقله عن عدة كتب منها الديلمي والبيهقي.

(٢٠) الوسائل ج ٥ ص ٢، من لايحضره الفقيه ج ١ ص ٢٦٦، وفي هامشه عن التهذيب ج ١ ص ٢٥١ وفي الكافي جزء ٣ ص ٢١٩، وهو في الكافي ج ٣ ص ٤١٨ الطبعة الجديدة، والتهذيب الطبعة الجديدة ج ٣ ص ٢١، ومستدرك الوسائل ج ١ ص ٤٠٧.

(٢١) الوسائل ج ٥ ص ٢ وفي هامشه عن الكافي الجزء ١ ص ١١٦ وفي الطبعة الجديدة في ج ٣ ص ٢١٩.

(٢٢) الوسائل ج ٣ ص ٢ وفي هامشه عن التهذيب ج ١ ص ٢٥١.

(٢٣) الوسائل ج ٥ ص ٢ وفي هامشه عن الامالي ص ٢٢٤.

(٢٤) البحار ج ٨٩ ص ١٥٣ وفي هامشه عن المجالس ص ٢٣٤.

(٢٥) البحار ج ٨٩ ص ١٥٣ وفي هامشه عن الخصال ج ٢ ص٤٦.

(٢٦) البحار ج ٨٩ ص ١٥٣ وفي هامشه عن أمالي الطوسي ج ٢ ص ٤٧.

(٢٧) البحار ج ٨٩ ص ٢٠٨.

(٢٨) البحار ج ٨٩ ص ٢٦٠.

(٢٩) الوسائل ج ٥ ص ٥ وفي هامشه نقله عن المعتبر ص ٢٠٠ والتهذيب ج ١ ص ٢٥٠ و يوجد في الكافي ج ٣ ص ٤١٨ والتهذيب الطبعة الجديدة ج ٣ ص ١٩ ونقل نحوه البحار عن دعائم الاسلام ج ٨٩ ص ٢٥٥.

(٣٠) البحار ج ٨٩ ص ١٦٢ وفي هامشه عن المعتبر ص ٢٠٠.

(٣١) مستدرك الوسائل ج ١ ص ٤٠٧ ــ ٤١١ ذكر الخطبة كاملة.

(٣٢) هكذا في الوسائل ج ٥ ص ٥ والضمير في (عنه) قد يظهر أنه لمحمدبن يعقوب ولكن لم اجده في بابه. ورواه الاستبصار ج ١ ص ٤١٩ عن الحسين بن سعيد عن صفوان مما يكشف عن أن الضمير في (عنه) في الوسائل يرجع الى الحسين بن سعيد فقط.

(٣٣) سنن البيهقي ج ٣ ص ١٧٣ وراجع في المعذور بن ج ٣ ص ١٨٣ و١٨٤.

(٣٤،٣٥) مجمع الزوائد ج ٢ ص ١٧٠.

(٣٦) سنن البيهقي ج ٣ ص ١٧٢ ونحوه سنن الدار قطني ج ٢ ص ٣ وروى البغوي في مصابيح السنة رواية نحوها ج ١ ص ٩٨ ونحوه المستدرك للحاكم ج ١ ص ٢٢٨ وتلخيص الذهبي في نفس المصدر السابق.

(٣٧) سنن البيهقي ج ٣ ص ١٨٣. ورواه ابو داوود ج ١ ص ٢٨٠.

(٣٨) سنن البيهقي ج ٣ ص ١٨٣ وروى الدار قطني باسناده عن جابر مثله بزيادة استثناء المرأة ج ٢ ص ٣.

(٣٩) البيهقي ج ٣ ص ١٨٤ وروى مثله عن ابي هريرة مجمع الزوائد ج ٢ ص ١٧٠.

(٤٠) مصنف عبدالرزاق ج٣ ص١٧٣ الحديث ٥٢٠٠.

(٤١) كنز العمال ج ٧ ص ٥١٢ و ٥١٣ و ٥١٤ و ٥١٥.

(٤٢) من لايحضره الفقيه ج ١ ص ٢٩٧ الوسائل ج ٣ ص ٣٧ وفي هامشه عن التهذيب ج ١ ص ٣٢٢.

(٤٣) الوسائل ج ٢ ص ٤٧٨.

(٤٤) سنن البيهقي ج ٣ ص ١٨٦ ورواه باسنادين عن ابي المليح عن ابيه ونقله عن مسلم وعن معمر وروى نحوه ثلاث روايات وابي داوود ج ١ ص ٢٧٨ والمستدرك للحاكم ج ١ ص ٢٩٣ وتلخيص الذهبي في نفس المصدر.

(٤٥) احمد ج ٥ ص ٢٤.

(٤٦، ٤٧) مجمع الزوائد ج ٢ ص ١٩٤ والمستدرك للحاكم ج ١ ص ٢٩٢ وتلخيص الذهبي في نفس المصدر السابق.

(٤٨) البخاري ج ٢ ص ٧ والبيهقي باسنادين عن مسدد مثله ج ٣ ص ١٨٥ ونقله عن مسلم ايضا وابو داوود ج ١ ص ٢٨٠ والمستدرك للحاكم ج ١ ص ٢٨٤ وتلخيص الذهبي في المصدر السابق.

(٤٩، ٥٠) الوسائل ج ٥ ص ٧ وفي هامشه عن الكافي ج ١ ص ١١٦ والتهذيب ج ١ ص ٢٥١ وعن الاستبصار ١ ص ٢١٠ و وجدته في الكافي ج ٣ ص ٤١٩ والاستبصار ج ١ ص ٤١٩.

(٥١) الوسائل ج ٥ ص ٨ وفي هامشه عن الخصال ج ١ ص ١٣٩ والبحار ج ٨٩ ص ١٦٩ نقله عن الخصال وفي الهامش عن نفس الصفحة ومع ذلك فلفظ (الجماعة) معرفة (بأل) في البحار.

(٥٢) الوسائل ج ٥ ص ٩ والاستبصار ١ ص ٤١٩.

(٥٣) سنن البيهقي ج ٣ ص ١٧٩. وقد تقدم ذكره و ذكر أن البيهقي رواه باسانيد متعددة فراجع باب وجوبها على القرى.

(٥٤) الوسائل ج ٥ ص ١١ ونحوه في التهذيب ج ٣ ص ٢٣ ونحوه في البحار ج ٨٩ ص ٢٥٥ عن دعائم الاسلام.

(٥٥) الوسائل ج ٥ ص ١٢.

(٥٦) الوسائل ج ٥ ص ١٢ والاستبصار ج ١ ص ٤٢١ ولكن بنقصان كلمة (كل).

(٥٧) الوسائل ج ٥ ص ١٢.

(٥٨) الاستبصار ج ١ ص ٤٢١.

(٥٩) البخاري ج ٢ ص ٧ ومسلم ج ٣ ص ٣ وابو داوود بنقصان عجزه ج ١ ص ٢٧٨ ورواه البيهقي ج ٣ ص ١٨٩ و ١٧٣.

(٦٠) صحيح مسلم ص ١٠٩ نقله عن فتح الباري.

(٦١) سنن البيهقي ج ٣ ص ١٧٥.

(٦٢) مصنف عبدالرزاق ج ٣ ص ١٦١ الحديث ٥١٥١.

(٦٣) مصنف عبدالرزاق ج ٣ ص ١٦٥ الحديث ٥١٦٦ ورواه كنزالعمال ج ٧ ص ٥١٩ الحديث ٣٤٦٨ وص ٥١٨ الحديث ٣٤٦٦ و ٣٤٦٧ ونقله عن متعددين. فراجع.

(٦٤) البحار ج ٨٩ ص ٢٠٠ عن التفسير المذكور ص ٦٧٩.

(٦٥) مستدرك الوسائل ج ١ ص ٤١٠ باب ١٤ الحديث ٣.

(٦٦) سنن البيهقي ج ٣ ص ١٨١ و ١٩٧ ومسلم ج ٢ ص ٩ و ١٠ رواه عن عثمان بن ابي شيبة عن اسحاق بن ابراهيم، كلاهما عن جرير مثله بل و بأسانيد أربعة وروى البخاري مثله باختلاف يسير و باسناد آخر ج ٢ ص ١٥ و ج ٣ ص ٣٩ باسناد آخر.

(٦٧) سنن البيهقي ج ٣ ص ١٨٢ ونحوه سنن الدار قطني ج ٢ ص ٤ ذكره باسنادين ونحوه المنتقي ج ٢ ص ٣٣ رقم ١٦٣٧ و ١٦٣٨ نقل الاول عن احمد ومسلم والترمذي والثاني عن احمد والبخاري.

(٦٨) الوسائل ج ٥ ص ١٠ ونقله عن التهذيب ج ١ ص ٣٢١ وفي الاستبصار ج ١ ص ٤١٩ الا انها بنقصان (نعم).

(٦٩) الوسائل ج ٥ ص ١٠ ونقله في هامشه عن التهذيب ج ١ ص ٣٢١ وفي الاستبصار ج ١ ص ٤٢٠ ونحوه عن الرضا(ع) في مستدرك الوسائل ج ١ ص ٤٠٨.

(٧٠) الوسائل ج ٥ ص ١٠ وفي هامشه عن التهذيب ج ١ ص ٢٤٨.

(٧١) سنن البيهقي ج ٣ ص ١٩٦.

أسس الحرمة

الامام الخميني

نقدم في سابقي بحثاً مركزاً من خلال الأبحاث الضخمة التي تفضل والقاها الإمام الخميني خلال سنوات طوال على تلامذته العلماء فأثرى بها الدرسة الفقهية الاسلامية ايما إثراء.. وقد آثرنا نشرها حسب التعبيرات العلمية التي طرحت بها. أدام الله عمر إمامنا وحقق له وللأمة الاسلامية كل الأهداف الكبرى. ومن الجدير بالذكر ان هذا البحث قد القي حوالي عام ١٣٨٠ هـ ق.

بحث فقهي معمق حول:

حرمة التكسب بالواجبات

القسم الأول

مما يحرم التكسب به ما يجب على الانسان فعله عيناً أوكفايةً، تعبداً أو توصلاً على المشهور و عليه الفتوى كما عن المسالك[1] وفي الرياض بعد تقييد الوجوب بالذاتي لاخراج التوصلي كأكثر الصناعات الواجبة بلاخلاف بل عليه الاجماع في كلام جماعة وهو الحجة. وفي مفتاح الكرامة[2] لم يعرف الخلاف إلا من علم الهدى لكن قال حُكيي عن علم الهدى جواز الأجرة على مثل التكفين والدفن لانه واجب على الولي ولايجوز لغيره إلا باذنه «إنتهى»، وعليه لايكون هو مخالفاً في المسألة.

وكيف كان الظاهر من عنوان الفقهاء الأعم من التوصلي و التعبدي و من ذهابهم نصاً أو ظاهراً الى الجواز في المستحبات ان موضوع البحث هو الواجبات، اما لان وصف الوجوب ينافي الإكتساب كما صرح به بعضهم و يأتي الكلام فيه أو ان الأمر تعبدي ثابت بالاجماع و الشهرة، و اما التعبدية فلا تنافي الاكتساب

عندهم و لهذا قالوا بجوازه في المستحبات، لكن المتأخرين عمموا البحث في التعبديات مطلقاً مستحبة كانت أو واجبة وفي الواجبات توصلية أو تعبدية فلابُدَّ من البحث تارة في أنَّ وصف التعبدية منافٍ للاكتساب أم لا؟ واخرى في ان وصف الوجوب منافٍ له أم لا؟

اما الأول فقد يقال مضافاً الى عدم المنافاة: ان تضاعف الوجوب يؤكد الاخلاص والقائل صاحب مفتاح الكرامة[3] وفي الجواهر[4] قال في مقام عدم المنافاة؛ ان المنافاة واضح المنع ضرورة كون الإجارة مؤكدة له باعتبارتسبيبها الوجوب أيضاً. وسبقهما الى ذلك السيد في الرياض في المستحبات قال في مقام بيان عدم المنافاة؛ ان غايتها هنا عدم ترتب الثواب لاحرمته مع امكان ترتبه حينئذ أيضاً فانها بعده تصير واجبة وتصير من قبيل ماوجبت بنذر وشبهة، ولاريب في استحقاق الثواب حينئذ ووجهه ان أخذ الأجرة حينئذ صار سبباً لوجوبها عليه ومعه يتحقق الاخلاص في العمل لكونه حينئذ لمجرد الإطاعة والامتثال لله تعالى وان صارت الاجرة منشأ لوجه الأمر الايجابي اليه «انتهى».

والعجب منه رحمه الله حيث صرح قبل ذلك بأسطر بأن اخذ الأجر في الواجبات منافٍ للاخلاص. نعم بين كلامه وكلامها فرق يتضح عن قريب.

أقول: ان مراد الأولين من تأكدالاخلاص وتضاعف الوجوب في كلام الثاني يحتمل أحدالأمور:

اما ان الأمر في العبادي متعلق بذات العبادة والأمر الاجاري أيضاً كذلك، لان قوله: أوفوا بالعقود بمنزلة قوله: صلِّ وصم، واعمل كذا وكذا. فالأمر الاجاري يؤكد الأمر العبادي، بل الأمر اذا تعلق بموضوع عبادي يصير عبادياً إذليست العبادية من كيفيات الأمر بل هي من قيود المأمور به.فاذا تعلق بموضوع كذلك يصير عبادياً قهراً، ولما كان الموضوع واحداً يؤكد أحد الأمرين الآخر، ولما كانا عباديين يتأكد الاخلاص.

واما ان المراد بتضاعف الوجوب وتأكد الاخلاص ان تعلق الأمرالاجاري بوجب امكان قصد الاخلاص به فانه وان كان توسلياً لكن مع قصد التقرب يصير عبادياً بالمعنى الأعم. فالمكلف قبل تعلق الأمر الاجاري لاطريق له للاخلاص إلا قصدالامر العبادي و بتعلقه زاد طريق آخر يمكن معه قصد الاخلاص فلو نذر اتيانه زاد طريق آخر وهكذا. ولعل مراد صاحب الرياض هذا الوجه اذلم يعبر بالتأكد والتضاعف، لكن الأظهر ان مراده تبديل الأمر الاستحبابي بعد الاجارة بالوجوبي بمعنى سقوط ذلك وثبوت ذا بتوهم وحدة متعلقها.

واما ان المراد به ان متعلق الأمر الاجاري والعبادي لما كانا متحدين في الخارج فللعامل ان يقصدهما لله تعالى فيكون الأمر بهذا المعنى مؤكداً للاخلاص وموجباً لزيادته بتعدد سببه ولعله أقرب الى ظاهر الأولين.

و يرد على الوجه الأول أنَّ التأكيد في الأوامر ونحوها إنَّما هو فيما اذا تعلق أمر بموضوع لغاية وغرض، فاذا كان الموضوع مهتماً به مثلاً يؤكده الأمر، اما بألفاظ التأكيد أو بتكرار

الأمر، واما اذا كانت الأوامر بجهات عديدة فلا تكون من التأكيد في شيء. وفي المقام يكون الأمر العبادي كالأمر بصلاة الفريضة انما تعلق بها بجهة وغرض غير جهة الأمر الاجاري. فلو فرض تعلق الثاني أيضاً بذات العبادة لايمكن ان يكون مؤكداً للأول إلا أنْ يراد بالتأكيد معناه المعروف، مضافاً الى أن الأمر الاجاري انما تعلق بموضوع آخر هوالوفاء بالعقد فقوله: اوفوا بالعقود، موضوعه العقود ومتعلقه الوفاء، والامر الصلاتي تعلق بالصلاة ولايعقل تجافي أحدهما عن متعلقه الى متعلق الآخر.

نعم، اذا اوجد الصلاة وفاء باجارته وقلنا بصحة الاستيجار يكون مصداق الصلاة معنوناً بعنوانين؛ ذاتي هوالصلاة، وعرضي هو الوفاء بالاجارة وكذا في النذر واطاعة الوالد ونظائرهما. وماكان هذا شأنه لايمكن أن يكون مؤكداً، لان موطن تعلق الأوامر موطن اختلاف الموضوعات والمتعلقات وموطن اتحادها وهوالخارج لايكون موطن تعلقها.

فمايقال: ان الأمر الاجاري بمنزلة صلّ وصم وغير ذلك : غيرتام: وخلط بين موضوعات الأحكام ومتعلقاتها و بين مصاديقها الغير المأموربها. وبهذا ظهر الجواب عن الاحتمال الثاني فان مبناه أيضاً زعم تعلق الأمر الاجاري بنفس الموضوعات العبادية. ومع اختلاف المتعلقات والموضوعات كما عرفت لامعنى لقصد التقرب بأمر متعلق بموضوع اجنبي عن الآخر لتصحيح ذلك الاجنبي وهو واضح بل يظهر النظر بما تقدم في الوجه الثالث أيضاً، فان تعدد الأوامر على موضوعات مختلفة لايوجب تأكدالاخلاص في أحد الموضوعات بل على الفرض يوجب تعدده حسب تعددها.

هذا كله مع ورود اشكال أساسي على جميع الوجوه وهو ان الاشكال في المقام إنما هودعوى المنافاة بين قصد التقرب واخذ الأجر للعمل فلايمكن للمؤجر الاتيان بالعمل المستأجر فيه ومع عدمه لا تصح الاجارة فلا أمر اجاري حينئذ حتى يصحح العبادية أو يؤكد الاخلاص. و بعبارة أخرى ان تأكيد الأمر الاجاري الاخلاص موقوف على وجوده وهو موقوف على صحة الاجارة فلايمكن تصحيحها بما ذكر.

وإنْ شئت قلت ان صحتها موقوفة على قدرة المؤجر لإيجاد العمل المورد للاجارة وهو غير ممكن للتلازم بين أخذ الأجر و بطلان العمل العبادي فلا بُدَّ من دفع هذه العائلة ومع عدم دفعها لايمكن تعلق أمر (أوفوا بالعقود) حتى يقال انه يؤكده.

وقد تصدى المحققون لدفعها بالداعي على الداعي تارة و يأتي الكلام فيه و بالأمر الاجاري أخرى،وقد فصله السيد الطباطبائي في تعليقته بما ملخصه: انه مع الغمض عن الوجه السابق يمكن ان يقال: انه اذا لم يكن قصدالامتثال بالنسبة الى الأمر الاولي المتعلق بالعبادة، لان المفروض ان غرضه أخذ الأجرة، فبعد إيقاع عقد الاجارة يمكن أن يكون داعيه امتثال الأمر الاجاري ولا يضر توصليته، لأنَّ الأمر التوصلي والتعبدي لايفترقان إلا في المتعلق، فمع عبادية المتعلق يكون الأمر تعبدياً كما في المقام.

ودعوى ان المعتبر قصد الأمر الصلاتي:

مدفوعة أولاً بالمنع غاية الأمر يعتبر فيه كون الداعي هوالله من أيّ وجه كان، وثانياً ان أمر (اوفوا) بالعقود في قوة قوله؛ صلوا وصوموا (الخ) فالأمر الاجاري عين الأمر الصلاتي.

وقال في ذيل تصحيح العبادات الاستيجارية عن الغير بعد تكرار الوجهين المتقدمين: ان قلت: ان ذلك مستلزم للدور فان الوجوب من حيث الاجارة موقوف على صحتها وهي موقوفة على صحة العمل الموقوفة على الوجوب، قلت: ثم حكى وجهاً عن الشيخ وقال وثانياً وهو التحقيق في الجواب ان المعتبر في متعلق الاجارة ليس از يد من كان ايجاده في الخارج في زمان الفعل وفي المقام ان تعلق الاجارة والامر الأيجاري سبب في هذا الامكان، وبهذا أجبنا عن اشكال الدور في التعبدي بناءً على كون قصد القربة من قيود المكلف به بدعوى ان الأمر موقوف على تحقق الموضوع والمفروض عدمه إلا بالأمر حيث قلنا: لايعتبر في صحة توجه الأمر إلا امكان ايجاد الموضوع ولو كان الأمر هوالسبب «انتهى».

وفيه مضافاً الى ما أشرنا اليه من أن الأمر الاجاري متعلق بعنوان الوفاء بالعقد وهو أمر توصلي لعدم اعتبار العبادية في متعلقه ولو قصد الامتثال به بتقريب بعنوان امتثال أمر الوفاء بالعقد، ولايعقل أن يكون مجرد ذلك موجباً لامتثال الأمر الصلاتي أو مقرباً لأجل أمرها، بل لو تعبد بالأمر الاجاري من غير التعبد بالأمر الصلاتي لايصير مقرباً مطلقاً، إذ لم يأتِ بمتعلق الاجارة ولم يمتثل الأمر الاجاري أيضاً. ومجرد اتحاد العنوانين في المصداق لايوجب ان يصير ايجاد أحدالعنوانين بداعوية أمره أو بداع قربي آخر مربوط به.

الا نرى انه لو أمر باكرام العالم وأمر باكرام الهاشمي وكان الأمران تعبديين غير ساقطين إلا بقصد التعبد فأكرم المكلف من ينطبق عليه العنوانان بداعوية أمر العالم مع عدم داعوية أمر الهاشمي أصلاً لا يعقل سقوط الأمرين وتقربه بعنوانين، لأن التقرب بعبادة فرع اتيانها بداعوية أمرها أوبجهة مقربة أخرى قائمة بها أو راجعة اليها. ومجرد إتحاد العالم مع الهاشمي في الخارج لايوجب حصول التقرب قهراً على زعم الفاعل.

ومضافاً الى ما أشرنا اليه من عدم تعقل تجاوز الأمر من عنوان (اوفوا بالعقود) الى عنوان الصلاة والصوم ونحوهما وكذا الحال في النذر واليمين والعهد فان أوامرها لا تتعلق إلا بعنوان الوفاء بها، فلايمكن أن ينحل قوله: اوفوا بالعقود، الى صلّ وصم، وهكذا ولايكون في قوة ذلك إلا على تأول ومسامحة وهو لايصح العبادية فلا وجه محصل لتصحيحها بالأمر الإجاري.

إنَّ الاشكال في المقام ليس في منافاة عقد الاجارة أو الأمر الاجاري للاخلاص بل الاشكال في منافاة العمل المأتي به بازاء الأجرة للاخلاص ومع ذلك كيف يمكن له تسليم مورد الاجارة وايجاده فلايمكن معه تصحيح الاجارة فلا تصل النوبة الى الأمر الاجاري حتى يبحث في امكان التقرب به، فمع الغض عن رفع تلك الغائلة بالداعي على الداعي أو نحوه لايمكن تصحيحها. وليس الاشكال في المقام نظير الاشكال في التعبدي والتوصلي أي ليس

الاشكال في ان المكلف عاجز عن العمل من قبل فقد الأمر حتى يقال: ان القدرة معتبرة وقت العمل والأمر محققها. بل الاشكال في ان التنافي الواقعي الحاصل بين الاخلاص وأخذ الأجر في مقابل العمل يوجب بطلان الاجارة، وهذا العجز الآتي من قبل التنافي الواقعي لايعقل رفعه بالأمر الاجاري، فالمقايسة بين البابين في غير محلها.

ثم ان اشكال الدور وجوابه وان كان راجعاً الى باب النيابة لكن مناطه موجود في المقام، وسيأتي الكلام في النيابة.

ثم انه يرد على القائل بتصحيح العبادة بالامر الاجاري أيضاً بأن مورد الأجارة على المفروض هوالواجب العبادي، فالعبادية مأخوذة في موضوع الاجارة ومورده؛ ومعنى العبادية مع قطع النظر عن الوقوع مورد الاجارة ان يكون المأتي به بداعوية الامر المتعلق به أو كونه لله تعالى من غير جهة تعلق الاجارة وأمرها. والوفاء بهذا العقد لايمكن أن يكون بإتيان الذات بقصد الأمر الاجاري، لان المأتي به بقصده لم يكن متعلق الاجارة حتى يكون ايجاده كذلك وفاءً بالعقد ومتعلقاً للأمر بالوفاء. و بالجملة لابُدَّ من محفوظية عباديتها قبل تعلق الإجارة، ومع الغض عن أمرها لكون العبادية بماهي مأخوذة في موضوعها وفي مثله لايمكن الوفاء إلا مع الإتيان بالعبادة بما هي عبادة بغير الأمر الاجاري.

(نعم) يمكن ايقاع الاجارة بما يقع عبادة من قبل الأمر الاجاري أو الأعم منه لكنه خروج عن موضوع البحث في المقام.

ثم ان المعروف في جواب الاشكال عن المنافاة للاخلاص طولية داعي الامتثال عن داعي أخذ الاجر فلا منافاة.

وقد ردّ ذلك تارة بمنع الطولية، واخرى بمنع اجدائها وخلاصة ماأفاده بعض أهل التحقيق في منع الطولية ان مورد الاجارة هوذات العمل العبادي فينحل الى الذات وحيثية الامتثال والعبادية، والمؤجر يأتي بالذات بداعي تحقق المستأجر عليه وداعي الامتثال فيكون من التشريك في اصل الفعل، لا من قبيل غاية الغاية. والحاصل ان تحقق عنوان المستأجر عليه يتوقف على حصول أمرين ذات العبادة وعنوان الإمتثال والآتي بالذات إنما يأتي بها بقصد تحقق عنوان المستأجر عليه وقصد امتثال امر الله ليتحقق كلا الجزءين من المستأجر عليه فيكون من قبيل التشريك في القصد لاداعي الداعي «إنتهى».

(وفيه) ان مورد الإجارة هو العمل بداعي الامتثال ومعناه ان جعل الأجر في مقابل العمل المأتي به بداعوية الامتثال، أيْ يكون الامتثال تمام الداعي والمحرك له فلو أتى به بداعيين داعي الإمتثال وداعي تحقق عنوان المستأجر عليه: لم يكن آتياً بمورد الاجارة والموضوع المستأجر عليه ولم يكن فعله وفاء بعقدالاجارة، ومعه كيف يمكن التشريك في مقام الوفاء مع كونه رافعاً له ومعدماً لموضوعه.

و بعبارة اخرى ان عقد الاجارة في مثل المقام لاينحل الى عقدين ولا الإجارة الى اجارتين حتى يقال ان لذات العمل وفاء أتى بداعي الامتثال ام لا وللامتثال وفاء. بل وقعت الاجارة على عمل خاص لايمكن إيجاد

موردها بلا تلك الخصوصية، وهي العمل الذي يتحقق بمحركية أمره فقط أو كونه لله خالصاً وفي مثله لايمكن إيجاده بلا داعٍ إلهي أو بداعٍ مشترك فلا محيص في مقام الوفاء إلا بإتيانه بداعي الله وان كان هذا بداعٍ آخر في طوله، فالطولية مقتضى ذات تعلق الاجارة بالعمل بداعي الله لايمكن سلبها عنها هذا هو التحقيق في الجواب.

وأما مايقال في دفعه: ان ذات المقيد والقيد ملحوظان بالمعنى الحرفي في مورد الاجارة لا بالمعنى الاسمي فلايكون شيء منهما مورداً للغاية وللاجارة، فمع عدم وجاهته ضرورة ان مورد الاجارة الصلاة المتقيدة وهي ملحوظة استقلالاً وباللحاظ الإسمي: ان الأخذ حرفاً أو إسماً أجنبي عن دفع الاشكال فلا الإسمية في اللحاظ مضر بالمقصود ولا الحرفية دافع للاشكال على فرض وروده.

ثم ان المحقق المستشكل أورد إشكالاً آخر و يظهر من بعض تعبيراته وتنظيراته ان اشكاله كبروي وفي عدم اجداء الداعي على الداعي، ومن بعض تعبيراته ان اشكاله صغروي وفي عدم كون المقام من قبيل داعي الداعي، ويحتمل ان يكون مراده ان داعي الداعي مرجعه الى التشريك ونقص العلية. وكيف كان لا بد من [illegible] أو الاحتمالات. وسيأتي ان شاء الله الكلام في الكبرى.

وحاصل ما أفاد في منع الصغرى انه ليس المراد بقولنا يجب إتيان الفعل بداعي الامتثال الأعم من كون الامتثال بنفسه داعياً أو باعتبار ما اكتنف به من العوارض مثل كونه مستعقباً أو موجباً لأمر كذا فانها عوارضه. وبعبارة اخرى الأعم من أن يكون القرب والامتثال علة تامة أو ناقصة للفعل بل لابد وان يكون علة تامة، والمقام ليس كذلك فان الامتثال يصير علة ناقصة اذا كان الغرض منه حصول مايترتب عليه فان عليته من حيث ترتب الأثر عليه بحيث تنتفي بفرض انتفائه وهو معنى نقص العلية، فان معنى تمامها ترتب المعلول عليه، ولو فرض انتفاء كل موجود ووجود كل معدوم؛ والحاصل ان اعتبار خصوصية في الغاية تنتفي غائيتها بانتفائها ينافي عليتها التامة وتصير ناقصة «إنتهى مورد الحاجة».

أقول: لاينبغي الريب في ان العلة لا تؤثر في التكوين لايمكن أن تكون ذات العلة بقيد ترتب الاثر عليها أو كونها مستعقبة أو موجبة للأثر بحيث أن تكون العلة مركبة من الذات وأحد العناوين والقيود المذكورة، للزوم تقدم الشيء على نفسه وكون الشيء من قيود علة نفسه، ان كان المراد الاستعقاب والإيجاب الواقعيين وبالحمل الشايع. وان كان المراد بها العناوين فضافاً الى عدم امكان تأثيرها وجزئيتها للأثر الوجودي: يلزم منه أن يكون المتأخر متقدماً، لأن تلك العناوين بما أنها من المضايقات لايمكن انتزاعها إلّا بعد فعلية العلة ووجود المعلول، فتكون انتزاعها من العلة والمعلول في رتبة واحدة. ومقتضى دخالتها في العلية تقدمها على المعلول مضافاً الى لزوم كون المتضايفات غير متكافئات.

ثم بعد ما ثبت ان العلة للمعلول نفس ذاتها بلا دخالة تلك القيود اذا فرض كون أثر غاية

لإيجاد الفاعل علته، فلا محالة يكون تصور الأثر والتصديق بفائدته ولزوم تحققه منشأً لتحريك الفاعل نحو علته ليس إلا لعدم امكان داعوية العلة الغائية الى غير ما يترتب عليه إلّا خطأً وغلطاً، فلا محالة اذا رأى الفاعل ان الأثر مترتب على الذات بلا قيد يصير منبعثاً اليها فقط وهو واضح. فحينئذ نقول ان الأجر دنيوياً أو أخروياً إلهياً أوخلقياً إذافرض ترتبه على عبادة بما هي عبادة فلا محالة تكون العبادة بما هي عبادة علة لترتبه عليها لا بما أنها مستعقبة للأثر أو موجبة لها لما تقدم محذور القيدية.

فعليه لايمكن أن يصير الأثر علة غائية لغير العبادة بما هي التي هي تمام العلة للأثر الذي هو فائدة وجوداً وعلة فاعلية الفاعل ماهية وتصوراً.

فالقول بكون الإمتثال علة ناقصة، اما لأجل أن تلك العناوين شريكة معه في العلية فقد تقدم استحالته، أو لأجل ان العلة وان كانت ذاته بذاته لكن الغاية تدعو الى العلة وغير العلة: فقد اتضح امتناعه فلامناص عن أن تكون الغاية علة للفعل بغاية الامتثال أي بمحركيته وداعويته بلا دخالة شيء آخر وهو المطلوب. فاذا كانت الأجرة بازاء العمل بداعي الامتثال وكان الأجير بصدد تسليم مورد الاجارة لأخذ الاجرة بإزاء المستأجر عليه فلامحالة ينقدح في نفسه الداعي الى ايجادالعمل لله وبباعثية الأمر العبادي بلا تشريك فيه لما عرفت من امتناعه. وبما ذكرناه يظهر النظر في الاحتمال الثالث في كلامه.

ثم ان ما ذكره في معنى العلية التامة صحيح لكن لايراد بذلك إلا أنها بذاتها بلا ضم ضميمة اخرى وشريك في العلية علة ومؤثر، لا انها علة حتى مع عدم علة نفسها. إذ مع عدمها تعدم (نعم) لو فرض محالاً وجودها بلا علة تكون مؤثرة وموجدة للمعلول وفي المقام انتفاء الداعي الأعلى يوجب انتفاء ذات الداعي المعلولة لا انتفاء شريكها مع بقاء ذاتها.

ان قلت: قد قرر في محله ان الجهات التعليلية ترجع الى الجهات التقييدية وان الغايات عناوين الموضوعات ولذا كان التحقيق بناء على وجوب المقدمة وجوب الموصلة منها بمعنى ان الواجب هوالموصل بما هو موصل، لان الايصال الى ذي المقدمة غاية وجهة تعليلية فترجع الى الجهة التقييدية فتتعلق الارادة بالموصلة بعنوانها من دون دخالة شيء آخر، ففي المقام لما كان أخذ الأجر غاية، لابد وان يكون عنواناً للموضوع وحيثية تقييدية له فلا محالة يكون تمام الداعي لايجاد الفعل أخذ الأجر فيمحض الفعل في غير الله، ولا شركة لأمر الله وداعي الله فيه رأساً.

قلت: هذه مغالطة نشأت من مقايسة ارادة الفاعل ومقدماتها على ارادة الأمر والمشرع، أوقياس ارادة الفاعل ومقدماتها على حكم العقل على الموضوعات العقلية وهو قياس باطل ومع الفارق. فان حكم العقل وكذا ارادة المشرع المنكشفة بها موضوعها العناوين، فاذا أدرك العقل الملازمة بين وجوب ذي المقدمة والمقدمة الموصلة بكشف حكم الأمر على هذا العنوان أي الموصل، لأن الغايات في الأحكام العقلية موضوع بحسب الواقع والجهات التعليلية ترجع الى التقييدية وبالجملة يكشف العقل

بادراك الملازمة وجوباً شرعياً على عنوان الموصل وهذا وجوب شرعي مستكشف بالعقل بناء على الملازمة.

واما الفاعل فلم تتعلق ارادته على العناوين والطبايع الكلية في إيجاد الأمر الخارجي ولو تعلقت أحياناً بها لايكفي تعلقها بها للايجاد المساوق للتشخص فلامحالة تنشأ من ارادته المتعلقة بالطبايع ارادة متعلقة بما يريد بمباديها بتوسط بعض الصور الموجودة في الذهن فاذا اعتقد ان الأثر الكذائي المطلوب مترتب على وجود كذا فلا محالة يصير تصور تلك الغاية مع سايرالمبادئ باعثاً له نحو العلة أي الذات التي يترتب عليها الأثر بنفسها لابقيد وعنوان، فان المفروض ان العلة هي الذات لاشيء آخر، فلا محالة ينبعث نحوها فتصور العطشان ان رفع العطش مترتب على شرب الماء بلا ضم ضميمة وتصديقه به يبعثه مع سايرالمبادىء الى ذات شربه بلاضم ضميمة أجنبية عن التأثير وهو واضح.

وقد مر ان المؤثر في المعلول ذات العلة ولا يعقل أن تكون العلة ذاتها المتقيدة بترتب الأثر عليه، ففي المقام يكون ما قابل الأجر الصلاة بداعي امر الله تعالى فلا محالة يكون الاجر داعياً ومحركاً الى ذات الصلاة بداعي الله تعالى من غير امكان دخالة الأجر واشتراكه مع داعي الله في اتيانها، للزوم تأخر المتقدم وتقدم المتأخر بالذات.

وان شئت قلت ان تصور أخذ الأجر علة فاعلية الفاعل بسايرالمبادئ لايجاد الصلاة بداعوية أمرها، والصلاة بداعوية أمرها يترتب عليها الاجر فلايعقل تجافي علة فاعلية الفاعل عن مقام عليتها وتقدمها ووقوعها في رتبة داعوية امر الصلاة لايجادها. والانصاف ان القول بالتشريك أو التمحض في غيرالله تعالى بالبيان المتقدم: غير وجيه، بل دعوى أمر غيرمعقول كما مرّ.

ثم انه على تسليم الداعي على الداعي أوردوا عليه بعدم اجدائه في وقوع الفعل امتثالاً وقريباً حتى قال: بعض الاعاظم[٧] انه لوكان هذا اشكالا لكان اولى واحق من ان يكون جوابا. وحاصل دعواهم ان الامتثال والتقرب متوقفان على وقوع جميع الدواعي الطولية والعرضية إلهيه، ومع كون بعض ما في السلسلة غير إلهي لايقع الفعل عبادة، وفرقوا بين الغايات المترتبة على الأفعال بجعل إلهي وغيرها بأن ماكان بجعله تعالى يرجع اليه ولم يضر بقربه دون ما كان لغاية غير الله تعالى. و بالجملة بعد تسالمهم على صحة العمل اذا كان الإمتثال للطمع في أجر الله والخوف من عقابه استشكلوا في الغايات المتوقعة من غيره تعالى.

أقول: قبل الورود في الجواب لابد من التنبيه على أمر وهو ان في المقام قد يكون الداعي الى امتثال أمر الله تاماً مستقلاً في نفسه بحيث ينبعث المكلف منه سواء كان في مقابله أجر أم لا، وقد يكون الداعي اليه مفقوداً بحيث لو لا الأجر لما كان آتياً بالفريضة، وقد يكون الداعي اليه ناقصاً وضعيفاً لايصلح للبعث و يتم بالأجر. وكذا الداعي الى أخذ الأجر قديكون مستقلاً تاماً وقد يكون ضعيفاً ناقصاً أو مفقوداً. فتصوير الداعي على الداعي يأتي في بعض

الصور لاجـميعها، ومع رفع الاشكال عما هي أسوأ حالاً من الجميع يتم المطلوب وهي الصورة التي لاداعي للفاعل أصلا لإتيان الفريضة، وانما يتحقق داعيه بواسطة الاجرة بمعنى ان الفاعل لايهتم بأمر الشارع والعياذ بالله لكن يهتم بعقوده وعهوده لمروّته.

ثم لو فرض بقاء الاشكال في هذه الصورة لايلزم منه الحكم ببطلان جميع الصور المتقدمة، ضرورة ان من لاينبعث بالأمر الاجاري ولايكون الأجر أيضاً داعياً له ولو بنحو ضعيف لا يقاس في البطلان بمورد الداعي على الداعي.

فلو فرض ان الفاعل لايؤثر في نفسه الاجرة رأساً و يأتي بمورد الإجارة لداعوية الصلاة فقط لاوجه للحكم ببطلانها سواء قلنا بصحة الداعي على الداعي أم لا. بل لو كان الداعيان مستقلين أو داعي الصلاة مستقلاً وداعي الأجر ضعيفاً يمكن القول بالصحة ولو قلنا ببطلان مايأتي بالداعي على الداعي، لانه من قبيل الضميمة المباحة كما نسب القول بالصحة في مثلها الى كاشف الغطاء اذا كان الداعيان مستقلين ومال اليه شيخنا العلّامة أعلى الله مقامه. والأولى بالصحة فرض ضعف الداعي الغير الإلهي وان كان الفرضان لا يخلوان من اشكال سيا الأول منها.

وكيف كان لو فرض في المقام عدم الداعي الإلهي رأساً في نفسه ودعاه الى العمل بداعي الله الأجرة فهل الداعي على الداعي يوجب صحته أم يعتبر فيها أن يكون جميع الدواعي الطولية والعرضية إلهية.

وان شئت قلت: لاشبهة في ان الأمر بنفسه في شيء من الموارد لايكون محركاً و باعثاً تكوينياً نحوالعمل، بل هو انشاء البعث الاعتباري. فان هيئة الأمر وضعت لإيقاع البعث نحو المادة. وأما عليتها تكوينياً للانبعاث فغير معقول وإلّا لزم عدم تفكيك العمل عن الأمر وهو كما تـرى. بل تصور الأمر أيضاً ليس محركاً ما لم يكن في نفسه مبـاه آخر كالخوف والطمع والحب والمعرفة. فحينئذ يقع الكلام في ان المعتبر في العبادة ان تكون تلك المبادئ الموجودة في النفس الباعثة لإيجاد متعلق الأمر امتثالاً له تعالى كلها مربوطة به تعالى فيكون خوفه من الله ورجاؤه اليه وطمعه في اعطائه تعالى باعثاً لاطاعته ومحركاً له، أم لايعتبر فيها إلا كون العمل لله تعالى خالصاً بلا شركة شيء معه فاذا صارشيء دنيوي سبباً لايجاد عمل لله تعالى، ولا يكون في اتيان الفعل بداعي الله شريكاً وان كان الإتيان بداعي الله معلولاً لداعي غير الله يقع الفعل عبادة.

التحقيق هوالثاني لأن الإمتثال والإطاعة عقلاً ليسا غير اتيان المأمور به حسب دعوة الأمر ولأجل موافقته كان الباعث الأقصى عليه ما كان. وكون نفس الأمر محركاً بلا غاية اخرى ومبـاه آخر: محال، لأن كل فعل اختياري لابد له من مبـادئ كالتصور والتصديق بالفائدة وادراك لزوم ايجاده واصطفائه وارادته، والأمر بما هو ليس محركاً تكوينياً ولا مترتباً عليه بما هو فائدة. ولو فرض في مورد ترتبها عليه يكون مبدأ المحرك والغاية الباعثة هي تلك الفائدة، لا نفس أمر الأمر بماهو فلابد في تحرك المكلف حسب دعوة الأمر من غاية وتلك الغاية لايعقل ان تحرك

العبد إلا نحو امتثال الأمر واطاعة المولى فتحقق الامتثال والطاعة مما لابد منه وإلا لتخلفت المتحركية عن المحركية والمعلول عن العلة؛ ولا يعتبر في العبادة عقلاً إلا وقوع الفعل امتثالاً واطاعة لله تعالى وكان تحرك العبد حسب دعوة أمره بلا شركة شيء آخر في هذه الرتبة.

وبالجملة، إذا كان الإتيان للامتثال والاطاعة محضاً وبلا دخالة شيء فيه يصير العمل عبادة، لأن العبادة إطاعة المولى وحركة العبد على طبق أمره كانت الغاية لها ما كانت، وقد عرفت بما لا مزيد عليه امتناع اشتراك الغايات في ترتب الآثار على ذي الغايات بل هي علة العلة لا شريكتها، والشاهد على عدم اعتبار شيء آخر في صيرورة الفعل قربياً وعبادياً مضافاً الى ماذكر الأدلة المرغبة في العبادات بالوعد على ترتب آثار اخروية أو دنيوية عليها وتسالمهم على صحة العبادة اذا كان الاتيان والاطاعة بطمع الجنة أو لخوف النار بل بطمع سعة الرزق ونحوها مع ان كل ذلك خارجة عن الإلهية والغايات المذكورة غير الله تعالى.

وما يقال: ان طمع الاجر ان كان من الله والخوف ان كان من عذاب الله فهو غير مضر بالاخلاص دون ما كان الإتيان لطمع في غير الله تعالى كحطام الدنيا ومنها الاجرة (غير وجيه)، لان الداعي ليس عبارة عما يخطر في الذهن بل عبارة عن الغاية المحركة حقيقة، ولاينبغي الريب في ان المحرك في تلك العبادات المأتي بها طمعاً وخوفاً: هو نفس متعلقات الإضافات وحاصل المصادر والنتائج من غير أدنى دخالة للاضافات وحيث الصدور من فاعل خاص، ولهذا صارت محركات مع فرض سقوط الاضافة الى الله بل مع الاضافة الى عدو الله تعالى.

توضيح ذلك ان اعطاء الله تعالى الحور العين بازاء عبادة ينحل الى حصول الحور والاعطاء واضافته اليه تعالى والمحرك للفاعل الذي طمعه ترتب تلك الفائدة على عمله لايخلو اما أن يكون نفس حصول الحور العين له استقلالاً من غير دخالة اضافة الله تعالى والاعطاء أي المعنى المصدري، أونفس الاضافة اليه تعالى فقط من غير دخالة للمضاف اليه والمعنى المصدري أو نفس المعنى المصدري بلا دخالة غيره، أو يكون محركه مركباً من الحور والاضافة اليه تعالى بمعنى ان المضاف بما هو مضاف أو الاضافة الخاصة علة، الى غير ذلك من انحاء التركيب الثنائي أو الثلاثي، فهي غير مورد واحد وهو كون تمام العلة الاضافة الى الله تعالى بحيث لايكون نظر الفاعل الى المتعلق إلا كونه كرامة الله تعالى و يكون تمام المحرك حيث الإنتساب اليه جلّ وعلا يكون لغير الله دخالة في التحريك والإيجاد اما بنحو تمام العلة أو بنحو الاشتراك والجزئية هذا بحسب التصور.

واما بحسب الواقع فلا يمكن حصول تلك المرتبة الرفيعة إلا لخلص أولياء الله تعالى والمحبين المجذوبين له تعالى بحيث كان تمام نظرهم اليه لا الى غيره وكان ماوراءه تعالى من الجنة وغيرها منفولاً عنها وهم غافلون عن غير الله و يشتغلون به عن غيره صلى الله عليهم.

واما غيرهم من متعارف الناس فلا يكون محركهم إلا النتائج ومتعلقات الاضافات ولهذا

لو فرض اعتقادهم بترتب تلك الآثار المطلوبة على أفعالهم من غير توسيط فاعل ومن غير ربط أو اضافة الى أحد لأوجدوها طمعاً للآثار وحرصاً على الشهوات والمستلذات.

فلو فرضنا ان مفاتيح الجنة والنار بيد عدو الله الشيطان الرجيم «والعياذ بالله» وكان هو معطي الجنة ومدخل النار وكانت طاعة الله تعالى وعصيانه بلا جزاء أصلاً، لكنه تعالى أمر أن يعبدوه بلاجزاء وان لايعصوه بلاعقاب على عصيانه وأمر بمخالفة الشيطان ونهى عن طاعته، وكان الشيطان أمر بمخالفة الله تعالى ونهى عن طاعته، وأعطى للمخالفين له تعالى الجنة وأدخل المطيعين له تعالى النار: لعلم اولو الالباب ان المطيع لله تعالى على الفرض كالكبريت الأحمر أو أندر منه.

ولعمري ان هذا واضح لمن تأمل في غايات أفعاله وتدبر في حالات نفسه ومكائدها وليس هذا معنى دقيقاً عرفانياً خارجاً عن فهم الناس بل شيء يعرفونه مع التنبيه على المحرك الأصلي في الأعمال وتميزه عن غيره.

فالاضافة اليه تعالى اما ساقطة رأساً وكان المحرك التام هو رجاء الوصول الى المشتهيات النفسانية والنيل الى الشهوات والأهواء أو الخوف من التبعات والعذاب، كما ان الأمر كذلك بحسب النوع، اولها نحو دخالة ضعيفة أوقوية على حسب مدارج العاملين وهو مقام المتوسطين. وأما الخلوص التام فلا يناله إلا كمّل الاولياء بل لا يصدقه إلا الأوحدي من الناس، جعلنا الله منهم، وعصمنا الله من انكار مقامات أوليائه عليهم صلواته.

والى ما أشرنا اليه يشير ما ورد عن المعصومين(ع) من تقسيم العبادة تارة الى عبادة الأجير وعبادة العبيد وعبادة الأحرار، واخرى الى عبادة الحرصاء وهو الطمع والعبيد والأحرار، إذ من المعلوم ان الأجير لايكون مطمح نظره في العمل إلا النيل بالأجر و يكون عمله خالصاً لأجل الأجرة من غير دخالة الإضافات، والحريص يرغب الى المال من أي طريق حصل ولا دخالة في اخماد نار حرصه للاضافات.

ومن كان ناظراً الى اضافة الله والى كرامة المولى لا الى متعلقاتها فهو ليس من الاجراء ولا الحرصاء، بل هو من العرفاء بالله والمخلصين من أوليائه تعالى.

فتحصل من جميع ذلك صحة صلاة الخائف والطامع وهي دليل على ان العبرة في الصحة ليست إلا اطاعة أمر الله تعالى بلا تشريك غيره فيها، ولا ينظر الى غايات محركة للطاعة والعبادة.

وان شئت قلت انه بعدما كان الداعي ليس عبارة عن الخطور بل هوالمحرك و بعد ما كان المحرك التام وعلة فاعلية الفاعل بحسب متن الواقع هو الخوف من العذاب أو الطمع الى المشتهيات بلا دخالة شيء آخر فيه وانما يقال: أفعل كذا لأن يدخلني الله الجنة أولخوف الدخول في نار الله، لمجرد كون المورد كذلك. وان الجنة والنار بيدالله وتحت قدرته، لا لأن العلة لايجاد الجنة مع تلك الاضافة أو نفس الاضافة وهو نظير أن يقال: ان الشمس في الفلك الرابع مشرقة والنار في جهنم محرقة حيث لايراد نفي علية الشمس والنار بذاتها، بل بيان للمورد

والواقعة.

فاذا كان الامر بحسب الواقع في متعارف الناس والمكلفين كذلك لا يعقل أمرهم بما هو خارج من تحت قدرتهم، ضرورة ان حصول الخلوص التام طولاً وعرضاً لا يمكن لمتعارف الناس؛ بل ولا لخواصهم إلا من عصمه الله تعالى فلو كان الاخلاص التام معتبراً لسقط التكليف عن عامة الناس لعجزهم عنه، مع انه لو كان الامتثال والعبادية لايحصل إلا بالخلوص الكذائي كان على الله تعالى وأوليائه(ع) بيانه وارشاد الناس اليه وتكليفهم به، لاالترغيب فيما يضاده و ينافيه، مضافاً الى ان في الآيات والروايات ما تدل على ان للاعمال الحسنة آثاراً ولوازم في النشأة الآخرة كظاهر قوله تعالى: فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره.[8] (الخ) وقد ورد حديث[9] عن أميرالمؤمنين عليه السلام ان هذه الآية أحكم آية في كتاب الله فعليه يكون ظاهرها مراداً بلا تأول. والظاهر منها ان عمل الخير بنفسه مورد الرؤية و يؤكده قوله: (يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم)[10] فيظهر منها ان الأعمال بنفسها متجسدة مرئية فيها والناس متلذذ بها. فلو فرض ان الآتي بالصلاة لله تعالى والمجيب لدعوة أقم الصلاة إنما يأتي بها و يطيعه تعالى طمعاً للوصول الى الصورة البهية اللازمة لعمله فهل يمكن أن يقال: عمله باطل أو يقال للجنة خصوصية.

فلو قيل: ان أمثال ذلك خارج بدليل قلنا: مرجع هذا الى عدم اعتبار الخلوص فيها وان تلك الأفعال ليست بعبادة وهو خلاف الضرورة، فان الإجماع بل الضرورة على اعتبار الخلوص في العبادات وقصد غيرالله مضر بها،فيكشف منها ومما ذكرناه عقلاً ونقلاً انه لا يعتبر في العبادية إلا الخلوص في نفس العمل، أي كونه امتثالاً له تعالى من غير تشريك في هذه الرتبة ولا ينظر الى مبادىء التحريك .

و يؤيد ماذكرناه بل يدل عليه اطلاق أدلة الامر بالمعروف فان المعروف ان كان من العبادات والمكلف التارك كان غير منبعث عن أمر الله تعالى فأمره والده أو من يحتشم منه أو من يحبه، ولا يرضى بمخالفته واقعاً فأتى بالتكليف الإلهي وامتثل أمر الله اطاعة لوالده أو غيره لابد وان تقع صحيحة وإلا لزم أن يكون الأمر بالمعروف معدماً لموضوعه بل موجباً لانقلابه بالمنكر، فان اتيان العمل العبادي لغير الله من المنكرات. وليس المراد بالأمر بالمعروف الموعظة الحسنة بل المراد به وما هو الواجب الأمر المولوي لغرض البعث به، ولهذا لايجب اذا لم يحتمل التأثير فان معه لا يمكن الأمر حقيقة.

و بالجملة لاشبهة في وجوب الامر بالمعروف فلابد وان يكون الإنبعاث ببعث الآمر في طول الإتيان بالعمل عبادة واطاعة لله تعالى غير مضر بالعبادية وهو المقصود.

و يؤيد عدم مضرية وقوع الشيء طاعة وامتثالاً مع عدم رجوع جميع السلسلة الى المطاع امر الله تعالى باطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واولي الأمر(ع)، فلو خرج المأتي به بواسطة كون الغاية إطاعة أمر الله تعالى عن طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و أولي الامر(ع) لزم امتناع تعلق الأمر بها لكونه معدماً لموضوعه.

وليس المراد باطاعتهم أخذ الأحكام منهم أو العمل بالأحكام الشرعية الإلٰهية التي كانوا مبينين لها، لان كل ذلك ليس إطاعة لهم بل المراد اطاعة اؤامرهم السلطانية الصادرة منهم بما هم حكام وسلاطين كالأمر بالغزو والجهاد وغيرها من شؤون السلطنة كما فصلناه في رسالة «لاضرر»، و بالجملة فالقائل ببطلان العبادة في الموارد المذكورة ومنها مورد البحث، اما يقول بعدم صدق الطاعة في تلك الموارد فيرده العقل والنقل، واما أن يدعي مع صدقها عدم صدق العبادة فيرده ايضا العقل والنقل. فان اطاعة امرالله تعالى وامتثاله خالصا بمعنى عدم التشريك في اتيان العمل وعدم كونه لغير الله ولو بنحو جزء العلة عبادة له تعالى، واما أن يقول باعتبار شيء زائد في حصول التقرب وسقوط الأمر العبادي فهو مع بطلانه خلاف الفرض والمبحوث عنه في المورد.

الهوامش

(١) في القسم الخامس مما يحرم التكسب به من التجارة ــ في مايجب على الانسان فعله.

(٢) في القسم الخامس مما يحرم التكسب به من المتاجر ــ فيما يجب على الانسان فعله ص ٩٢.

(٣) في القسم الخامس ــ مما يحرم التكسب به من المتاجر ــ فيما يجب على الانسان فعله ص ٩٢.

(٤) في القسم الخامس مما يحرم التكسب به من التجارة ــ فيما يجب على الانسان فعله.

(٥) سورة المائدة ــ الآية ١.

(٦) هو العلامة الميرزا الشيرازي الثاني رحمه الله.

(٧) هوالمحقق النائيني رحمه الله.

(٨) سورة الزلزال ــ الآية ٧.

(٩) راجع مجمع البيان ــ في تفسير هذه الآية.

(١٠) سورة الزلزال ــ الآية ٥.

الاجتهاد في مدرسة أهل البيت

الشيخ محمد علي التسخيري

بحث مقدم الى الملتقى السابع عشر للفكر الاسلامي في الجزائر والذي عقد من ١٥ ـ ٢١ شوال عام ١٤٠٣ هـ. ق.

يمكن تقسيم البحث في الموضوع الى أربعة فصول:

١ ــ حديث عام حول الاجتهاد.

٢ ــ تاريخه لدى مدرسة أهل البيت(ع).

٣ ــ خصائص المدرسة اليوم.

٤ ــ الإجتهاد والثورة الاسلامية.

أولاً: حديث عام حول الإجتهاد

والذي يهمنا فعلاً منه ما يمهد للفصل التالي.

التعريف: وهو مأخوذ من الجهد، وبذل الوسع للقيام بعمل ما. وحين ننتقل الى المعنى المصطلح نجد ان له معنيين:

عام وخاص.

اما المعنى العام: فقد قيل إن الإجتهاد وهو (استفراغ الوسع في تحصيل الظن بالحكم الشرعي)[1].

ولدى الاعتراض بخصوصية أخذ الظن ــ والمقصود به المعتبر قطعاً ــ عدل الى ذكر العلم، فعرّفه الخضري بأنه: (بذل الفقيه وسعه في طلب العلم بأحكام الشريعة)[2].

واذا اريد لهذا التعريف ان يسلم من بعض الاعتراض لزم ان يراد بالعلم: العلم الوجداني، والعلم التعبدي، أو يراد بالحكم ما يعم الحكم الواقعي أوالظاهري. إلّا ان التعريف يبقى ناقصاً لعدم شموله عمليات استنباط الوظيفة العملية العقلية، ولذا عرفته المدرسة الأصولية الحديثة بأنه؛ (ملكة تحصيل الحجج على الأحكام الشرعية أو الوظائف العملية شرعيةً أو عقليةً)[3]، فهو يشمل كل جهد يبذل للتوصل الى أحكام الشريعة.

اما المفهوم الخاص للاجتهاد: فقد ذكروا له تعريفات تنتهي الى ان المراد به هو (الرأي) الذي يقف الى جنب الأصول الفقهية الاخرى وله مصاديق مختلفة؛ كالقياس والاستحسان على أحد معانيه. ولكي لا يمتلك جانب الرأي الشخصي غير المسموح به فقد عرفه الدكتور خلاف بأنه؛ (بذل الوسع للتوصل الى الحكم في واقعه لا نص فيه بالتفكير، واستخدام الوسائل التي هدى الشرع اليها للاستنباط بها فيما لانص فيه).

واذا قبلنا هذا التعريف، عاد النزاع حول الإجتهاد بالمعنى الخاص نزاعاً حول ما اذا كان الشارع قد سمح بالرأي كمنبع أصيل للفقه فيما لانص فيه طبعاً أم لا؟

أمّا اذا أُريد منه اعمال النظر في الإستفادة من المنابع الأخرى فقد دخل في الإجتهاد العام ولم يتفرد بخاصية معينة، فاذا عرفنا الإستحسان ـ مثلاً ـ بأنه تقديم أقوى الدليلين لم يكن الاستحسان مصدراً رئيسياً بقدر ما هو تعيين للحجة الفعلية من اللا حجة.

فالنزاع إذن ينصب حول جعل الرأي منبعاً أصيلاً طبعاً اذا كان يؤدي الى الظن ـ اما ما أدى الى القطع فلا ينازع في حجيته إلا البعض ممن يرفضون حجية القطع اذا أنتجه إعمال الرأي، ومدرسة أهل البيت معروفة بموقفها المعارض من هذا النوع من الاجتهاد.

اما اعتمادها على العقل كأصل رابع فهو اعتماد على ما أدى فيه الحكم العقلي الى القطع بالحكم أو فلنعبر ما كشف العقل فيه عن الحكم الشرعي قطعاً، وان كانت بعض المسالك ترفض حتى مثل هذا القطع كما ستأتي الإشارة اليه.

ولا أجدني الآن بصدد الإستدلال لهذا الموقف أو ذاك بقدر هدفي في التعريف بهذه المدرسة الفقهية العريقة.

ضرورة الاجتهاد: اذا لحظنا معنى الاجتهاد في كونه عملية تحديد الموقف تجاه الشريعة تحديداً استدلالياً، ادركنا بكل بساطة ضرورة عملية الاجتهاد. وبشيء من التحليل وملاحظة النقاط التالية ندرك لاضرورة الاجتهاد فحسب بل تزايد هذه الضرورة يوماً بعد يوم، وما دام في الأرض انسان يعمل الاسلام على قيادته نحو السعادة.

وقبل كل شيء يجب أن نقول اننا نتحدث عن الاجتهاد وبالمعنى العام هنا. اما النقاط التي يجب ملاحظتها فمنها:

أولا: ان الشريعة إنما اعطيت في المجموع الكلي للكتاب والسنّة وبصورة تفرض الحاجة لجهد علمي

في دراستها ومقارنتها. فهناك العام والخاص، والمطلق والمقيد، والناسخ والمنسوخ، والحاكم والمحكوم، والوارد والمورود،وهناك التعارض والتزاحم في التطبيق وغير ذلك كثير كثير من الأمور التي تستدعي حالة خبرو ية مجهدة.

ثانياً: وتزداد هذه الحاجة كلما ابتعد الشخص عن زمن صدور النص، وهذا الفاصل الزمني يحمل في طياته الكثيرمن المضاعفات كضياع بعض النصوص، ونسيانها، ودخول الموضوع بينها وتغير كثير من أساليب التعبير، وقرائن التفهم وغير ذلك مما يتطلب الفحص والدقة والجهد المستمر.

ثالثاً: وان تطور الحياة وتعقدها يصحبه انطراح عدد كبير من الوقائع التي لم يرد فيها نص خاص مما يوجب الرجوع الى القواعد العامة... وبنفس المستوى نجد الاسلام يواجه أسئلة متكررة تطرح مدى القبول بالانفتاح على بعض النظم المستوردة أو المتحدية له والآتية من عقول البشر (شرقيهم وغربيهم).

رابعاً: وان الاسلام رسالة حياة وتنظيم خالد لكل شؤون المجتمع وحينئذ فهناك مواقع في عملية التربية الكبرى لايمكن تسليمها إلا لمجتهد بالشريعة عالم بخفاياها وروحها وتعاليمها حتى يملك كلمة الفصل من خلال ذلك، فالقيادة والقضاء مثلاً لا تتمان من دون فقيه ومجتهد متضلع في الشريعة.

ويمكننا بعد هذه النقاط أن نسرد عناصر أخرى ولكننا نكتفي بما ذكر لنقول ــ بأختصار ــ ان الاجتهاد ــ في الواقع ــ يعني: ــ

ابقاء الروح الاسلامية الفعّالة الحركة المواكبة للتحول،

والموفرة للقدرة على الخلود،

ونفي الجمود الممتد،

وتعميق الاستفادة الأكبر من تعاليم الاسلام،

وضمان الوصول الأقرب الى واقعه،

وتقديم الحلول الأنجع للحياة الانسانية، والأجوبة المحكمة للأسئلة الحادثة المتجددة،

وقطع الطريق على المتطفلين على عملية ابداء الرأي في الأحكام ممن امتلكوا أبواق الدعاية وكراسي السلطة وراحوا يفتون هنا وهناك وهم لا يملكون أي تخصيص في ذلك[1]،

والممر المحاسب والمسيطر على كل مايراد ادخاله الى الاسلام من تصور وحكم، أو الى المجتمع الاسلامي كنظام تطبيقي، أو الى السلوك الفردي كخلق وأمثال ذلك،

والمجال التقريبي المنطقي بين المسالك المتنوعة والمذاهب والمناحي المتفاوتة،

والضمان لوجود مجموعة طليعية همها الحفاظ على الاسلام الأصيل من عبث المنافقين

والمتحللين وذوي الفكر الخليط، أو التربية العقلية اللااسلامية، ونفي أي ذيلية فكرية واجتماعية مما يؤهلها للتأكيد على تطبيقه الصحيح في الحياة الاجتماعية،

وتوفر القدرة على الرؤية الاستنباطية الصحيحة في كل المجالات، ومنها مجال معرفة المفاهيم الاسلامية.

وبالتالي فان الاجتهاد يوفر للنظام الاسلامي من يملأ له منصب القيادة الواعية السليمة، ومنصب الفتوى المهم، ومنصب القضاء الشرعي.

ذلك ان الاسلام بتخطيطه للحياة الاجتماعية لاحظ الجوانب الفطرية الثابتة فشرع لها قوانين ثابتة لاشباع متطلباتها، كما لاحظ الجوانب المتغيرة فواجهها بقوانين عامة تشمل حالاتها المتنوعة وترك لولي الأمر المجتهد القائد الفرصة للقيام بتنظيم الحياة على أساس المصلحة الاجتماعية المتغيرة بعد أن وضع له اشعاعات وتعليمات يسلك بها أفضل البدائل المطروحة أمامه عبر التشاور مع ذوي الخبرة المتخصصين الرساليين.

ولو كان في المجال متسع لتحدثنا عن التطبيقات العلمية لهذا المبدأ في حقول مختلفة ولكن لامجال هنا لذلك.

وبعد هذا كله لا تجدنا بحاجة لعرض ضرورة فتح مجال تقليد غيرالمجتهدين لهم في الأحكام الشرعية بعد ملاحظة الاسلوب العقلائي، بل وقبل ذلك دلالة الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة على هذه الحقيقة.

انها ضرورة الرجوع للخبراء؛ (وما كانَ النّاس لينفروا كافّة) على ان الشريعة احتاطت في التقليد فشرحت شروط العالم المقلد بل أوجبت ـ في أكثر الآراء ـ الرجوع الى الأعلم.

وهكذا يستمر هذان المبدآن بعد انحفاظ مصادر الشريعة (الكتاب والسنة) وتراكم خبرات المجتهدين.

اما مادعا الى إغلاق باب الاجتهاد من عوامل:

كإنقسام الدولة الاسلامية وتناحر الحكام وانشغالهم عن تشجيع حركة التشريع، وانشغال العلماء بأمور الدنيا،

أو انقسام المجتهدين الى فرق وأحزاب متعصبة.

أو انتشار المتطفلين على الفتوى والقضاء وعدم وجود ضوابط،

أو ما قيل من شيوع شيء من التحاسد،

أو نبوغ شخصيات علمية لامعة سدت بطبيعة عظمتها الطريق على الآخرين احتراماً وانبهاراً بها،

أو ما هنالك من عوامل سياسية أوحتى فقهية أو غير ذلك.

أمّا كل هذه العوامل فيمكنها أنْ تذوب اذا لاحظنا:

ضرورة الاجتهاد المستمر،

وانضباط القواعد الاجتهادية حتى عادت متقاربة وهذا ما نجده بوضوح في (الإستحسان)،
واتساع الحياة والتعقيدات والوقائع المطروحة،
وقبل كل ذلك انخفاض المصادر التشريعية الأولى،
وتزايد خبرات المجتهدين المتراكمة عبر الأمن والتنقيب.

فمن يقارن ما وصلت اليه الجامعة العلمية في قم اليوم من نظريات اصولية يجد البون شاسعاً بينه وبين المستوى قبل مائة عام مثلاً.

ومن الملاحظ، ان الاجتهاد يتعقد بتعقد الحاجة وفي مرحلة من تطوره يتحول الى عمليتين متعاقبتين:

احداهما: اصولية تركز على دراسة العناصر المشتركة التي يمكن الاستفادة منها في مختلف الأبواب الفقهية.

والثانية: فقهية تدرس الواقعة وتطبق تلك القواعد.

ومن هنا عبر عن علم الأصول: بمنطق الفقه، باعتبار أنه يقوم بنفس ما يقوم به علم المنطق بالنسبة للأفكار الانسانية عموماً من تنظيم قواعدها التي تعصمها عن الخطأ.

وهنا ندرك ان علم الاصول نشأ في أحضان علم الفقه، كما نشأ علم الفقه في أحضان علم الحديث ــ كما يعبر المرحوم الشهيد الصدر ــ.

الاجتهاد وخطر الذاتية:

ولاستاذنا المرحوم الشهيد الصدر بحث رائع في هذا المجال جاء في مقدمة الجزء الثاني من كتابه القيم (اقتصادنا) وهو بصدد اكتشاف المذهب الاقتصادي الاسلامي من خلال الأبنية العلوية له، وهي الأحكام والأسس التي تشكل أرضيته الاجتماعية وهي العقيدة والمفاهيم والعواطف، وملخص بحثه هو أن:

الاجتهاد يعني تسرب بعض المواقف الذاتية أحياناً الى النتيجة، و يشتد الخطر و يتفاقم عندما تفصل بين الشخص الممارس والنصوص التي يمارسها فواصل تاريخية و واقعية كبيرة، وحين تكون تلك النصوص بصدد علاج قضايا يعيش الممارس واقعاً مخالفاً كل المخالفة لطريقة النصوص في علاج تلك القضايا ــ كالنصوص التشريعية المرتبطة بالجوانب الاجتماعية من حياة الانسان فعملية اكتشاف المذهب الاقتصادي الاسلامي مثلاً تتعرض لخطر الذاتية أكثر منها في استنباط الأحكام الفردية كالحكم بطهارة بول الطائر مثلاً.

ثم هو يحاول تحديد منابع الخطر في الأمور التالية:

أ) ــ تبرير الواقع:

حيث يندفع الممارس ــ عن لاشعور أحياناً ــ الى تطوير النصوص الى الشكل الذي يبرر به

واقعاً فاسداً يعيشه و يراه ضرورة كمحاولة البعض لتبرير الفائدة الربوية مدعياً ان الاسلام ينهى عنها اذا كانت كبيرة جداً (أضعافاً مضاعفة) دون الإلتفات الى النص الشريف القائل: (وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم).

ب) ــ دمج النص ضمن اطار خاص:

كأن يؤمن بمنحىً خاص ثم يعمد الى النصوص فيختار منها ما يناسب منحاه أو ما لايصطدم به كأن نفترض الممارس يحمل نظرة تقديسية للملكية الفردية مما يدعه يعرض عن بعض النصوص التي لا تستلاءم وذلك،فقد كتب فقيه يعلق على النص القائل: (بأن الأرض إذا لم يعمرها صاحبها أخذها منه ولي الأمر واستثمرها لحساب الأمة) فيقول هذا الفقيه: (الأولى عندي ترك العمل بهذه الرواية فانها تخالف الأصول والأدلة العقلية).

ومن أمثلة ذلك ما تلقيه الاقترانات اللغوية للفظة من تضليل. فكلمة الاشتراكية اشرطت بكتلة من الأفكار والقيم والسلوك، وحينئذ نواجه خطر الاستجابة للاشراط الاجتماعي لتلك الكلمات.

ج)ــ تجريد الدليل الشرعي من ظروفه وشروطه:

وهي عملية تمديد للدليل دون مبرر موضوعي واكثر ما تأتي في مجال الاستفادة من عنصر التقرير كدليل على الحكم الشرعي، كأن يستفيد شخص جواز الانتاج الرأسمالي في الشريعة الاسلامية من سكوت الشريعة عما كان يجري أمام المعصوم من عمليات اجارة في مجال تملك المواد المعدنية.

د) ــ اتخاذ موقف نفسي معين بصورة مسبقة تجاه النص:

و يتوضح هذا بافتراض فقهي أحدهما يحمل هماً نفسياً لاكتشاف النظم الاجتماعية الاسلامية، والآخر يركز على اكتشاف أحكام السلوك الفردي فانها بطبيعة الحال يختلفان في النتائج حينما يدرسان نصوصاً متشابهة.

والواقع ان ضرورة الاجتهاد تتجاوز كل نقاط الخطر فيه.

وانما الذي يجب ان نركّز عليه هو معرفة مكامن الخطر، وتجنبها قدر الامكان بنفس المستوى الذي نؤكد فيه على الاجتهاد نؤكد على لزوم توفر المجتهد على المعدات الضرورية له من العلوم والمعارف وحتى القدرات النفسية باعتبار الاجتهاد ملكة تكتسب خلال ممارسة شاقة، وكذلك لزوم كون هذه الممارسة ضمن القواعد والأصول التي تقررها الشريعة.

ثانياً: لمحة تاريخية عن الاجتهاد لدى مدرسة أهل البيت (ع)

طبق ما تقدم فإن عملية الاجتهاد كانت تصاحب حتى عصر المعصوم مع قلة الحاجة اليها في

زمانه، واذا كان علم الأصول مظهراً جلياً من مظاهر الاجتهاد فإنا نستطيع ان نفسر كيف تأخر نشوء هذا العلم لدى المدارس الاسلامية الأخرى، ذلك ان هذه المدرسة كانت تؤمن بامتداد عصر النص الشرعي الى حوالي مائتين وخمسين عاماً بعد الفترة التي اعتقدت فيها المدارس الأخرى بانتهاء عصر النص المباشر من المعصوم وهوالرسول الأعظم، وبمجرد ان انتهى عصر الغيبة الصغرى للامام المهدي(ع) وبدأ عصر الغيبة الكبرى تفتحت الذهنية الأُصولية ودرست العناصر المشتركة، وان كانت بذور الفكر الاصولي قد تشكلت في أذهان أصحاب الأئمة(ع) منذ عصرالصادقين وربما أُلفت رسائل في ذلك.

ومنذ ذاك رفضت مدرسة أهل البيت الاجتهاد بالمعنى الخاص ورأت فيه اتباعاً للظن دون دليل معتبر ومنفذاً للآراء الشخصية والاستحسانات الطارئة وناقشت الأدلة التي ذكرتها المدارس الأخرى. وجاءت عن الامام الصادق(ع) روايات كثيرة ضد هذا المنحى، واعتقدت هذه المدرسة ان النصوص الشرعية والقواعد الرائعة المعطاة كفيلة بتغطية كل الوقائع المستقبلية وملاءمة الاسلام لكل الظروف والتغيرات، فإذا كانت القواعد الشرعية متناهية فإنها قادرة على شمول مصاديق غير متناهية، وأثبتت ذلك عملياً خلال القرون المتمادية. وقد أيدتها في هذا المنحى بعض المدارس السنية كالظاهرية التي شنّت حملة ضدالقياس مثلاً.

وعلى أي حال فربما أدى اشتراك لفظ الإجتهاد بين المعنى العام والمعنى الخاص الى التحرز عن اللفظ وتأليف الكتب ضد (الإجتهاد) و يقصد به المعنى الخاص طبعاً من مثل مصنف عبدالله بن عبدالرحمن الزبيري الذي أسماه: (الاستفادةفي الطعون على الأوائل والرد على أصحاب الاجتهاد والقياس) وصنف اسماعيل بن علي النوبختي في عصر الغيبة الصغرى كتاباً في الرد على الاجتهاد ــ كما ذكر الرجالي الشيعي المعروف ــ النجاشي في كتابه ــ.

و بعد الغيبة الصغرى يأتي العالم الكبير (الصدوق) في اواسط القرن الرابع ليواصل الحملة، و يأتي بعده تلميذه الشيخ المفيد في اواخر القرن فينقض على ابن الجنيد في (اجتهاد الرأي).

ثم يأتي دور تلميذه السيد المرتضى في اوائل القرن الخامس فيذم الاجتهاد وطريقة من عول عليه في كتبه كالذريعة والانتصار.

و يأتي بعده تلميذه المجدد الكبير الشيخ الطوسي في اواسط القرن الخامس ليقول في كتاب العدة: **(اما القياس والاجتهاد فعندنا انهماليسا بدليلين، بل محظور في الشريعة استعمالها).**

و يأتي بعده ابن ادريس في اواخر القرن السادس ليقول: **(والقياس والاستحسان والاجتهاد باطل عندنا).**

و يرى استاذنا الشهيد الصدر ان الكلمة ظلت هكذا حتى رأينا المحقق الحلي المتوفى سنة (٦٧٦)هـ، في كتابه (المعارج) يفرق بين المفهومين بعد ان يعرف الاجتهاد بانه: **(بذل الجهد في استخراج الأحكام الشرعية)** ثم يعترض على نفسه فيقول:

فإن قيل: يلزم ــ على هذا ــ ان يكون الامامية من اهل الاجتهاد، قلنا: الامر كذلك لكن فيه ابهام من

حيث ان القياس من جملة الاجتهاد فاذا استثني القياس كنا من اهل الاجتهاد في تحصيل الاحكام بالطرق النظرية التي ليس احدها القياس.

ولكن المرحوم الحلي يحصره في عمليات الاستنباط من غير ظواهر النصوص ولكنه بعد ذلك شمل العمليات الاستنباطية منها ايضاً بل وشمل مسائل تحديد المواقف العملية وهي ما تنتجه الأصول العملية حين الشك في الحكم الشرعي.

وربما كان لتفريق علماء السنة بين المفهومين اثره في هذا التحول فإننا نجد الغزالي مثلاً في كتابه المعروف (المستصفى) لم يستعمل الكلمة في خصوص اجتهاد الرأي وكذلك ابن الحاجب في (مختصره) الذي شرحه العضدي...

و يرى المرحوم الشهيد المطهري ان روح التقارب كانت سائدة رغم الخلاف،فبمجرد ان ينفتح باب التقارب باتساع مفهوم مثلا يتم التقارب بشكل طبيعي، والاجتهاد احد موارده، والاجماع كذلك. فان مدرسة اهل البيت ترفض النظر للاجماع حجة برأسه ولكنها طرحته وقبلته بعد اتساع مفهومه لشمول الاجماع الكاشف عن رأي المعصوم. ومن ذلك اعتبار الأدلة اربعة، قياساً على الأدلة الأربعة لدى المدرسة السنية، ولكن بتبديل القياس أو الاجتهاد الى العقل ولكن في احكامه القطعية الكاشفة عن الحكم الشرعي عبر قاعدة التلازم.

والملاحظ ان كل علماء الإمامية الذين حملوا على الاجتهاد كانوا هم ــ كماهو الظاهر ــ يطبقون عملية الاجتهاد بمعناها الأعم.

والملاحظ ان المسيرة الاجتهادية الممتدة والمفتوحة لدى مدرسة أهل البيت (ع) واجهت بالاضافة للعرقلة السابقة الناشئة من شيء من الخلط بين المفهومين العام والخاص للاجتهاد واجهت حالتين اخريين كادت الثانية منها تعصف بالمسيرة الاجتهادية على الاطلاق وتغلق الباب تماماً.

اما الأولى: فكانت الفترة التي تلت حياة شيخ الطائفة الشيخ الطوسي (رحمة الله عليه) فقد كانت عظمة هذا الرجل و مؤلفاته وشخصيته مسيطرة الى الحد الذي امتنع معه العلماء بعده من اظهار أي نظر جديد. كان هذا الوضع سائداً حتى بزغ نجم العالم الجليل ابن ادريس الحلي فراح يتحدى ذلك الوضع و يسدي بذلك خدمة كبرى لمسيرة الاجتهاد.

واما الثانية: فكانت الحركة الاخبارية التي بدأت منذ حوالي اربعة قرون على يد الشيخ الملا أمين الأسد آبادي الذي استطاع ان يجذب اليه بعض العلماء. وقد امتازت مدرسته بالوقوف ضد حجية الحكم العقلي مطلقاً ورفض الاجماع، بل وحتى التوقف عن العمل بالظواهر الكتابية الا اذا فسرتها أحاديث أهل البيت وادعت ان كل الاحاديث الواردة في الكتب الأربعة الرئيسية للامامية وهي: (الكافي) و (التهذيب) و (الاستبصار) و (من لايحضره الفقيه) صحيحة ومعتبرة بل هي قطعية الصدور، وراحت تنكر أي تخصص في الدين، وتنفي التقليد فعلى الناس مراجعة الروايات مباشرة والعمل بها.

والحديث هنا طويل الا ان هذا الخطر ارتفع بظهور مجموعة من العلماء على رأسهم العالم

الكبير الوحيد البهبهاني وغيره مما فتت هذا المسلك ولم يعد له وجود إلا نادراً ـ بعد أنْ كاد يشيع الجمود والانحراف بالمسيرة الفكرية الصاعدة.

وجاءت الضربة القاضية له على يد المرحوم الشيخ الانصاري اعلى الله مقامه.

وقبل ان ننتقل الى المرحلة الثالثة من البحث نود ان ننبه الى ان البحوث والمجالات الكثيرة التي تتعلق بهذه المرحلة وارهاصاتها وعقباتها قد طويت هنا أو اشير اليها اشارة عابرة لضيق المجال.

ومن أهم تلك البحوث اثر الروح الاجتهادية المستقلة التي تسمح للمجتهد ان ينقض كل ادلة من سبقه ويختار رأياً جديداً ولا تدعه يقلد حتى في سنة رواية واحدة بل عليه ان يدرس كل أصول علم الرجال واحوال رجال السند و يكون رأيه المستقل، نعم اثر هذه الروح على المواقف السياسية المستقلة المعارضة للانحراف خصوصاً في العصور الاخيرة. فليترك هذا البحث اذن الى مجاله الخاص.

ثالثاً: خصائص المدرسة الاجتهادية الحديثة

يمكننا ـ كمامرّ ـ أنْ نعتبر بزوغ الشيخ الانصاري في مدرسة النجف العلمية دفعة جديدة للمرحلة التي بدأها المرحوم الوحيد البهبهاني.

وتكفي نظرة ولو سريعة على كتابه الضخم (فرائد الأصول) والمعروف لدى العلماء بكتاب (الرسائل) لمعرفة التأثير العميق والطفرة التي حدثت في هذا الجانب.

و يأتي بعده كتاب (كفاية الأصول) الذي ألفه فقيه عصره المرحوم الآخوند الخراساني وهو بدوره أثرى المسيرة الاجتهادية أيما إثراء، ومن بعده يأتي دور الازدهار والتوسع الفكري الكبير على يد امثال المرحوم الميرزا النائيني والشيخ العراقي والشيخ الاصفهاني وامثالهم والامام الخميني القائد والسيد الشهيد الصدر(رض).

وهكذا نصل الى مرحلة القمة اليوم المتمثلة في علماء الحاضرة العلمية وعلى رأسهم فقيه الأمة ومجتهدها العظيم الإمام الخميني دام ظله الشريف. ويمكننا ان نذكر من خصائص هذه المرحلة الحديثة مايلي:

أولاً: المنهجية الدقيقة في عرض المراحل الاجتهادية فيبدأ الشخص السائر في طريق الاجتهاد بتهيئة مقدماته من دراسته العلوم اللغوية والبلاغية والمنطقية والحديثية والفقهية والتفسيرية والأصولية وغيرها مما يرتبط بعملية الاجتهاد من قريب أو بعيد احياناً كعلم الهيئة وعلم الحساب وحتى بعض البحوث الاجتماعية والنفسية.

و بعد الانتهاء من هذه المرحلة تبدأ عملية تحديد الموقف الاصولي من خلال دراسة العناصر المشتركة في الوقائع الفقهية وهي نوعين:

أ: الأدلة المحرزة التي يطلب بها كشف الواقع كالكتاب والسنة والاجماع والعقل.

ب: الأدلة العملية التي يطلب بها تحديد الوظيفة العملية في حالة الشك في الحكم الواقعي.

وقبل البحث عن هذه العناصر تأتي بحوث مقدمية ضخمة من مثل البحث عن:

الحكم الشرعي وتقسيماته ومبادئه، والتضاد بين الأحكام التكليفية والحكم الواقعي والظاهري واجتماعهما،

والبحث عن حجية القطع («معذريته و منجزيته») والقطع الموضوعي والطريقي، وأمثال ذلك.

وفي مجال الأدلة المحرزة للواقع التشريعي تأتي بحوث موسعة في الأدلة الشرعية بعد تقسيمها الى لفظية وغير لفظية، وفي اللفظية يشمل البحث على الظهور، والوضع والمجاز وعلامات الحقيقة والمجاز، والاشتراك، والمعنى الحرفي، والجمل التامة والناقصة، والأمر والنهي، والاطلاق، والعموم، والمفاهيم وضوابطها والتطابق بين الدلالات وغير ذلك.

وفي الأدلة الشرعية غير اللفظية يتحدث عن دلالة الفعل، والسكوت والسيرة.

وفي مجال اثبات صغرى الدليل الشرعي يتحدث عن وسائل الاثبات الوجداني بالخبر المتواتر والإجماع وبسيرة المتشرعة ووسائل الاحراز التعبدي كخبر واحد.

وفي مجال حجية الدلالة في الدليل الشرعي يتحدث عن حجية الظهور، وظواهر القرآن الكريم.

وفي مجال الدليل العقلي يتحدث عن اثبات القضايا العقلية وتقسيماتها و بعض القواعد العقلية من مثل:

قاعدة امكان التكليف المشروط وقاعدة تنويع القيود، ومسألة أخذ قصد امتثال الأمر في متعلقه، والتخيير العقلي والشرعي في الواجب، وامتناع اجتماع الأمر والنهي، والوجوب الغيري لمقدمات الواجب، واقتضاء وجوب الشيء لحرمة ضده، واقتضاء الحرمة البطلان، وامكان النسخ، والملازمة بين الحسن والقبح والأمر والنهي، والاستقراء والقياس.

ثم يأتي البحث عن حجية الدليل العقلي التي ترجع بالتالي الى حجية القطع.

أمّا في مجال الأصولية العملية؛

فيتحدث فيها ببحوث مفصلة عن البراءة والعلم الإجمالي، والاستصحاب وفيه بحوث عميقة، والتخيير، والاشتغال.

وأخيراً يتحدث بشكل واسع عن مسألة التعارض بين الأدلة اللفظية والتعارض بين الأصول العملية ثم التعارض بين الأدلة اللفظية والأصول العملية، كل هذا وغيره في مجال البحث الأصولي وهو المرحلة الأولى من عملية الاستنباط وتليها العملية الفقهية بدراسة العناصر الخاصة بالواقعة من جميع جهاتها.

ثانياً: الدقة والعمق الفني، فان من يلاحظ عمق الدراسات الأصولية اليوم في الحواضر العلمية في قم

والنجف يدرك الابعاد الواسعة التي انتهت اليها بفضل فتح باب الاجتهاد وحتى لتجدهم يقضون الأسابيع في بحث قد يبدو بسيطاً لأوّل وهلة كبحث الوضع وبحث الشرط المتأخر وبحث مقدمة الواجب ولكن السير معهم يوقف الانسان على عوالم من النظريات المبدعة، وذلك كالذي نراه في بحث الحكومة والورود والترتب وامثالها.
ان الحديث عن الجانب الفني ممتع للغاية ولا مجال له هنا.

ثالثاً: الاستيعاب التقريبي للعناصر المشتركة في عمليات الاستنباط وذلك نتيجة تلك المنهجية والدقة معاً، وانما عبّرنا بالتقريبي لان مجال اكتشاف عناصر جديدة مازال مفتوحاً أمام العقل الانساني الجوّال.

رابعاً: الاتجاه الاجتماعي الذي راح يفرض وجوده خصوصاً في الفترة الأخيرة.
فالاجتهاد وهو عملية تمكن للمسلمين من تطبيق النظرية الاسلامية للحياة. وللتطبيق مجالان: فردي واجتماعي.
هذا على الصعيد النظري، ولكن الملاحظ ان هذه العملية كانت تتجهُ تاريخياً الى التطبيق الفردي ــ على الأكثر ــ لدى الامامية وذلك نتيجة لظروف موضوعية وملابسات تاريخية عميقة الجذور. ومنذ سقوط الحكم الاسلامي على اثر الغزو الاستعماري الكافر وطرحت القواعد الفكرية اللااسلامية لبناء الحياة الانسانية من مثل الفكرة الاستعمارية الخبيثة (فصل الدين عن السياسة وعن الحياة) وفكرة الالتقاط أي الجمع بين تطبيق الأحكام الاسلامية في الجانب واستجداء القوانين الغربية في الجوانب الاجتماعية الضخمة الأخرى وفكرة (الحرية في السلوك حتى ولو شخصت الأحكام كما في الحجاب، ومسألة الخمر، والقمار بذلك) أحست الحركة الاجتهادية بالخطر ، وان التركيز على الجانب الفردي مرتبط كل الارتباط بالجانب الاجتماعي، إذْ بدأ الأول ينهار بانهيار الثاني.

ومن ناحية أخرى ــ كما يقول المرحوم الشهيد الصدر: (الأمة نفسها تعي وجودها وتفكر في رسالتها الحقيقية المتمثلة في الاسلام، بعد أن اكتشفت واقع القواعد الفكرية الجديدة، ونوع التجارب الاجتماعية المزيفة التي حملها اليها الاستعمار، ومن الطبيعي أن ينعكس هذا الوعي على حركة الاجتهاد نفسها و يؤكد احساسها الذاتي خلال التجربة المريرة التي عاشتها في عصر ما بعد الاستعمار بأن الاسلام كل لايتجزأ)[٥].

وكان لهذا أثره الكبير في دفع الروح الجهادية للاجتهاد لديهم الى الامام فصدرت بحوث ضخمة في هذا المجال وان تطوره المستقبلي يبشر بالف خير بعد نجاح الثورة الاسلامية الكبرى التي قادها مجتهد اعلى هوالامام الخميني الرائد بعد ان مهد لها هو وتلامذته بأروع تمهيد سواء على صعيد تحريك الحوزات العلمية، وطرح الرؤى الاجتماعية الكبرى امامها أوعلى صعيد اشعار الأمة بالخطر واثارة حبها وعواطفها نحو التطبيق الاسلامي الشامل ولا ادل على ذلك من محاضرات الامام القائد في

مجال (الحكومة الاسلامية) التي انتشرت قبل اكثر من عشر سنين من نجاح الثورة ومدت الوعي كالعافية الى عروق الأمة المسلمة في ايران وغيرها. نعم بعد انتصار الثورة الاسلامية الكبرى اندفعت عملية الاجتهاد الى الامام لالدى الشيعة فحسب بل وحتى على الصعيد السني في ايران بعد ان كان على الجميع ان يجيبوا على الاسئلة الاجتماعية الجديدة في المجال العائلي والمجال الاداري والمجال الحقوقي والمجال القضائي والمجال العسكري والمجال السياسي والمجال الاقتصادي والمجال التربوي والمجال الجنائي وغير ذلك كثير كثير فكانت الثورة الاسلامية المباركة مصدر خير لايحصى في هذا المجال خصوصاً بعد ان طلب الامام القائد من الفقهاء هذا المعنى. ولا ننسى ونحن بهذا الصدد ظهور خاصية المقارنة في الفترة الأخيرة بين المذاهب الاسلامية في الحياة وغيرها من المذاهب المادية وهو ما تمثل اكثر من غيره في مؤلفات من قبيل (اقتصادنا) للشهيد الكبير والمجتهد الصدر[6] و(نظام حقوق المرأة في الاسلام) للشهيد الكبير المجتهد المطهري[7] و(البنك اللاربوي في الاسلام) للشهيد الكبير المجتهد الصدر.

رابعاً: الاجتهاد والثورة الاسلامية المباركة في ايران

يمكننا ان نعزو نجاح الثورة الاسلامية المباركة في ايران المسلمة الى عوامل كثيرة، إلّا ان الأهم منها هو عنصر الاجتهاد الحر الذي تمتعت به الجوامع الدينية هناك، فقد لعب دوراً ضخماً أذهل الاستكبار العالمي وافقده صوابه بعد ان لم يكن ليملك قدرة تقديره... والا فهل يمكننا ان نصدق ان مدينةً كمدينة قم تضرب عن العمل وتغلق محلاتها لمدة ثلاثة عشر شهراً لولا وجود عنصر الاجتهاد الرائع وتغلغل مفعوله في الأمة المسلمة؟

وهل يمكن ان نصدق سجود الجماهير على الارض لله والدبابات تتجه اليها من مجرة لكنها تبقى بجنودها ترتجف امام الايمان العظيم؟ والحديث واسع في هذا المجال.

لقد امتلك المجتهدون وجوداً قوياً في اعماق الأمة المسلمة اثر فيها:
وعياً رائعاً لتعاليم الاسلام من جهة ومؤامرات اعدائه من جهة أخرى،

وعاطفة واعية قائمة على اساس ذلك الوعي،
وانشداداً عملياً الى قيادته المجتهدة يتجاوز كل التصورات،

اما كيف امتلك الاجتهاد هذا التأثير الرائع في انجاح الثورة الاسلامية فله مجال واسع من الحديث ولكننا نشيرهنا الى بعض الأمور الموضحة لذلك فهناك:

أولاً: الانعكاس الطبيعي للروح الاجتهادية الحرة على شخصية المجتهدين والسائرين في طريق الاجتهاد مما انتج استقلالية اقتصادية وسياسية وقبل كل شيء استقلالية في الشخصية، ومن الواضح دور هذا الاستقلال في ارعاب الحكام وتكتيل الجماهير حول القيادة.

ثانياً: الروح الحر يصة التي يستجها الاجتهاد في مجال العمل على تطبيق الاسلام في كل مجالات الحياة خصوصاً حينما يجد المجتهد ان الأحكام التي يبذل في سبيل استنباطها السنين الطوال و يدرك قدسيتها قبل كل شيء ضائعة مهملة مما يحركه نحو ايجاد الجو المناسب للتطبيق.

ثالثاً: الدور العظيم الذي يقوم به التقليد للمجتهدين الاحياء في شدهم عقائدياً للقيادة بنحو لا تستطيع أية حكومة مهما كان ارهابها ان تقطع الأواصر العقائدية هذه لانها تمتد من القلب والعمق العقائدي الى من يتمثل بهم الاجتهاد.

رابعاً: أهمية الاعتقاد بولاية الفقيه باعتبارها امتداد القيادة الاصيلة التي يجب ان تطبق التجربة الاسلامية في الحياة... فإن هذه الولاية تمتلك قدرة توجيه الجماهير بل وحتى المجتهدين الآخرين وفق أوامر المجتهد الولي... ولها مفعولها العظيم في اضفاء الطبيعة الاسلامية على الحياة وملء المنطقة التشريعية التي تركها الاسلام لولي الأمر ليقوم بتطبيق توجيهات الشريعة في مجالها.

هذا الى غير ذلك من العناصر التي نوجتها شخصية الامام الخميني القائد القوية المتقيدة الزاهدة الصابرة فاستثمرت هذا الوعي والاخلاص لتحقيق الخطوة الاولى من الهدف المنشود وهو نجاح الثورة الاسلامية.

اما بعد نجاح الثورة الاسلامية فان نفس العوامل ولكن بمستوى أقوى وأعمق هي التي مكنت الشعب الاسلامي المؤمن من الوقوف بوجه كل قوى الاستكبار العالمي وعملائه ومؤامراته المتنوعة.

ولا يسعنا المجال هنا لعرض كل الآثار.

الا اننا نستعرض بأختصار الدور الذي منحه الدستور الاسلامي للمجتهد الفقيه في مجال القيادة وادارة الحياة الاسلامية، فقبل كل شيء جعل الدستور الاسلامي الفقيه قائداً للأمة المسلمة وذكر له اعلى الصلاحيات وهي الولاية العامة التي قررتها الشريعة له.

فقالت المادة الخامسة بأن الولاية العامة انما هي للفقيه العادل الواعي المدبر الذي تؤيده بالطبع جماهير الأمة المسلمة واذا لم يتوفر هذا الشرط في شخص شكل مجلس قيادة من الفقهاء الواعين العدول.

في حين فصلت المواد من ١٠٧ ــ ١١٢ صلاحيات القائد. وفي المادة السابعة بعد المائة؛ يقوم الخبراء في الأمور الفقهية بتشخيص القائد وانتخابه بشروطه المذكورة له.

وتقرر المادة (٩١) تشكيل مجلس صيانة الدستور على نحو يكون ستة من اعضائه من الفقهاء و يقوم هؤلاء الستة بدراسة ما اذا كانت القوانين التي يصادق عليها مجلس الشورى الاسلامي منسجمة مع التعاليم الاسلامية أم لا، في حين يعطي الاعضاء كلهم رأيهم في مدى انسجامها مع الدستور الاسلامي.

وتؤكد المادة (١٦٢) على ان يكون رئيس السلطة القضائية مجتهداً عادلاً.

وهكذا نجد الدستور يتلاءم وما قرره الاسلام للمجتهد من مناصب مهمة.

أما منصب الفتوى والتقليد فهو يرتبط بقرار الفرد نفسه وتوصله الى الأعلم الذي يجب ان يقلده في أحكام دينه ولا ربط له بالدستور.

وختاماً نبتهل الى العلي القدير أن يوفق طلاب العلوم الدينية للاجتهاد الحر المطلق ومجتهدينا لتوخي رضا الله والحقيقة وعرض الاسلام خير عرض والقيام بواجبهم الاجتماعي، وامتنا للعمل بتعاليم الاسلام، ونفي كل انحراف عنه فانه فسق وظلم وكفر وان غد التطبيق الاسلامي الشامل لقريب.

والله الموفق

الهوامش

١ ــ كفاية الأصول ج ٢ ص ٣٤٧ طبع النجف.

٢ ــ أصول الفقه للخضري ص ٣٥٧.

٣ ــ مصباح الأصول ص ٤٣٤.

٤ ــ ومن امثلة ذلك ما رأيناه أحياناً من حاكم عسكري يفتي في الدين، أو متسلط يحذف حكماً شرعياً أو حتى رياضي يتحدث عن حرية المرأة على الطريقة الغربية والمصيبة في هذا المجال جمّة مستفحلة.

٥ ــ من مقال المرحوم الشهيد الكبير حول الاتجاهات المستقبلية لحركة الاجتهاد.

٦، ٧ــ وربما كان هذا احد العوامل التي دفعت الاستعمار للقضاء على هاتين الشخصيتين العظيمتين تماما كما خطط للقضاء على غيرهما من امثال الشهيد البنا وسيد وعودة وغيرهم.

المعرفة بلغة الفطرة

سلسلة من المحاضرات التي القاها
الشهيد آية الله الدكتور بهشتي

القسم الخامس

ذكرنا في موضوع اخطاء الذهن اننا نحصل من خلال المشاهدات العينية على ادراكات ومعارف، لكننا في الوقت نفسه نقع في بعض الأخطاء. ثم واصلنا بحثنا لنرى أين يكمن الخطأ؟ هل ان احواس هي التي تقع في الخطأ؟ أم ان الذهن هوالذي يخطأ عند تفسيره للادراكات الحسّية؟

وقد خرجنا من بحثنا السابق بالنتيجة التالية وهي؛ ان الخطأ يكمن في التفسير الحسي.

وعندما نفهم اين يكمن الخطأ، فطبيعي اننا سنستطيع ان نكتشف السبل الكفيلة بالحد من الوقوع في الأخطاء.

لقد قلنا ان الاستعانة بحواس أخرى هي من جملة السبل الكفيلة بمعرفة الأخطاء، وضربنا مثالاً حول ظاهرة الانكسار وقلنا؛ لو وضعنا خشبة داخل الماء، ونظرنا اليها، لرأيناها

مكسورة، لكن لو لمسنا الخشبة، لا تضح لنا بانها غير مكسورة.

إذن فالخشبة لم تكن مكسورة، إذْ اننا علمنا بعد المطالعات الفيزياوية بان الانكسار كان في اشعة النور.

وعلى هذا الأساس فان الاستعانة بحواس أخرى تمكننا من التعرف على اخطاء اذهاننا في تفسيرهاللادراكات الحسّيّة، ونسمّي هذه العملية بـ «التجربة»، فعندما نقول؛ لنستخدم أيدينا ونرى هل ان الخشبة مكسورة أم لا؟ فاننا في الحقيقة نقوم بتجربة. حيث نختبر صحة أو عدم صحة ادراكنا السابق، اي الادراك المكتسب.

فكيف نحصل على اليقين؟

الجواب: بواسطة حاسة اللمس. فنشعر حينذاك بأن ادراكنا السابق لم يكن صحيحاً. إذن فان التجربة تُسهّل علينا الأمر.

وهذه التجربة هي مشاهدة، اي اختبار صحة أو عدم صحة مشاهدة ما وذلك عن طريق الاستعانة بمشاهدة أخرى.

والآن اريد ان اقول باننا نستطيع في المسائل الحسّيّة وتفسير الادراكات الحسّيّة ان نستخدم المنهج التجريبي للحد من أخطاء الذهن. ونحن نؤيد أهمية المنهج التجريبي في هذا المجال.

ولهذا فاننا نؤكد في «بحث المعرفة» على فائدة التجربة الحسّيّة وأهميتها ضمن حدودها. لكن لا ننسى ان الشيء الذي يُستخدم في التجربة الحسّيّة والعينية لمعرفة الخطأ وأخطاء الذهن، لا يتمثل بالحسّ، بل بقدرة الذهن على التحليل والتركيب. فالذهن هوالذي يأتي و يربط بين إدراك حسي سابق وادراك حسي جديد، ثم يباشر بعملية التحليل والتركيب، و يقول انني اخطأت في المرة السابقة، ثم يبدأ بالبحث للتعرف على منشأ الخطأ ومكانه.

وفيما يتعلق بالخشبة التي توضع في الماء، نتصور بان الخشبة مكسورة، لكن عندما ندخل أيدينا في الماء، نراها غير مكسورة، وآنذاك تقوم اذهاننا بوضع الادراك الحسي السابق بجانب الادراك الحسي الجديد وتقول ان التفسير الذي جئنا به حول الادراك الحسي الأول يعني رؤية الخشبة مكسورة قد نُسب الى الخشبة نفسها، وهذا خطأ، إذْ ان صورة الخشبة وهي مكسورة والتي تأتي للحس لا تتعلق بالخشبة. لكن بماذا؟

الجواب: هذه هي بداية نشاط الذهن.

فالذهن يلزم ان يدرس مسألة الرؤية في سياق مبحث أشعة النور، وفي سياق انعكاس أشعة النور من على سطح مرئي وانكسار هذه الأشعة خلال عبورها من جسم آخر. ثم ان هذا الانكسار يوجد في تلك النقطة من الفضاء التي تتكون فيها الصورة الفضائية للخشبة، بعدها ينتقل الى شبكية العين.

وهذه الأعمال يؤديها الذهن. فهل يقوم الحس بمثل هذه الأعمال؟ وما العمل الذي يستطيع أنْ يؤديه الحس من بين هذه الأعمال؟

الجواب: إنّ العين تساعدنا على الدوام، لكنها لا تؤدي العمل بنفسها، لان الذهن هو الذي يؤدي العمل..... الذهن الذي بإمكانه ان يحلل و يستنتج، وان أداته هي الحس.

إذن فالحس ليس إلّا أداة للذهن، لانّ

القدر الأكبر من هذه المعارف يقع على عاتق الذهن.

النتيجة:

إنَّ الأساليب التجريبية الصحيحة لها فائدة كبيرة للحد من اخطاء الذهن عند تفسيره للادراكات الحسّيّة. إذ ان الذهن في مثل هذه الأساليب يزاول نشاطاته بمساعدة الحس. إلا ان الدور الأساسي يقع على عاتق الذهن، وان الحس ليس إلا اداة في خدمة الفكر وذهن الانسان في عملية التحليل والتركيب والاستنتاج.

قلنا ان الذهن يقوم بعملية التحليل والتركيب والاستنتاج، ثم يشك في استنتاجه، بعدها يلجأ الى تجارب عديدة ليثبت صحة أو عدم صحة استنتاجه. وفي كل تجربة يلعب الذهن الدور الأهم و يستعين بالحواس لاتمام اعماله.

مثال: كان الاعتقاد السائد بين الناس هو ان الشمس ترتفع من نقطة على سطح الأرض، وتتحرك نحو نقطة أخرى من الأرض، وتهبط فيها، وان مكان الشمس يتغير خلال ساعات النهار. وكانوا يشعرون بان محاذاة الشمس لهم وللمنطقة التي يعيشون فيها تتغير باستمرار.

إنَّ الحس لم يكن مخطئاً هنا، لانَّ وضع الشمس كان خلال ساعات النهار يتباين مع النقطة التي يعيشون فيها.

نحن لانشك في هذا الكلام، لانَّ اذهانهم كانت تفسّر الادراك الحسي. وبذلك كانوا يقولون ان الشمس تتحرك من المشرق الى المغرب وكذلك الحال بالنسبة للقمر، إذ انهم كانوا يرون ان القمر يسير من المغرب الى المشرق. وعلى هذا الأساس كانوا يقولون بان القمر هو الآخر يتحرك بدوره.

وبعد مطالعات جمّة توصلوا الى النتيجة التالية وهي ان هناك افلاكاً تدورحول الكرة الأرضية، وان الشمس تستقر على فلك من هذه الأفلاك بينما يستقر القمر على فلك آخر، وتدور هذه الأفلاك في كل يوم دورةً حول الكرة الأرضية بمساعدة الفلك الكبير (الفلك المسمى بالأطلس أو الفلك التاسع الذي يخلو من النجوم والكواكب). كما ان هذه الأفلاك تدور داخل نفسها، بالضبط كما تدور كرة كبيرة حول مركزها. وان الأفلاك الثمانية الأخرى تتواجد داخل هذا الفلك الكبير و يدور كل منها في الآخر. ونتيجةً للحركة اليومية للفلك الكبير الذي يحيط بجميع هذه الأفلاك فان الأخيرة تدور كل ٢٤ ساعة حول مركز الفلك الكبير.

وبهذه الفرضية جاءوا وتابعوا مسألة الخسوف والكسوف فرأوا انهم قادرون على حل المسألة، وان الكسوف ينشأ (كما كانوا يتصورون) من استقرار القمر بين الشمس والأرض، اي ان القمر يستقر امام الشمس نتيجةً لحركته الداخلية، و بعبارة أخرى ان الغلاف الذي يستقر فيه ينزلق كل شهر مرّة، كما ان الغلاف الذي تتواجد فيه الشمس ينزلق هوالآخر، ولكن ليس كل شهر مرّة، وانما كل عام مرّة. وعندما يستقر القمر امام الشمس فانه يحجب ضوءها عنّا، فنقول آنذاك ، إنَّ كسوفاً قد حدث.

وعلى هذا الأساس فانهم كانوا يتنبأون بحدوث الكسوف، وكانوا مثلاً يقولون ان كسوفاً سيحدث في المنطقة الفلانية بعد ثلاثة اعوام أو عشرة اعوام وفي اليوم الفلاني والساعة الفلانية، وكانوا يتأكدون من صحة تنبؤهم بالتجربة، اي انهم اختبروا معلوماتهم بهذا التنبؤ، وأثبتت التجربة صحة تنبؤهم فاتضح لهم بان تنبؤهم كان صحيحاً.

لقد ارادوا بهذه التجربة ان يؤكدوا على صحة التفسير الذي جاءوا به حول ادراكهم الحسي وذلك بالشكل التالي: ان الشمس تتحرك من المشرق الى المغرب، بينما القمر يتحرك من المغرب الى المشرق، وتنشأ هذه الحركة اليومية للفلك الكبير حول الأرض (الفلك التاسع الذي يخلو من النجوم والكواكب). كما ارادوا بهذا الكلام ان يؤكدوا على صحة عمل اذهانهم.

إذن فانهم اطمأنوا بان المسألة هي هكذا، اي ان الأرض ثابتة، وان الشمس تستقر على أحد الافلاك ، بينما يستقر القمر على فلك آخر، وتتحرك الافلاك الثمانية حول بعضها، لكنها على أية حال تستقر في فلك اكبر يخلو من النجوم و يسمى عادة بـ (فلك الأفلاك)وان هذا الفلك يدور كل يوم حول مركزه المتمثل بالأرض، وتتواجد الأرض في مركز فلك الأفلاك.

و بعد كل هذا بدأوا مرحلة الاختبار ليثبتوا صحة تنبؤهم.

لكن هل كان تصورهم صحيحاً؟

الجواب: كلا، انهم كانوا على خطأ.

ما الذي وقع في الخطأ؟ هل الحس؟

الجواب: كلا، ان الذهن هو الذي اخطأ.

لكن كيف ادرك هؤلاء الخطأ الذي وقعت فيه اذهانهم؟

الجواب: طالعوا كثيراً، وان التجارب المتعددة (مثل تجربة الباندول و بقية التجارب الأخرى) ساعدتهم لكي يشككوا في صحة تجربتهم. واستمروا في المطالعة وكسب المعلومات... واخيراً فهموا بان التفسير الذي جاءوا به حول ادراكهم الحسي كان خطأ من الأساس، لأنَّ مجموع العالم ليس هو الذي يدور حول الأرض كل ٢٤ ساعة، بل ان الأرض هي التي تدور حول نفسها دورة كاملة في كل يوم، وتبدأ الحركة من المغرب الى المشرق.

إذن فان الحركة لا تبدأ من المشرق الى المغرب وانما من المغرب الى المشرق، وانَّ مايتحرك ليس فلك الأفلاك أو الشمس أو القمر، بل ان الأرض هي التي تتحرك .

والسؤال المطروح هو: هل ان تجاربهم ومحاسباتهم العلمية السابقة حول زمان ومكان كسوف الشمس لم تكن صحيحة؟

الجواب: كلا، لأنَّ كسوفاً قد حدث كما كانوا يتوقعون من قبل.

ولهذا نرى ان التنبؤ كان صحيحاً، إلّا ان التفسير كان خطأً. ففي الوهلة الأولى كانوا يتصورون ان العالم بمجموعه يدور حول الأرض، لكنهم اليوم باتوا يعلمون بأن الأرض هي التي تدور حول نفسها.

وعلى هذا الأساس نستنتج بان تفسير الذهن المحلل هذا ليس خطأً، وانَّ ماكان خطأً هو التصور السابق للذهن من ان الأرض ثابتة

وان الشمس هي التي تدور. والآن يفهم هؤلاء بان القمر يقف حائلاً بين الأرض المتحركة والشمس الثابتة.

وجميع هذه الأمور تدعونا لاستخدام الذهن المحلل في المنهج التجريبي. فالحس يعتبر اداة للذهن المحلل في هذا المنهج.

وهنا أُريد ان اقول انه يلزم على البعض ان لايتصور باننا نبيِّن معجزة الحس في المنهج الحسي والتجريبي. كلا ليس هكذا.

لكن ما المعجزة التي نريد أنْ نبيِّنها؟

الجواب: قابلية الذهن ومعجزته، الذهن المحلل الذي يتمكن من وضع الحس في خدمة نفسه. نعم نريد ان نبيِّن ذلك.

إذن فان جميع القابليات هي من اختصاص الذهن المحلل.

ويجب ان لاننسى باننا نستند الى المنهج التجريبي في بحثنا هذا الخاص بالادراكات الحسِّيَّة، ولايتصور البعض بان المنهج التجريبي هو من اختصاص (فرانسيس بيكن)، كما يلزم عدم التصور انه تم خلال القرون الخمسة الماضية الاستناد الى المنهج التجريبي.

إنَّ كافة الاشخاص الذين لهم معرفة بتاريخ العلم والفكر البشريين يعلمون جيداً ان ارسطو كان يلجأ الى المنهج التجريبي في المجالات التجريبية، كما ان ابن سينا كان هوالآخر يلجأ الى نفس المنهج في البحوث الخاصة بالمشاهدات والمطالعات العينية الحسِّيَّة.

وخلاصة القول ان المنهج التجريبي ليس من اختصاص (بيكن) فقط، حيث يلزم ان نعرف المسائل التي كان يستند اليها هذا الشخص، والا فان المنهج التجريبي كان متداولاً في عمل ارسطو وامثاله من المفكرين.

والمسألة الأخرى التي أودُّ الاشارة اليها هي ان تأثير المنهج التجريبي يكمن في مجال العلوم التجريبية، واذا ارادالبعض ان يعمم هذا المنهج ويقول انه لايوجد هناك منهج آخر للحد من اخطاء الذهن سوى المنهج التجريبي فانه على خطأ. لماذا؟ لان الناس يستخدمون اذهانهم المحللة في المجالات الفكرية الأخرى، في حين ان الحس لايلعب اي دورفي تلك المجالات مثل العلوم الرياضية.

مثال: عندما نحلُّ مسألة هندسية فاننا نتوصل الى نتيجة ما، لكننا في بعض الأحيان نريد ان نتأكد من صحة أو عدم صحة النتيجة التي خرجنا بها، فما الوسيلة التي نستعين بها في هذا المجال؟! هل نستعين بالحس؟

الجواب: كلا.

واليكم مثال ابسط: عندما يباشر محاسب البنك اعماله فانه يبدأ بدفع أو استلام النقود. وعندما ينتهي من العمل فانه يريدان يتأكدمن قوائم الاستلام والدفع ومحتويات الصندوق. فاذا كان المجموع ينقصه ريالان أو اضيف اليه ريالان، فكيف يحل هذه المسألة؟ هل يبدأ بجمع وطرح وتقسيم الأرقام من جديد؟

كلا، لوفكَّر قليلاً لتذكر انه لم يدفع ريالين الى احد الأشخاص وذلك لعدم وجود ريالين لديه. ولكي يكون قد أدى عمله بصورة جيدة عليه ان يستخرج الريالين من المجموع. فهل ان حله للمسألة يأتي عن طريق التجربة الحسية؟ أم عن طريق بعض الأمور الذهنية؟ ايها؟

الجواب: انه يقوم بعمل ذهني وليس حسي. في مثل هذه الحالات قد يكون ذهن الانسان بدرجة من القوة بحيث لايحتاج الانسان لاستخدام القلم والورق، بل انه يحل المسألة في ذهنه. ولذلك فان الانسان في بعض الأحيان لايستخدم القلم والورق في الحسابات البسيطة.

ونحن نقوم بهذا العمل في اكثر المسائل الرياضية المعقدة. في العلوم الرياضية يبدأ الذهن بالعمل للتعرف على الأخطاء.

وهنا فان الخطأ لاينشأ من الحس، لأنَّ الذهن هوالمخطىء وهوالذي يكتشف الأخطاء، ولكن بالأساليب الرياضية، لا الحسّيّة أو التجريبية.

لقد قلنا مسبقاً بان الأساليب التجريبية تلعب دوراً مفيداً للحد من اخطاء الذهن في مجال علاقته مع الحس، وان الذهن يستعين بالحس في المنهج التجريبي. لكن لايشعر المحتكرون الفكريون انهم حققوا فوزاً بكلامنا هذا و يقولون اننا أكدنا مراراً بان المنهج التجريبي هو الكفيل بحل مسائل المعرفة الى درجة ان هؤلاء قد اتفقوا معنا في هذا المجال.

كلا، اننا واسلافنا كنا نقبل هذه المسألة من زمن بعيد، وليس هناك مسألة جديدة في البين. والفارق هو ان هؤلاء قد اخطأوا. فنحن كنا نقول ان حدود المعرفة لاتنحصر في التجربة أو في الحس فقط. كما ان اسلوب المعرفة واسلوب الحد من الأخطاء في المعرفة لاينحصران بدورهما في المنهج التجريبي، إذ انناملك اساليب ذهنية أخرى من مثل العلوم الرياضية التي يؤمن بها التجريبيون (ضروري ان نعرف بان الاعتقاد السائد في اوربا كان ومايزال هوان العلوم الرياضية تستطيع ان تمنحنا ادراكات قابلة للثقة).

لذلك يلزم على افراد البشر ارجاع العلوم الحسّيّة والتجريبية الى العلوم الرياضية. وقد قاموا بهذا الأمر فعلاً.

واليوم فاننا نكتشف اكثر الأخطاء المختبرية بواسطة اعادة النظر في المحاسبات الرياضية لا بواسطة تكرار تلك التجارب. لماذا؟ لاننا نتصور بان العلوم التجريبية قد تبدلت الى علوم رياضية.

ونتيجة للتنسيق بين العلوم الرياضية والعلوم التجريبية فاننا نتعرّف على اكثر الأخطاء المتعلقة بالتجارب عن طريق إعادة النظر في المحاسبات الرياضية.

وعلى هذا الأساس فان الأسلوب الثاني يتمثل بالأسلوب الرياضي كالهندسة والحساب والجبر و بقية العلوم الأخرى المتفرعة عن هذه العلوم الثلاثة أو بالأحرى عن علمي الهندسة والحساب، لانَّ الجبر هو في الحقيقة نوع من الحساب.

إذن اتضح لنا بان بالأسلوب الخاص بالحد من الأخطاء لايقتصر على التجربة والأساليب التجريبية فقط.

حدود العلوم التحليلية هي حدود لمعارف الذهن

والآن نريد ان نذهب ابعد من ذلك فعندما يكون العبء الرئيسي للمعرفة على عاتق الذهن المحلل فان الذهن المحلل، سيكون له في

خارج حدود العلوم الحسّيّة والتجريبية والعلوم الرياضية، حدود للمعرفة، ألا وهي حدود العلوم التحليلية.

وهنا أسألكم: كيف يمكن لنا من خلال الدقة الأكبر في الأساليب التحليلية ان نجعل من التعاريف الموجودة في العلوم الرياضية اكثر دقة في علم الهندسة؟

الجواب: نحن لدينا سلسلة من الادراكات والمعارف التحليلية، وان اذهاننا في خارج حدود الادراكات الحسّيّة والمسائل المتعلقة بالأعداد والأشكال الهندسية لها جملة من الادراكات.

إنَّ التحاليل التي كان يقوم بها (هيغل) في مجال فلسفته الوجودية لم تكن لامسائل رياضية ولامسائل حسية.

هذا بالنسبة لهيغل. لكن ماذا كان يفعل ماركس في تحليلاته حول المسائل المختلفة؟ واي شيء كان يستخدم؟

الجواب: كان يستخدم ذهنه لدراسة ماوضعه المحققون تحت اختياره حول تاريخ البشر في مجال تكامل آلة الانتاج، وإقامة علاقة بين تكامل الآلة والتكامل الاقتصادي والثقافي للبشر، ومن ثم عرض قانون جديد حول المجتمع.

هل ان مسائل ماركس قابلة للاختبارات التجريبية؟

نحن نعلم ان مسائل علم الاجتماع غير قابلة للاختبارات التجريبية بمثل هذه السهولة.

وهل ان ماركس وصل الى هذه النتائج عن طريق الأساليب الرياضية وإعادة النظر في المحاسبات العددية أو بواسطة حل مسألة الاشكال الهندسية؟

الجواب: كلا، انه استخدم ذهنه، وانه لم يأتِ بنظريته عن طريق التجربة أو المحاسبات الرياضية، بل عن طريق ذهنه الذي يقيم في البداية علاقة ثم يرى عدم وجود علاقة منطقية بين المقدمات والنتائج، ومرةً أخرى يأتي بفرضية جديدة و يقيم علاقة أخرى الى ان يتوصل الى نتيجة مطلوبة.

وضروري ان نشير الى اننا لانريد هنا ان نبحث في صحة أو عدم صحة إدعاءات ماركس.

وخلاصة القول ان الأعمال التي يقوم بها المحققون وعلماء الاجتماع وامثالهم هي اعمال ذهنية في كثير من الأحيان. بعبارة اخرى عندما يقيم الذهن علاقة بين المقدمات والنتائج وتثبت هذه العلاقة صحتها خلال هذه العملية الفكرية فاننا نقتنع حينذاك بان اذهاننا عملت بشكل صحيح. لكن عندما نرى ان هذه العلاقة لم تسفر عن نتيجة فنفهم آنئذ بان اذهاننا لم تعمل بشكل صحيح. و بذلك نلجأ الى فرضية ثانية بل وثالثة ورابعة و.... الى ان نخرج بنتيجة منطقية من دراستنا لمسألة ما. لماذا؟ لأنَّ امكانية التجربة تكاد تكون معدومة في المسائل الاجتماعية.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: هل هناك من يستطيع ان يشاهد في عصره، الاقطاعية وهي تنمّي البرجوازية الحليفة في داخلها لتخوض هذه البرجوازية صراعاً ضدها وتقضي عليها؟ أم كلا اطلاقاً؟ أم نادراً مايحصل هذا الأمر، ولن يستطيع ان يجرب هذه المسألة سوى الاشخاص الموجودين في المجتمع خلال مرحلة

الانتقال من الاقطاعية الى البرجوازية المحلية؟

طبيعي انه بعد ظهور الرأسمالية العالمية فان امكانية تجربة البرجوازية المحلية تكون معدومة. يعني لو كانت هناك مجتمعات اقطاعية وكان هناك وجود للرأسمالية التابعة التي تعتمد على الرأسمالية العالمية فان امكانية تجربة البرجوازية المحلية أو الرأسمالية الغير تابعة ضد الاقطاعية تكون معدومة أو موجودة ولكن بنسبة قليلة.

إذن فان العبء الرئيسي في بعض المسائل كالمسائل الاجتماعية يكون على عاتق الذهن، وان الأساليب يجب ان تكون اساليب تحليلية وصحيحة.

يقول ماركس ان المنهج التحليلي هو منهج ديالكتيكي. واننا سنرى في الفصل الأخير الذي يلي هذا الفصل ما هي الديالكتيكية؟ وهل انها شيء جديد أم قديم؟ وماذا تعني المادية الديالكتيكية؟

وسنصل بعونه تعالى في ختام بحثنا الى النتيجة النهائية المطلوبة.

نلفت انتباه القراء الأعزاء الى العنوانين التاليين:

عنوان المنظمة:

الجمهورية الاسلامية الايرانية ــ طهران ص ــ ب ٢٧٨٢

عنوان المجلة:

الجمهورية الاسلامية الايرانية ــ طهران خيابان طالقاني ــ ايرانشهر شمالي ــ كوچه هما ــ پلاك ٢

الأخلاق

بين القرآن والمذاهب الفلسفية

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تأليف: الشيخ مسيح مهاجري
ترجمة وتلخيص: ناظم شيرواني

الفصل الأول
ـ البحوث التمهيدية ـ

• **الأخلاق:**

تتمثل المهمة الملقاة على عاتق عالم الأخلاق بتحديد الأحكام والقوانين التي يجب ان يطبقها البشر لتحقيق السعادة الواقعية.

وعلى هذا الأساس يمكن القول: إنَّ الأخلاق عبارة عن مجموعة من الأحكام والقوانين التي يلزم على الانسان اخذها بنظر الاعتبار وتطبيقها لكي يحقق السعادة الواقعية المنشودة، كما وان تجاهلها يجر الانسان نحو الانحطاط والسقوط.

• **دراسة النظريات المعارضة للأخلاق:**

يمكن دراسة نظريات وآراء المعارضين للأخلاق في ثلاث فئات:

الفئة الأولى:

وهي الفئة التي ينتمي اليها امثال الكاتب الفرنسي المعاصر استاندال Standhal

والكاتب البلجيكي موريس ماترلينغ Materlink والتي ترى ان تصرفات الانسان متوقفة على مزاجه، وتعتقد على هذا الأساس ان الأخلاق لا تلعب أي دور في حياة الانسان.

الفئة الثانية:

وهي الفئة التي يعتبر الفيلسوف الالماني (نيتشه Nietzsche) واحداً منها والتي لا تنكر تأثير الأخلاق، لكنها في نفس الوقت تعتقد ان هذا التأثير مضر للغاية خلافاً لما يقوله علماء الأخلاق. إذ ان أحكام الأخلاق بتصور تلك الفئة هي عوامل تقضي على بعض الخصائص الانسانية من مثل؛ التحرك ، ومزاولة النشاطات، والابداع.

وهذا فان الأخلاق كما تزعم هذه الفئة، تجلب المتاعب للانسان. وكما يقول (نيتشه) فان: «الأخلاق اخترعته الطبقات المنحطة لمنع تقدم الطبقات المتطورة، ووسيلة جاء بها المتخلفون للحد من تجسد كوامن واستعدادات الآخرين!».

الفئة الثالثة:

فئة ينتمي اليها (باسكال Pascal) وتدّعي ان علماء الأخلاق لم يقدموا خدمة للبشرية. فهم على شاكلة الصرفيين والنحويين الذين كانوا يتابعون كيفية تحدث الناس، فأقاموا علم الصرف والنحو على اساس المعلومات التي اكتسبوها، أي انهم تابعوا تصرفات وآداب وعادات الناس ودوّنوها واعتبروها علماً للأخلاق. إذن فهم لم يأتوا بأصول ليطبقها افراد البشر بل عرضوا عليهم تصرفاتهم وآدابهم، وهذا ليس شيئاً جديداً عليهم ليحددوا على ضوئه مسار حياتهم و يطبقوه.

وللرد على الفئة الأولى يجب القول؛ رغم ان مزاج الانسان يلعب دوراً في تصرفاته، الا انه ليس بدرجة لكي يمنع من التربية الروحية والأخلاقية. على سبيل المثال ان هناك عشرات الأشخاص الذين تتباين امزجتهم لكنهم متشابهون من الناحيتين الروحية والأخلاقية، والعكس صحيح.

ولذا يمكن القول؛ اضافة الى تأثير المزاج على روحية الانسان فاننا لانشك في ان قوانين وأحكام الأخلاق تستطيع في جميع الظروف ان تلعب دوراً مؤثراً في تربية روح الانسان و تنظيم تصرفاته.

أمّا بالنسبة (لنيتشه) وانصاره فاذا كان كلامهم يخصُّ الأخلاق والعادات الخرافية فانه صحيح، واذا كان مقصود هم الأخلاق بكل معنى الكلمة فليس لكلامهم أي اساس من الصحة. وافضل دليل لاثبات بطلان ادعاءات هؤلاء هو الدور العظيم الذي لعبته الأخلاق في حياة الأقوام السالفة، وليس بقليل عدد الشعوب التي اقامت حضاراتها العريقة على اساس الاخلاق، بالضبط كما فعل المسلمون خلال القرون الأولى. و يرجع هذا الأمر الى أن قوانين واحكام الأخلاق ــ خلافاً لما يقوله (نيتشه)ــ هي عوامل لايقاظ الفطرة السليمة عندالبشر لكي يحققوا السعادة المنشودة.

و بالنسبة للفئة الثالثة التي لا ترى ضرورة لاجراء تحقيقات في مجال الأخلاق وتعتقد استناداً الى مقولة باسكال التالية؛ «إنَّ الأخلاق الواقعية تسهزىء بالأخلاق العلمية» انه يلزم ترك الناس لحالهم لكي يعملوا وفق ارادتهم، وإنَّ ما يفعلوه هو الأخلاق الواقعية بعينها وليس ما يقال لهم، فيجب التطرق الى ادعائهم من زاو يتين:

الأولى:

من زاوية معارضته لأي تحقيق في هذا المجال، واعتبار تنظيم القوانين والأحكام الأخلاقية امراً عبثاً.

الثانية:

من زاوية هذا القول وهو ان القوانين الأخلاقية اعمال اقدم عليها افراد البشر عبر التاريخ، وان علماء الأخلاق لم يقدموا في هذا المجال شيئاً سوى تسجيل تلك الأعمال.

فني ما يتعلق بالشطر الأول نقول: انه لو تقرر عدم تنظيم هذه القوانين وعدم عرضها على الناس فانهم سيظلون بعيدين عن القوانين الجيدة التي يمكن ان تكون سائدة في بقية الشعوب الأخرى، بل و ينسون بمرور الأيام عاداتهم واخلاقهم المتعرضة للفناء والزوال نتيجة للأهواء والشهوات.

إذن فان تدوين قوانين الأخلاق وترويجها هما من افضل الأساليب لاشاعة العادات والتقاليد والسجايا الحسنة والمحافظة عليها و معرفة العادات والأخلاق السيئة.

اما بالنسبة للشطر الثاني فيلزم الاشارة الى ملاحظتين:

الأولى:

ان علماء الأخلاق يقومون الى جانب تدوين الممارسات باجراء مقارنة بينها و فصل الأخلاق الحسنة والسيئة عن بعضها وعرضها علينا.

الثانية:

هذا الايراد وارد الى حدما على الاخلاق القائمة على اساس العقل والوجدان، ذلك ان انصار هذا النوع من الأخلاق يعتبرون العقل والوجدان اساساً لتمييز الجيد من الرديء ولايذهبون أبعد من ذلك. إلا ان الأخلاق القائمة على اساس الوحي فلا يمكن ــ اطلاقاً ــ اتخذ أي ايراد عليها، حيث ان افراد البشر يستطيعون على اساس هذه الأخلاق ان يعوا جميع عوامل سعادتهم وشقائهم، وان يميزوا الجيد من الرديء في مختلف الحالات. ولهذا السبب فهم بحاجة الى مبدأ يتعدى نطاق العقل والوجدان، و يتمثل ذلك المبدأ بالخالق.

● **الأخلاق النظرية والأخلاق العملية:**

يدور البحث في علم الأخلاق حول مسألتين:

الأولى:

ماهي المهام المترتبة على الانسان من وجهة النظر الأخلاقية؟

الثانية:

ما هو الهدف من وراء تطبيق هذه المهام؟

ولهذا السبب تم تقسيم الأخلاق الى قسمين:

١ ــ **الأخلاق النظرية:** و يتم فيها البحث حول المقصود والهدف النهائي للأخلاق.

٢ ــ **الأخلاق العملية:** و يتم فيها البحث حول المهام التي يجب ان يؤديها الانسان بمثابة مهام اخلاقية بغية تحقيق الهدف المنشود.

إنَّ النسبة بين الأخلاق العملية والأخلاق النظرية كالنسبة بين المبادىء والغايات. لذلك يجب البحث حول الأخلاق النظرية، حيث يلزم في الوهلة الأولى معرفة الغايات ليتم فيما بعد دراسة السبل الكفيلة بتحقيقها.

و نظراً لأولوية الأخلاق النظرية وتقدمها

على الأخلاق العملية فقد صببنا كامل اهتمامنا في مسألة الأخلاق التي هي ليست إلا الأخلاق النظرية.

الأخلاق النظرية:

لما كان للانسان القدرة على الفهم، وهو من جهة ثانية حر الاختيار، فانه بطبيعة الحال يميز بين الخير والشر و يلجأ الى الخير لتحقيق السعادة مبتعداً عن الشر الذي يوقعه في المصائب.

و صحيح ان افراد البشر يعجزون ــ عادةً ــ عن تمييز الخير من الشر، لكن مما لاشك فيه انهم يبذلون قصارى جهدهم لتحقيق السعادة، و يأخذون بنظر الاعتبار في كل خطوة يخطونها، الاقتراب من الخير والابتعاد عن الشر.

وتسمى القدرة التي يمتلكها الانسان للتمييز بين الخير والشر بـ «الوجدان الاخلاقي» أي الاستعداد الطبيعي لافراد البشر للتمييز بين الخير والشر.

الخير المطلق:

تكون وجهات النظر ــ عادةً ــ متباينة حول الأمور، على سبيل المثال يمكن ان يعتبر بعض الأشخاص امراً ما شراً في حين يعتبره الآخرون خيراً.

و بصورة عامة فان جميع الناس ينشدون الخير ويتهربون من الشر. إذن يتطلب تقوية الوجدان الأخلاقي سواء عن طريق التربية العلمية أو الاستعانة بمبدأ الوحي وذلك لمعرفة الخير الواقعي والشر الواقعي.

وما قلناه لحد الآن كان يدور حول بعض الأمور التي يلزم على الناس الأخذ بها أو غض النظر عنها بمثابة مهام اخلاقية.

والسؤال هو؛ هل ان افراد البشر يكتفون بهذه الأمور فقط بمثابة حلمهم الكبير، أم انهم ينشدون هدفاً اسمى؟

مما لاشك فيه انه لايمكن تجاهل تأثير المهام الأخلاقية في حياة البشر، كما وان هذه الأمور لا تشكل اقصى غايات البشر إذ انهم يبحثون عن مبدأ أهم وأسمى الى درجة ان جميع هذه الأمور تطبق لتحقيق ذلك المبدأ. وان المبدأ الكلي الذي يكرّس افراد البشر جميع طاقاتهم لتحقيقه يسمى بـ «الخير المطلق».

ما هو الخير المطلق؟

تمضي جميع الموجودات خلال مسيرها نحو الكمال النهائي، ولا تتساوى جميع موجودات العالم في ذلك. فعلى سبيل المثال نجد ان الكمال الأقصى للنباتات هو ان تعطي ثماراً لذيذةً... و بالنسبة للحيوانات فان كمال الحصان مثلاً يتمثل بازدياد سرعته، بينما الأمر في الأسد يتمثل بازدياد قوته.

لكن بِمَ يتمثل الكمال النهائي للانسان؟

إنَّ السير التكاملي للانسان له عدة مراحل تؤدي في النهاية الى الباري سبحانه وتعالى. ونحن لانشك في ان الخالق هو الكمال المطلق، إلا ان السير التكاملي للانسان نحو هذا الكمال المطلق يرجع للسبب التالي وهو ان فطرة الانسان بشكلٍ حيث ان لها غرائز غير محدودة. ومع ان هذه الغرائز تتعلق بأمور مختلفة، الا انها ــ في النهاية ــ تلتقي معاً و يتلخص هدفها بشيء واحد، الا وهو الارتباط بالمبدأ المطلق للعلم والقدرة والجمال والكمال. ولهذا يسعى الانسان للوصول الى الكمال المطلق، اي الله.

وبالرغم من ان تحقيق هذا الهدف السامي يبدو مستحيلاً لأكثر افراد البشر، لكن ومع الأخذ بنظر الاعتبار مسألة عدم اقتصار السير التكاملي للانسان على هذا العالم، فانه سيصل في النهاية الى هدفه المنشود. وهذا الكمال المطلق هو خير وهو الخير المطلق امام اي خير آخر.

إذن فان الحياة الدنيا هي مقدمة للوصول الى الحياة السرمدية السعيدة... الحياة التي لا تكون مؤقتة ولايسودها الشر والحرمان.

ملاك الخير والشر:

عرفنا لحد الآن ان الكمال النهائي للبشر يتمثل بتحقيق الحياة والسعادة السرمديتين. وخلاصة القول ان افعال الانسان لن تكون اصيلة وذات قيمة مالم تبذل لتحقيق هذا الهدف العظيم، إذ ان الفعل المجرد من الغاية لايساوي شيئاً.

وعلى هذا الأساس فان ملاك الخير والشر بالنسبة للأعمال هو ان تبذل بهدف تحقيق الكمال النهائي.

الفصل الثاني

نظرة الى المذاهب الاخلاقية الأخرى

قبل ان نبحث في ملاك الخير والشر بتصور القرآن الكريم، نرى من الضروري ان نشير الى المذاهب الأخلاقية الأخرى التي لها اقوال بهذا الشأن:

الأخلاق القائمة على الشهوة:

رغم ان غالبية الناس تسعى لتحقيق شهواتها الآنية والوقتية، لكن الجميع يعتبرون هذا الأمر غير صحيح. وفي نفس الوقت كان بعض الحكماء يدافعون عن هذا المذهب. على سبيل المثال ان آريس تيب (Aristippe) تلميذ سقراط كان يقول دفاعاً عن هذا المذهب:

«تسعى جميع الموجودات الحية بما فيها الانسان لجلب السعادة ودفع الاضرار عنها. وبما ان العقل يعي فناء العمر، فانه يشجع الفطرة لابعاد كل ألم ومشقة والاقتراب من الشهوات. لذلك يلزم على الموجودات الحية وفقاً لفطرتها وعقلها ان تتخذ من الشهوات شعاراً لها وتسعى لتحقيقها».

ويمكن تفنيد هذه النظرية من زاويتين؛

الأولى:

هل ان العقل والفطرة يشجعان الانسان على السعي وراء الشهوات الوقتية أم لا؟.

الثانية: ما هي النتائج التي تسفر عن الالتزام بهذا المذهب؟

في ما يتعلق برأي الفطرة والعقل في هذا المجال نقول انه مما لاشك فيه ان العقل والفطرة يتواجدان في جهة معاكسة لهذه النظرية. إذ ان الفطرة السليمة هي فطرة ميّالة للحق. واذا كان الانسان يسعى وراء الشهوات الوقتية فلن يأتي عمله هذا بحكم فطرته بل نتيجةً لانحراف الفطرة عن مسيرها. وحكم العقل واضح حول هذا الأمر. فلقد توصلنا الى النتيجة التالية وهي ان الانسان بحكم عقله يطمح الى الكمال النهائي.

وطبيعي ان الكمال النهائي يستلزم غض النظر عن بعض الشهوات وتحمل بعض المصاعب. وعلى هذا الأساس فان العقل

والفطرة يدعوان الانسان الى عدم اتخاذ الشهوات شعاراً له.

اما السبب الذي يقف وراء الانفتاح على هذا المذهب فهوالاهتمام بالحياة الدنيا وعدم الاعتقاد بالآخرة. فلو آمن الانسان بالآخرة فلن يسعى العقل مطلقاً وراء الشهوات الوقتية.

والانفتاح على هذا المذهب يجلب للانسان انواعاً من الأمراض المادية والروحية و يزرع اليأس في قلبه الى درجة انه يقدم على الانتحار.

وخلاصة القول ان الاخلاق القائمة على اساس الشهوات لن تستطيع بأي شكل من الأشكال ان تكون بمثابة مذهب علمي أو عملي.

الأخلاق القائمة على المصالح الشخصية:

يعتقد انصار هذا المذهب انّه يلزم على الانسان ان يعمل بحذر كامل و وفق دراسة مسبقة لتحقيق الشهوات الدائمة.

والفيلسوف اليوناني (ابيكور Epicure) الذي يُعدُّ واحداً من انصار هذا المذهب يُعدد اربعة شروط عملية للأخلاق، وهي:

١ــ قبول الشهوات التي لا تسفر عن أي ألم.

٢ــ تجنب الشهوات التي لاتجلب السعادة للانسان.

٣ــ تجنب السعادة التي تحرم الانسان من سعادة اكبر أو تسفر عن ألم كبير.

٤ــ قبول الألم الذي ينجي الانسان من ألم كبير أو يحقق له سعادة كبيرة.

إذا كان المقصود من الشهوات الدائمة هوالشهوات المعنوية والسعادة الأبدية فاننا نتفق مع رأي ابيكور ومن هم على شاكلته، إذ لايمكن المؤاخذة عليه اطلاقاً. لكن اذا كان المقصود من الشهوات الدائمة هوالشهوات المادية المحضة فسيؤاخذ على هذه النظرية، إذ ان تحقيق مثل هذه الشهوات ينتهي على حساب الآخرين. ذلك ان الشهوات الكبيرة لن تتحقق إلا للذين يفضلون مصالحهم الشخصية على المصالح العامة، كما ان تحقيقها يستوجب الاعتداء على مصالح الآخرين.

إذن فان هذا المذهب لن يعود بالفائدة إلا على فئة قليلة لكونه يلحق الاضرار بالأكثرية الساحقة من افراد البشر.

الأخلاق القائمة على اساس المصالح العامة:

وهناك فئة أخرى ذهبت أبعد من الفئة السابقة، فهي تنادي باللذات الدائمة لقطاع اكبر من الناس، وتؤكد ان ملاك كون الأفعال خيراً أو شراً يتمثل بفائدة أو ضرر تلك الافعال، وان الفائدة الناتجة عن الفعل هي الوحيدة القابلة للتقدير، بينما النية ليست شيئاً لتؤثر في محاسن أوسيئات الأفعال.

وهذا النوع من الأخلاق وان كان يفضل مصالح المجتمع على المصالح الشخصية، إلا انه يبقى ناقصاً، وذلك لاقتصاره على الحياة الدنيا فقط، في حين اننا فهمنا من خلال بحثنا ان الحياة الدنيا ليست إلا مقدمة لتحقيق الحياة السرمدية.

الأخلاق القائمة على اساس العاطفة:

يقول انصار هذا النوع من الأخلاق ان الخير له طابعه الخاص الذي يميزه، بالضبط مثل

الجمال. وعلى هذا الأساس لايتحتم على الانسان اجراء اي تحقيق حول الاخلاق. هذا مايقوله الفيلسوف الانجليزي دايفيد هيوم [David Hume] بينما يقول جان جاك روسو:

«إنَّ كل ما تنتجه الطبيعة فهو جيد، وان للانسان فطرة جيدة ويجب تركه لحاله لكي ينمو بصورة طبيعية من الناحيتين الجسمانية والروحية».

وكما نعلم فان العاطفة تعقب الادراك في السير الطبيعي لنشوء الارادة في الانسان، بعبارة ثانية ان الانسان عندما يواجه امراً ما فان عاطفته لا تثار للاقدام على ذلك الأمر أو تجنبه، إذ ان الانسان يقوم في الوهلة الأولى بادراك الأمر و بعد ان يتأكد من كونه جيداً فان عاطفته تبدأ بتطبيقه. لذلك فان العاطفة تعقب الادراك وتميز الخير والشر. و بالنتيجة لا تلعب العاطفة دوراً في عملية تمييزالخيروالشر.

كما ان للانسان عواطف مختلفة منها؛ الحب المعنوي، والحب المادي، وحب الجمال، وحب النوع و.... الخ. فأي شيء ينتخب؟ وماهو ملاك الانتخاب؟ واذا كان الملاك هو انتخاب العاطفة الأقوى فيمكن ان تكون العاطفة الأقوى في الانسان تتمثل بالميل الى الأمور السيئة، و بذلك يبتلي بالمصائب. واذا كان الملاك انتخاب الأفضل فاننا سنخرج ــ عملياً ــ عن اطار العاطفة ونمضي نحو مبدأ أعلى. اضافة الى ذلك ان الاستناد الى العواطف يُعدُّ امراً خطيراً، لأنَّ العواطف غير دائمة وتتغير باستمرار. فمرة تصبح قوية وأخرى يصيبها الضعف.

وعلى هذا الأساس فان الانسان الذي يتبع عواطفه، فانه سيبتلي بلاشك بالتطرف و يستسلم امام شهواته النفسية.

الأخلاق القائمة على اساس العقل:

يعتقد عدد كبير من العلماء ان العقل هو مفتاح السعادة الانسانية وافضل وسيلة لتمييز الخير والشر، و يتوجب على الانسان اتِّباع عقله بحيث يتخلى عن ما يعتبره العقل سيئاً و يقدم على مايراه العقل صالحاً.

وكان انصار هذا المذهب في السابق عبارة عن سقراط وافلاطون وارسطو وآخرين. واليوم يسير (كانت) والحكيم الهولندي (اسبينوزا Spinoza) على نفس النهج.

ومن بين كل هؤلاء استطاع الحكيم الالماني (كانت ١٨٠٤ ــ ١٧٢٠) ان يعرض هذا المذهب بدقة ووضوح. (فكانت) اعطى اهمية لمسألة النية في مجال افعال البشر، وأكد ان فعل الانسان لن يستطيع من تلقاء نفسه و بعيداً عن الهدف ان يكون صالحاً أو سيئاً، واضاف ان مايملك صفة اخلاقية ليس مادّة الفعل بل صورة الفعل، أي فاعله.

و يضيف قائلاً: مهما كانت دوافع الاقدام على عملٍ ما فانها تفتقر الى القيمة الأخلاقية إلا اذا كانت ناتجة عن الامتثال لاوامر العقل. فلو منحنا شخصاً شيئاً ما، أو اطعمنا جائعاً لنشعر باللذه فهذا يعني اننا اقدمنا على عمل لاقيمة له. وان اعمالنا لن تكون ذات قيمة طالما لم يأمر العقل بذلك ، و بعبارة ادق ان اوامر العقل ليست وسيلة وانما غاية. وعلى هذا الأساس لن تستطيع نية الفاعل ان تمنح للفعل طابع الخير مالم تكن مطيعة للعقل.

والملاحظة الأخرى التي يضيفها كانت هي: إنَّ الفعل لن يكون ذا قيمة اخلاقية مالم ترافقه المساعي والجهود. وعلى هذا الأساس تفتقر الأعمال التي تبذل عن رغبة ودون اي عناء ومشقة الى القيمة الاخلاقية ولايستحق الذين يستأنسون بالأعمال الصالحة اسداء اي شكر لهم رغم انهم اناس صالحون، وذلك لعدم تحملهم أية مشقة عند الاقدام على تلك الأعمال.

لكن النقص الكبير في هذا النوع من الأخلاق يتمثل في ان العقل لن يستطيع وحده ان يدرك جميع ابعاد الخير والشر، ولذا لايمكن الامتثال لاوامر العقل في جميع الأمور. ففي اكثر الأحيان لايلعب العقل أي دور واذا كان له دور فانه يكون خطأ، إذ ليس هناك ما يثبت صحته. واكبر دليل على ذلك هو الخلاف القائم بين العقلاء حول جملة من الأمور. كما ان القوانين التي تشرعها العقول البشرية تتعرض دائماً لعملية التعديل، فقلّما يبقى القانون ثابتاً. ولهذا لايمكن الاعتماد على العقل فقط بل يلزم البحث عن مبدأ اعلى.

اما النقص الآخر فيتمثل في مقولة (كانت) التالية وهي؛ ان الفعل لن يستطيع من تلقاء نفسه و بعيداً عن النية والهدف والغاية أن يكون خيراً أوشراً.

وعندما نستفسر عن النية التي يجب ان يطبق الفعل على ضوئها ليكون ذا قيمة اخلاقية ، فانه يجيب قائلاً؛ ان النية ليست الا الامتثال لاوامر العقل. ولو سألناه عن غاية هذا الفعل، فاذا يقول؟

الجواب: لن يستطيع ان يقول شيئاً سوى ان الامتثال لاوامر العقل هوالغاية بعينها.

والسؤال هو: هل ان هذه الاجابة مقنعة؟

كلا بالطبع. إذ ان فعل الانسان سيكون عديم الجدوى في مثل هذه الحالة. لأنَّ الغاية هي امر يصلها الانسان عن طريق الاقدام على الفعل. مثلاً ان اللذة والثروة والراحة والرفاه تعتبر غايات نسبية بينما الكمال النهائي والسعادة الأبدية هما من عداد الغايات المطلقة.

ومما لاشك فيه ان جميع هذه الأمور ليست إلا اشياءً تتواجد في ماوراء الفعل، اي اننا نصلها عن طريق الفعل. لكن كيف الحال بالنسبة للامتثال لاوامر العقل؟ هل يتحقق عن طريق الاقدام على الفعل؟

الجواب: بديهي ان الاقدام على الفعل لايعني إلا الامتثال لاوامر العقل (أولأي شيء آخر). إذن فليست هناك أية غاية.

والملاحظة الهامة التي تكمن في اقوال (كانت) هي انه لايرى أية قيمة للافعال التي تبذل من دون عناء مؤكدا ان الأفعال الصالحة للاشخاص الذين يستأنسون بالأفعال الصالحة تفتقر الى القيمة الاخلاقية.

لكن (كانت) لم يلتفت الى هذه الملاحظة وهي ان الانسان عندما يستمر في عمل ما فان عمله سيصبح بسيطاً بمرور الزمان وذلك لاعتياده على ذلك العمل ومعرفته بكيفية تطبيقه.

وهذا هومن أفضل خصائص الانسان. إذ ما الذي يكون افضل من الاعتياد على الاعمال الصالحة والتفكير الجيد؟ وكيف تفتقر مثل هذه الأعمال الصالحة الى القيمة الأخلاقية؟

كما ان النتائج التي تعود على الانسان من

اعمال الخير هي أن القيام بتلك الأعمال تصبح عادةً له. فلو كان هذا الاعتياد والاعمال الناتجة عنه تفتقر الى القيمة الاخلاقية، فيلزم آنذاك مكافحتها. فهل ان هذه المكافحة ليست إلّاعدم الامتثال لاوامر العقل الذي يدعو على الدوام الى الأعمال الصالحة؟

إذن فان كلام (كانت) هذا يحمل في طياته تناقضات جلية. وعلى هذا الأساس لايمكن قبوله، بل يلزم اعتبار الاشخاص الذين وصلوا الى مثل هذه المرحلة من التكامل نتيجة لدأبهم على اعمال الخير واعتيادهم عليها ذوي قيمة اخلاقية كبيرة.

وخلاصة القول انه لايمكن اعتبار الاخلاق التي تقوم على اساس العقل كمذهب أخلاقي يخلو من النقص رغم انه يبدو قريباً من الواقع بعض الشيء.

الفصل الثالث

الأخلاق القائمة على الوحي

توصلنا خلال بحثنا الى النتيجة التالية وهي ان جميع المذاهب الأخلاقية لاتخلو من النقص. ولذلك يتحتم علينا البحث عن غاية للبشر في هذه الحياة واعتبارها هدفاً اساسياً لتقييم جميع الأشياء على ضوئه.

وهنا نصل الى مذهب أخلاقي افضل يدعى «المذهب الأخلاقي القائم على اساس الوحي» أو «الأخلاق الدينية».

ويجب ان نبحث عن هذا النوع من الأخلاق في القرآن المجيد باعتباره الكتاب السماوي الذي لم يتم التلاعب به وحافظ على وجوده.

اما المسائل التي يلزم اعتبارها مفاتيح لرمز الأخلاق القرآنية فهي على التالي:

١ــ ماهو رأي القرآن الكريم حول أفعال البشر؟

٢ــ ما الشيء الذي يعتبره القرآن الكريم غاية لافعال البشر؟

٣ــ ما الدور الذي تلعبه الغايات الفانية والمؤقتة في عملية التكامل الانساني؟

١ ــ رأي القرآن الكريم حول افعال البشر:

يلزم التطرق الى افعال البشر من زاويتين:

١ــ من زاوية الفعل نفسه وقابليته لايصال المطلوب.

٢ــ من زاوية علاقة الفعل بالفاعل ودور هذه العلاقة لايصال المطلوب.

ففي مايتعلق بالفقرة الأولى فاننا نبحث حول فعل مجرد عن فاعله. والمسألة هي: هل ان كل فعل يستطيع ان يؤثر في السعادة الانسانية، أم لا؟ واذا لم يكن لكل فعل تأثير في السعادة فكيف يمكن لفعل ما ان يكون له مثل هذا التأثير؟

يبدو لنا جلياً من الناحية العقلية ان الأفعال لا تستطيع كلها أن تؤثر في السعادة، ذلك ان القاعدة التي تصرح بلزوم وجود علاقة بين العلة والمعلول تحكم بأن الأمور التي لها علاقة مع بعضها هي الوحيدة التي تستطيع أنْ تؤثر على بعضها.

وعلى هذا الأساس فان جواب العقل هو: ان الأفعال التي تستطيع ان تؤثر في سعادة الانسان هي تلك الأفعال التي لها علاقة بالسعادة وتحوي في داخلها على مجال لتنمية وايجاد الغاية المطلوبة.

والقرآن يحمل نفس التصور. فعندما يدور الحديث في القرآن الكريم حول المؤمنين فان (اعمالهم الصالحة) هي التي تؤخذ بنظر الاعتبار، لأنّ (العمل الصالح) هو الشرط الأساسي للمؤمنين لتحقيق الغاية المطلوبة التي يشير اليها القرآن الكريم. في حين ان الأشخاص الذين يرتكبون الذنوب والمعاصي سيبتلون بالغايات اللامطلوبة والمؤلمة التي يعبر عنها القرآن الكريم بـ «العذاب الأليم» و «جهنم» و... الخ، مؤكداً ان هذا النوع من الغايات له هوالآخر صفة أبدية.

وهناك الكثير من الآيات التي تؤكد على هذه المسألة، لكننا نكتفي بنماذج منها:

«مَنْ عَمِلَ صالحاً من ذكرٍ أو انثى وهومؤمنٌ فلنُحيِيَنَّهُ حياةً طيبة...»[1].

«... ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يُدْخله جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسنَ الله له رزقاً»[2].

«وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنّ لهم جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار...»[3].

«بلىٰ مَنْ كسبَ سيّئةً وأحاطت به خطيئتُهُ فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون»[4].

وهناك آيات أُخرى تقارن بين الصالحين والمفسدين، وبين المتقين والفاجرين وتعامل كل فئة بما قدّمته:

«أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار»[5].

كما ان هناك آيات أُخرى تؤكد انّ نتيجة الخير هي الخير، بينما نتيجة عمل الشر هي الشر؛

«... وما تقدموا لأنفسكم مِنْ خيرٍ تَجدُوهُ عندالله...»[6].

«... وما تُنفِقوا من خيرٍ يُوَفَّ إليكُمْ وأنتم لا تُظلمون»[7].

«هذا وَإنَّ للطاغين لَشَرَّ مآبٍ»[8].

«وَمَنْ يعمل مثقال ذرة شراً يَرَهُ»[9].

إذن يتضح لنا بان الفعل لن يستطيع ان يؤثر في السعادة مالم يكن له علاقة بالسعادة. والآن يطرح السؤال التالي نفسه؛ هل ان مثل هذا الفعل يستطيع في كافة الأحوال أنْ يكون مؤثراً في السعادة أم انه يحتاج الى عامل آخر؟

الجواب متروك للعقل. ولنأخذ من بين النماذج الكثيرة فعل «قتل النفس» بنظر الاعتبار، ونضع امامه شخصين؛ الأول قاتل والثاني حاكم ينظر في حادثة القتل. فالأول قتل انساناً والثاني يحكم على الانسان الأول، اي القاتل بالموت امتثالاً للقانون. فالعقل ــ هنا ــ يقول؛ مع ان الفعل يتشابه في كلتا الحالتين، لكنه في الحالة الأولى (شر) بينما في الثانية (خير).

لذا فان الفعل قابل للتغيير الى صور مختلفة. فالفاعل يستطيع من خلال نيّته وهدفه ان يجعل من فعل له القابلية للتحول الى خير كفعل له طابع الشر*.

ومن هنا يمكن تشبيه الفعل بالمادّة الفلسفية، ونية الفاعل بالصورة.

والآن لنقرأ معاً بعض الآيات القرآنية لنرى

---

* يلزم الإشارة الى الملاحظة التالية وهي ان فعل الخير يستطيع من خلال فاعله ان يكون خيراً أو أنْ يتبدّل الى الشر. لكن هذه القاعدة لا تنطبق على فعل الشر، أي ان الفعل الذي هو شر في نفسه لن يستطيع من خلال الفاعل ونية الخير ان يتبدل الى الخير.

كيف ان القرآن الكريم يوضح هذه الملاحظة بشكل جيد. فالآية ٦٠ من سورة النساء تبدأ بعبارة؛

«ألَمْ تَـرَ الى الذين يَزْعُمُونَ أنَّهُمْ آمنوا بما أُنزِلَ إليكَ وما أُنزِلَ من قَبْلِكَ يُريدون أنْ يَتحاكموا الى الطاغوت...»مشيرة الى المنافقين. ثم يحذر القرآن هؤلاء في الآيات التي تلي تلك الآية الى أنْ يصل إلى الآية ٦٦ فيقول؛

«وَلَوْ انّا كتبنا أن اقْتُلوا أنْفُسَكُمْ أو اخْرُجُوا من دياركُمْ ما فَعَلُوه إلا قليلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أنَّهُمْ فَعَلوا ما يُوعظُون به لكانَ خيراً لَهُمْ وأشدَّ تثبيتاً».

إنَّ تعريض الحياة للخطر ليس في نفسه فعلاً مطلوباً. أمّا في منطق القرآن فلو تم هذا العمل طاعةً لله وبهدف كسب رضاه فانه سيكون فعلاً عظيماً وان اجره، أي كماله سيكون هوالآخر عظيماً بدوره. إذ ان الله يحشر مثل هذا الانسان مع الانبياء والأئمة؛

«ومن يُطع اللّه والرَّسولَ فأُولئكَ مع الذين أنعَمَ اللّه عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وَحَسُنَ أولئكَ رَفيقاً»[١٠]

لكن ما الشيء الذي جعل من هذا الفعل الذي هو ليس مطلوباً في نفسه، وسيلةً للكمال؟

الجواب: الهدف والنيّة اللذان يُطبق هذا الفعل على ضوئهما، وبعبارة أُخرى، اي ما يتعلق بالفاعل. وعلى هذا الأساس فان الذي يمنح قيمة للفعل هو عملية تنفيذه لتحقيق الهدف.

وهناك آيات أخرى لا تضع قيمة للأفعال مالم تكن في سبيل الله مثل؛ «ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون»[١١].

وايضاً هناك آيات أخرى ترى ان نيّة الفاعل مؤثرة في قيمة الفعل، مثل:

«الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عندالله....»[١٢].

«... وليس البرُّ بأنْ تأتوا البُيُوتَ من ظُهُورِها ولكنَّ البرَّ من اتَّقى...»[١٣].

كانت هذه آيات تعبر عن رأي القرآن الكريم حول علاقة الفعل بالفاعل وكيفية العلاقة التامّة القائمة بين افعال الانسان ونية وهدف الفاعل.

وخلاصة القول ان الفعل له ركنان إنْ توفرا فيه، فانه سيؤثر في سعادة الانسان، وهما:

١ــ ان يكون للفعل مجال للتأثير في السعادة.

٢ــ ان يتم هذا الفعل بنية الوصول الى الهدف والكمال المطلوب.

وعلى هذا الأساس فان رأي القرآن حول فعل الانسان يتلخص بما يلي، وهو: ان الفعل الذي له القدرة على التأثير في السعادة الأبدية و يأتي بنيّة تحقيق هذا الهدف فهو (خير)، بينما الفعل الذي يفتقر الى هذه القدرة أو انه يملك هذه القدرة لكنه لايأتي بنيّة الوصول الى السعادة الأبدية فلا يعتبر (خيراً)، كما ان الفعل الذي يأتي بهدف معاداة السعادة الأبدية فهو (شر).

٢ــ رأي القرآن في غايات افعال البشر:

والآن نريد ان نتعرّف على رأي القرآن حول الخير الذي ينشده الانسان من وراء جميع افعاله، هذا الخير الذي يُسمى بـ (الغاية).

وقبل كل شيء يجب ان نعي مسألتين: الأولى؛ ما الشيء الذي يعتبره افراد البشر غاية لهم؟ والثانية؛ ماهو دور افعال البشر في تحقيق تلك الغاية؟

فني ما يتعلق بالمسألة الأولى نقول إننا توصلنا في السير العقلي من هذا البحث الى النتيجة التالية وهي ان افراد البشر ينشدون الكمال وان كمالهم النهائي يتمثل بالارتباط بالمبدأ المطلق، الا وهو الله.

اما بالنسبة للمسألة الثانية فالحقيقة هي ان افعال البشر أو بالأحرى ان الحياة الدنيا تعتبر مقدمة للآخرة، إذ ان الحياة الدنيا هي عالم الحركة، وان الحركة مقدمة للكمال. وعندما يبلغ الكمال نهايته، فلن يكون للحركة اي وجود آنذاك . وطالما تكون هناك حركة فان الكمال النهائي يبقى غير متحقق. إذن فان عالم المادّة الذي هو عالم الحركة ليس الا مقدمة لعالم الآخرة الذي يحصل فيه كل انسان على نتيجة اعماله.

ونستفهم من هاتين النتيجتين ان غاية حياة البشر هي تحقيق الكمال النهائي، أي الارتباط بمبدأ الكمال، وان الحياة الدنيا هي مقدمة لتحقيق هذا الكمال الذي يتمثل بالحياة الأبدية في الآخرة.

طبيعي ان افراد البشر لايحققون كمالاً متشابهاً، إذ ان كمال كل انسان يتوقف على مدى ما قدّمه في الحياة الدنيا، رغم ان مبدأ الشروع هو واحد و يتمثل بالايمان بالله واليوم الآخر. وهذا مارأيناه في الآيات التي تتطرق الى الأعمال الصالحة مع التأكيد على هذه الملاحظة وهي انه حتى العمل الصالح لن تكون له قيمة مالم يرافقه ايمان بالله.

وهذا الكمال له درجات في الآخرة، إذ انه يبدأ بدخول الجنة و ينتهي بالوصول الى الباري سبحانه وتعالى: «وان الى ربك المنتهى»[١٤].

والآن لنقرأ معاً بعض الآيات التي تشير الى عالم الآخرة بمثابة غاية حياة البشر وتبيّن درجات هذه الغاية:

«يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فَرُدُّوه الى الله والرَّسُول إنْ كُنتُمْ تُؤمنونَ بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسَن تأويلاً»[١٥].

«... وما عند الله خيرٌ وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون»[١٦].

«إنّ الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بان لهم الجنة»[١٧].

«ان المتقين في جنات وعيون»[١٨].

«يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات»[١٩].

حتى إنّ الكفار والمنافقين تتباين عقوباتهم بتباين ذنوبهم فلكل منهم عقاب بقدر ذنوبه:

«إنّه مَنْ يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار»[٢٠].

«ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار»[٢١].

ومثلما قلنا فان القرآن يصرح بان الحياة الدنيا هي مقدمة للحياة الآخرة، وان السعادة الأبدية هي غاية الأفعال التي يقدم عليها البشر في الحياة الدنيا.

اضافة الى ذلك ان الباري سبحانه وتعالى يعد الصالحين وغيرالصالحين بانهم سيرون نتائج اعمالهم في الحياة الدنيا مؤكدا انه يكافيء المحسن بالاحسان والمسيء بالعقاب.

وطبيعي ان مكافأة الصالحين تؤدي الى تشجيعهم لمواصلة الأعمال الصالحة، بينما يؤدي تنبيه غير الصالحين الى اعادة النظر في اعمالهم وتصرفاتهم وتجنب الشر والأعمال السيئة

والانفتاح على الخير والأعمال الصالحة.

وهناك الكثير من الآيات التي تؤكد ان افراد البشر، المتقي والصالح منهم أو غير الصالحين والمعاندين و.... الخ يرون نتائج اعمالهم في الحياة الدنيا.

ففي ما يتعلق بالمتقين والصالحين يقول القرآن الكريم:

«.... إنَّ الأرض يرثُها عبادي الصالحون»[٢٢].

«وَعَدَ اللهُ الذين آمنوا مِنكُمْ وَعَمِلوا الصالحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ في الأرضِ كما اسْتَخْلَفَ الذين من قَبْلِهِمْ.....»[٢٣].

«يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بخمسةِ آلافٍ من الملائكةِ....»[٢٤].

«وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ له مَخْرَجاً»[٢٥].

اما بالنسبة للمعاندين الذين يعصون الله فيقول القرآن عنهم:

«ومن الناس من يجادل في الله بغير علمٍ ولا هُدىً ولا كتابٍ منيرٍ. ثانيَ عِطْفِه ليُضِلَّ عن سبيل الله له في الدنيا خزيٌ ونذيقه يوم القيامة عذابَ الحريق»[٢٦].

«إنَّ الذين يحبونَ أنْ تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة»[٢٧].

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: هل ان الحصول على مثل هذه المكافئات في الحياة الدنيا يعتبر كل شيء؟

كلا، بالطبع، لأنَّ هذه المكافئات وانْ كانت تساعد الانسان على تخطي مراحل التكامل، لكنها تبقى غير كافية وذلك لاقتصارها على الحياة الدنيا أولاً وعدم كونها كمالاً نهائياً للانسان ثانياً، باعتبار ان الحياة الدنيا دار فانية بينما الآخرة دار باقية. وهذا ما نلاحظه في الآيات التالية:

«... وما الحياة الدنيا إلا متاعُ الغرورِ»[٢٨]

«يا أيُّها الناسُ إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فلا تَغُرَّنَّكُمُ الحياةُ الدنيا...»[٢٩].

«والآخرةُ خيرٌ وأبقى»[٣٠].

النتيجة:

نفهم من مجموع الآيات ان القرآن الكريم يقوم علاوة على تشجيعه افراد البشر للتدبر في الحياة الدنيا وذلك لمعرفتها ومعرفة الله من خلالها، بتحذيرهم من اعتبار الدنيا غايتهم المنشودة، ودعوتهم للنظر اليها كمقدمة لتحقيق الكمال والسعادة الأبدية في الآخرة.

اما المقارنة بين هذه الآيات والآيات التي تتحدث عن المكافئات في الحياة الدنيا فتوضح لنا ان تلك المكافئات هي عوامل لتشجيع الانسان من اجل طي مراحل التكامل، ولا تشكل تكاملاً نهائياً.

وفي المجموع وعلى ضوء (ربنا ماخلقت هذا باطلاً) فان خلق العالم ليس باطلاً، وان الحياة فيها تأتي وفق حسابات. لكن اذا أصبحت هذه الحياة مجردة من الهدف، وتعلّق الانسان بها فيجب ان يعلم:

«وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وان الدار الآخرة هي الحيوان»[٣١]

لذلك يؤكد الباري سبحانه وتعالى بان الآخرة هي الغاية والأصل وان الحياة الدنيا لا تستطيع ان تكون سوى مقدمة لتلك الحياة.

الهوامش

١ــ النحل ــ ٩٧.
٢ــ الطلاق ــ ١١.
٣ــ البقرة ــ ٢٥.
٤ــ البقرة ــ ٨١.
٥ــ ص ــ ٢٨
٦ــ البقرة ــ ١١٠.
٧ــ البقرة ــ ٢٧٢.
٨ــ ص ــ ٥٥.
٩ــ الزلزلة ــ ٨.
١٠ــ النساء ــ ٦٩.
١١ــ آل عمران ــ ١٦٩.
١٢ــ التوبة ــ ٢٠.
١٣ــ البقرة ــ ١٨٩.
١٤ــ النجم ــ ٤٢.
١٥ــ النساء ــ ٥٩.
١٦ــ الشورى ــ ٣٦.
١٧ــ التوبة ــ ١١١.
١٨ــ الذاريات ١٥ ــ الحجر ــ ٤٥.
١٩ــ المجادلة ــ ١١.
٢٠ــ المائدة ــ ٧٢.
٢١ــ النساء ــ ١٤٥.
٢٢ــ الانبياء ــ ١٠٥.
٢٣ــ النور ــ ٥٥.
٢٤ــ آل عمران ــ ١٢٥.
٢٥ــ الطلاق ــ ٢.
٢٦ــ الحج ــ ٨ ــ ٩.
٢٧ــ النور ــ ١٩.
٢٨ــ آل عمران ــ ١٨٥ ــ والحديد ــ ٢٠.
٢٩ــ فاطر ــ ٥.
٣٠ــ الأعلى ــ ١٧.
٣١ــ العنكبوت ــ ٦٤.

الموقف الانساني بين التسامي والانحطاط

آية الله الشيخ الجوادي الآملي

يقول الإمام علي أمير المؤمنين (ع):
«فلينظر ناظر أسائر هو أم راجع»[1]
إنَّ الإنسان، موجود مفكر، حرّ الارادة، يسلك السبيل الذي تأمّل وفكّر به واختاره على غيره...

وهنا يقول القرآن الكريم: «ربُّنا الذي أعطى كلَّ شيء خلقه ثم هدى»[2] انه تعالى اعطى الإنسان قدرة التفكير والاختيار، ثم هداه الى ما فيه كماله ورقيه وعرّفه سبيل الانحطاط والردى.

والقرآن ــ كما يعبر أمير المؤمنين ــ بحر لا يدرك قعره[3] وعصمة لن تمسك به[4]... وهذا البحر الخضم يرده الكثيرون، فهذا الانسان المفكر المتأمل العالم، وهذا الانسان العادي، فيهديهم جميعاً الى الحق والهدى، فهو هدىً للناس في نفس الوقت الذي يشكل فيه للخواص المفكرين بيّنات من الهدى والفرقان.

ثم ان هذه القلوب أوعية، وخيرها أوعاها[5].

ولذا كان لكل من هؤلاء المحققين الخواص، حظ خاص من خلال مدى مايبدو له من مدارج الكمال الانساني وقدرته على طيها حينمايرد المعين القرآني و يستفيد منه.

فهؤلاء العرفاء، يرون ان كمال الانسان، يكمن في معرفة نفسه، والسير في منازلها ،واقفاعلى مشاهد ظهور الوحدة في مرايا الآيات وبحال التعينات، حتى يتوحد؛ بالتوحيد الافعالي بشهود جميع الافعال الحسنة وهي فانية في فعله (تعالى)، و بالتوحيد الصفاتي بمشاهدة جميع الصفات الكمالية فانية في فعله تعالى، و بالتوحيد الذاتي برؤية جميع الذات فانية و بقاء الذات الإلهية لاغير.

و يتركز بحثهم النظري على الوحدة الشخصية لحقيقة الوجودواطلاقهامع تعيين مظاهرها،وذلك من خلال تبديل الفكر الى الشهود، والحصول الى الحضور، في حين يدور بحثهم العملي، على الشروع من اليقظة، والانتهاء الى التوحيد[6]. هذا مع وجود تقارب بين هؤلاء العرفاء اجمالاً في البحثين النظري والعملي.

اما الفلاسفة، فيرون ان كمال الإنسان، يكمن في عقله النظري الذي به يتأثر علماً عما فوقه بان يبلغ العقل المستفاد وفي عقله العملي الذي به يؤثر عملاً فيما دونه بان يبلغ بعدالتخلية والتجلية مقام الفناء بماله من الدرجات، و يرون ان هاتين القوتين تتحدان في النهاية، ومدار بحثهم هو تشكيك الوجود أو تباينه او غير ذلك، لا الوحدة الشخصية، ومعيارهم هو العلم الحصولي، لا الشهود الحضوري، و يقرب منهم اهل الكلام مع ما بينهم من الفوارق. فان الحكيم انما يبحث عن خصوص الموجود الخارجي بحثاً عقلياً حراً، بينما المتكلم يبحث عن الموجود الاعتباري ايضاً بالإضافة الى ان بحثه ليس عقلياً بحتاً ونظرياً حراً.

اما علماء الاخلاق من اصحاب الحديث، فيرون كمال الانسان في اتصافه بجنود العقل وانقائه جنود الجهل، و يرون ان جنود العقل لاتجتمع إلا في نبي، أو وصي نبي أو مؤمن قد امتحن الله قلبه للايمان، واما سائر الناس من موالي الأئمه فأن أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود حتى يستكمل و ينقى من جنود الجهل، فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الانبياء والأوصياء، وانما يدرك ذلك بمعرفة العقل وجنوده ومجانبة الجهل وجنوده حسبما رواه في الكافي عن الصادق(ع) وشرحه المحققون من مهرة الفن.

وهكذا يرون ان كمال الانسان في احصائه الاسماء الحسنى التي لله تعالى، ومعنى احصائها هو؛ العلم بمعارفها والاتصاف بحقائقها حسبما رواه الصدوق[7] من أنّ من احصاها فقد دخل الجنة.

وليس الغرض هنا، التمييز بين العرفان والحكمة والكلام والحديث والبيان، فلكلٍّ واحدٍ منها من الخصيصة اذ لذلك المقال مقام آخر.

بل المقصود هنا، بيان بعض المراحل السامية للانسان، وكيفية وصوله اليها والسير فيها من الدرجات العالية أو البعد عنها والسير في مقابلها في الدركات السافلة، حتى يتبين في ضوئه نبذ مما حصل عليه الإنسان الكامل الذي كان يرى نورالوحي و يشم ريح النبوة[8] وكان هو بين اتباع الرسول(ص) كالمعقول بين المحسوس[9].

ذلك مولانا أمير المؤمنين علي(ع)[10] حيث قال: «فلينظرناظر أساثرهوأم راجع» وتلك المرحلة السامية هي امامة المتقين بحيث يصير الانسان المتكامل قدوة لأهل التقوى وأسوة لهم وهي آخر امنلة[11] عباد الرحمن الذين[12] وصفهم الله بنير واحد من الكمالات الراقية.

ثم ان لنيل تلك المرحلة، شرائط وآداباً لا

تتحقق بدونها، كما انها لا تتخلف عنها لانه تعالى لايخلف الميعاد. ولنشر الى بعض تلك الشرائط والآداب التي لابد للسالك من معرفتها والتحقق بها والى نفس تلك المرحلة السامية المشروطة بها:

١ ــ المعرفة: هي معرفة المبدأ والمنتهى والسير بينهما المعبر عن الأصول الثلاثة للدين: (التوحيد والمعاد والنبوة) وسر الحاجة اليها واضح إذ ما من حركة إلا وهي محتاجة الى المعرفة، ولذا دعا القرآن اليها ببيانات شتى؛ كالتفقه، والتعقل، والتفكر، والعلم وبيانه حسبما افاده أمير المؤمنين (ع) الذي كان مخبراً عن القرآن هو قوله (ع):

«فالناظرُ بالقلب، العاملُ بالبصر، بكونُ مُبتدأ عمله أنْ يعلَمَ: أعملُهُ عليه أم له؟ فإنْ كان له مضى فيه، وإن كان عليه وقف عنه. فإنَّ العامل بغير علم كالسائر على غير طريق فلابُدَّ بذهُ بُعدُهُ عن الطريق الواضح إلا بُعْداً مِنْ حاجَته. والعاملُ بالعلم كالسائر على الطريق الواضح. فلْيَنْظُرْ ناظِرٌ: أسائرٌ هو أم راجعٌ.

الى ان قال: وَاعْلَمْ انَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نباتاً. وكلُّ نباتٍ لاغنى به عن الماء، والمادُّ مختلفةٌ، فاطاب سَقْيُهُ، طابَ غَرْسُهُ وَحَلَتْ ثَمَرَتُهُ، وما خَبُثَ سَقْيُهُ، خَبُثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّت ثَمَرَتُهُ[١٣].

والنتيجة: انه لولا العلم بالهدف الخير، لامعنى للعلم بالنافع، كما انه لامجال للعلم بالضار. اذ الخير هوالهدف الحق، والنافع، ما ينفع و يُجدي في السلوك اليه، كما ان الضار، ما يصد عنه، فيلزم أنْ يكون مبتدأ السلوك هو معرفة النافع والضار بالقياس الى الهدف الحق حتى يقدم السالك العارف به أو يقف... وهكذا معرفة الطيب والخبيث حتى تحلو ثمرة حياته ولا تمر.

٢ ــ الهجرة: وهي هجر الرجس برفض كل ما يصده، ولقد ندب القرآن اليها في اكثر من مورد وجعلها مدار ولاية المؤمنين بعضهم لبعض فلا ولاية لمن لم يهاجر[١٤] وحكم بان (من يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله)[١٥]، وكفى بذلك فوزا ووعد من هاجر في سبيل الله ثم قتل أومات برزق حسن[١٦]، كل ذلك للحركة الى الكمال النهائي والتحرك نحو امامة المتقين والسير الى الهدف المخلوق لاجله وصيرورته متحققا به.

٣ ــ السرعة في هذا السير واقتحام عقبات هذا المسير الوعر:

ولقد حث القرآن عليها، وجعلها موجبة للصلاح[١٧]، وسبباً لاستجابة الدعاء، و بيّن خطأ مَنْ توهم ان الإمداد المادي بالمال والولد سرعة في الخير، وأفاد انها، أي السرعة الى الخير هي التوحيد والاشفاق من خشية الرب والايمان بآياته ووجل القلب عند تذكر لقاء الله.[١٨]

والنتيجة: ان المهاجر الى مرحلة امامة المتقين، لابُدَّ له أنْ يسارع في هجرته هذه حتى يجتاز العقبات الكؤودة، وحيث أنَّ السرعة وصلت للهجرة والحركة، فلا بُدَّ للسالك من الحركة وهي الهجرة كما تقدم.

٤ ــ السبقة بعد السرعة: إذ الاستباق والتقدم

على الغير، يجعله مستوياً في هذا السير المعنوي وسائر الملكات الفاضلة ممدوح. ولقد رغّب القرآن اليها في اكثر من مورد[١٩]، وجعل السابقين من المقربين[٢٠] الذين هم فوق الأبرار، لأنَّ السابق بالخيرات، يحوم حوم ربه، كما ان المقتصد، يحوم حوم قلبه اتجاه ما يحوم الظالم حوم نفسه[٢١]، وحكم بان[٢٢] انفاق اللاحق ليس كإنفاق السابق ونحوه.

٥ ـ الامامة: وهي امامة المتقين، وهي المرحلة السامية المشروطة بما تقدمها من الأمور الأربعة، لأنّ العارف اذا هاجر الى ربه وسارع في هجرته هذه واستبق الخيرات وسابق غيره فيها، صار إماماً يأتم به غيره من أهل التقى لأنّه يهدي المتقين، كما ان القرآن هدىً للمتقين بحيث انه صار بمنزلة القرآن الناطق حسب سعة وجوده، ولايمكن نيل هذا الشأن والقاصي إلا بعد الابتلاء بكلمات الله واتمامهن والتحقق بها حسبما اشار اليه قوله تعالى: **(واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهنّ قال: اني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذرّيتي قال لاينال عهدي الظالمين)**[٢٣].

وببيانه هو انه لاينال عهده تعالى إلا مَنْ كان عادلاً طيلة عمره، لأنّ مَنْ كان ظالماً طول عمره أو كان ظالماً في آخر عمره وإنْ كان عادلاً في بادىء أمره فهو خارج عن دعاء خليل الله لترفع الخليل عن مسألة الامامة لهذين الصنفين، فيبقى من كان عادلاً طول دهره أو عادلاً في آخر عمره وإنْ كان ظالماً في بادىء أمره. وقوله تعالى **(لاينال عهدي الظالمين)** يدل على نفي الصنف الاخير وعلى عدم صلاحه له فلم يبق إلا من كان عادلاً طيلة دهره، وهو خصوص العارف المهاجر المسارع والمسابق في الخيرات[٢٤] الى الانسان الجامع لتلك الشرائط الأربعة. وهكذا لايمكن الرقي الى هذا المقام الرفيع إلا باليقين الذي ما أنعم الله على أحد بأفضل منه، إذْ به تدرك الغاية القصوى، وإلا بالصبر في أبعاده الثلاثة من الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية والصبر على المصيبة، وإلا بالعبودية الخالصة وبالجامعية للكمالات العلمية والعملية حسبما اشار اليه قوله تعالى **(وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً ... الى قوله تعالى: وأجعلنا للمتقين اماما)**[٢٥].

ثم اعلم ان الامامة كما هي زعامة الناس في عالم الملك، كذلك هي هداية أعمالهم وسوق ملكاتهم في عالم الملكوت، حيث ان اعمال الناس وكلماتهم الطيبة انما تصعد اليه تعالى تبعاً لصعود ما للإمام من العمل والملكة لانه بنفسه كلمة تامة ومن الكلمات التامات لله تعالى أنْ **(يوحي اليه فعل الخيرات)**[٢٦] واقامة الصلاة، وهذا وحي الفعل والتسديد، وهو غير وحي الحكم والتشريع، تدبّر تجد التمييز بينهما. ولإمامة أهل التقى خصيصة هامة، حيث انها قدوة للمتقين الذين هم في الجنة كمن قد رآها انهم فيها منعمون وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها يعذبون وقرة اعينهم فيما لايزول وزهادتهم فيما لايبقى يمزجون الحلم بالعلم والقول بالعمل[٢٧].

هذا مجمل القول في رقي الانسان من المعرفة والهجرة والسرعة والسبقة الى امامة المتقين وباتجاه رقيه وعلاه وفي قبال صورة هبوطه وهويه، لانه واقف بين نجدي[٢٨] الاوج والحضيض وسبيلي الايمان والكفر، فكما انه كان ترقيه درجات كذلك يكون هويه دركات:

أولها: الجهالة المقابلة للعقل لا العلم، اذ العلم بنفسه قد يكون حجاباً وجهلاً **(رب عالم قد قتله جهله وعلمه معه لاينفعه)**[٢٩]. وقال أمير المؤمنين (ع): **(لاتجعلوا علمكم جهلاً، ويقينكم شكاً. إذا علمتم فاعملوا، وإذا تيقنتم فأقدموا.** (ص٤٥٢ في النهج).

وثانيها: الهجرة، وهي هجرة القرآن، كما اشار اليه بقوله تعالى: **(يارب إنّ قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً)**[٣٠].

ولقد ذم القرآن هذا النكس والرجوع في قوله: **(فأنى تذهبون)**، وقوله **(فماذا بعد الحق إلا الضلال)** (يونس: ٣٢).

وثالثها: السرعة في تلك الهجرة الكاذبة بالفرح في المال والبنين وأكل التراث وحب المال جماً

وحسبان ذلك الهوى سرعة في الخير[31].

ورابعها: السبقة في تلك السرعة الكاذبة كما اشار اليها قوله تعالى: **(ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لايعجزون)**[32].

وخامسها: الامامة الكاذبة كما في قوله تعالى: **«فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون»**[33] ـ **«وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لاينصرون»**[34] وهذه الامامة هي الناصية الكاذبة الخاطئة التي تجزى بالزبانية).[35]

وكم فرق بين أئمة الصدق والعدل الذين هم قوام الله على خلقه وعرفاؤه على عباده **«ولا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه»**[36]. وبين أئمة الكذب والجور الذين يؤتى بهم يوم القيامة وليس معهم نصير ولا عاذر فيلقون في نار جهنم فيدورون فيها كما تدور الرحى ثم يربطون في قعرها[37]. ومن هذا القبيل ابليس امام المتعصبين كما جاء في الخطبة القاصعة من النهج.

والحاصل: انه **(لايستوي امام الهدى وامام الردى ووليّ النبي وعدو النبي»**[38]

وختاماً نسأل الله أنْ يوفقنا للرقي الى امامة المتقين وتجنبنا الهوى الى امامة الجائرين بمحمد وآله الطاهرين.

الهوامش

١ ــ نهج البلاغة (صبحي الصالح) ص(٢١٦)
٢ ــ طه: (٥٠)
٣ ــ نهج البلاغة ص ٣١٥
٤ ــ نهج البلاغة ص(٢١٩)
٥ ــ مقتبس من كلام الامام في نهج البلاغة.
٦ ــ منازل السائرين.
٧ ــ كتاب العقل والجهل.
٨ ــ كتاب التوحيد ص١٩٥
٩ ــ نهج البلاغة ص ٣٠١
١٠ ــ القائل هو ابن سينا في الرسالة المعراجية.
١١ ــ الفرقان: ٧٤
١٢ ــ الفرقان: (٦٣ــ٧٤)
١٣ ــ نهج البلاغة (٢١٩)
١٤ ــ الانفال (٧٢)
١٥ ــ النساء (١٠٠)
١٦ ــ الحج (٥٨)
١٧ ــ آل عمران (١١٤)
١٨ ــ المؤمنون (٦٠)
١٩ ــ البقرة (١٤٨) والحديد (٢١)
٢٠ ــ الواقعة (١٠)
٢١ ــ نور الثقلين ج٤ ص(٣٦٣)
٢٢ ــ الحديد: ١٠
٢٣ ــ البقرة (١٢٤)
٢٤ ــ الميزان ذيل هذه الآية عن بعض الاعاظم.
٢٥ ــ الفرقان (٦٢ــ٧٤)
٢٦ ــ الانبياء (٧٣)
٢٧ ــ نهج البلاغة (٣٠٣ــ٣٠٥)
٢٨ ــ البلد: ١٠
٢٩ ــ نهج البلاغة ٤٨٧
٣٠ ــ الفرقان (٣٠)
٣١ ــ المؤمنون (٥٦)
٣٢ ــ الانفال (٥٩)
٣٣ ــ التوبة (١٢)
٣٤ ــ القصص (٤١)
٣٥ ــ العلق (١٦ــ ١٨)
٣٦ ــ نهج البلاغة (٢١٢)
٣٧ ــ نهج البلاغة (٢٣٥)
٣٨ ــ النهج (٣٨٥)

المفهوم الاسلامي لـ نظافة البيئة

الدكتور علي التميمي

قُلنَا اهبطوا مِنْهـا جَميعاً فإما يَأْتِيَنَّكُمْ مِني هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدايَ فلا خَوف عَلَيهِم وَلا هُمْ يَحْزَنُون».
(البقرة: ٣٨)

نظافة البيئة

من الصيحات العلمية المتميزة التي تعالت في العقد الأخير هي نظافة البيئة البشرية!! حتى أصبحت ظاهرة من مظاهر التقدم والمدنية فكثر الحديث عنها وظهرت الوسائل التقنيّة التي تعبر عن التعبير العملي لمواجهة تلك الظواهر التي تعني فيما تعنيه أن البيئة البشرية تتعرض الى المزيد من الإنتهاك الذي يؤدي إلى تعرض صحة الإنسان كمظهر بشري يعبر عن تحوام البيئة البشرية المطلوبة في العمل والإنتاج والتي أصبحت أي تلك البيئة البشرية (أي صحة الإنسان بشروطها ومواصفاتها العامة) تتعرض إلى الخطر المحدق نتيجة الإبتعاد عن التخطيط الحضري. وهذا الإبتعاد عن التخطيط الحضري العلمي الذي يميز الشروط الصحية للإنسان أدى إلى تلوث البيئة التي يعيش فيها الإنسان.

وتلوث البيئة ظاهرة من مظاهر الصناعة في عالم اليوم التي ستؤدي إلى خسائر مادية في

الوسط البيئي تنعكس بالتالي على الوسط البشري بخسائر مادية هائلة... وهكذا أريد لهذا المفهوم الإنساني الأصيل كغيره من المفاهيم أن يظل حبيس المفهوم المادي الذي لاينظر إلى عالم السماء بمقدار ما ينظر الى عالم الأرض بكل مافيه من إسراف في الغفلة نتيجة التحلل في شرنقة الربح والخسارة بمفهومها الأرضي دون الإلتفات إلى أبعادها الكونية عبر المرور بمفاهيم السماء كشرط ضروري لأي أطروحة يُراد لها أن تكتسب الشمولية في الإستيعاب والطرح ضمن المفاهيم الكونية التي ألحت العقيدة الاسلامية على بلورتها كمساهمة أساسية في الوصول الى مضامين أنسانية معطاءة على صعيد الإعتناء الفائق برسم الاطار الحضاري السليم في العمل والحركة...

ولأن هذه الصيحات انطلقت من ميادين العالم الغربي المادي بعد أن أصبحت المظاهر التقنيّة فيه تتجاوز على الكثير من الشروط الحياتية الحيوية ــ من خلال الدأب المستمر والإرتماء المطلق في أحضان الربح المادي ومظاهره التي أصبحت تطوق الحياة المدنية في عالم الغرب المادي.

وتعالت هذه الصيحات في ميادين العالم الأخرى بما فيها ميادين الدول المتخلفة في مضمار الركب الصناعي... حتى شكّلت ظاهرة أخرى من ظواهر التخلف لدى هذه الدول بدل أن تصبح ظاهرة تُعبِّر عن الإتجاه نحو الإستفاده من مظاهر المدنية والتطور العلمي!؟

والمتتبع للنشاطات العجولة في ميادين الدول المتخلفة للحفاظ على ما يسمى بنظافة البيئة يدرك عن كثب أن هناك مؤامرة أخرى جديدة لإستلاب ثروات هذه البلدان وأثقال ميزانيتها بالمزيد من النشاطات والاجراءات المادية المثقلة لها دون جدوى!! و يدرك أكثر أن تصدير هذه الصيحات العلمية في منطلقاتها أصبحت هي الاخرى من أكثر الأغطية والأقنعة التي يتستر خلفها الإستكبار العالمي و يعاود نشاطه الخابراتي المحموم للسيطرة على عجلة التقدم في تلك البلاد واعاقتها بأسلوب ماكر.

فوزارة الصحة في بلد صغير في حجمه السكاني كالعراق مثلاً في ظل نظام العمالة البعثي قد أسست ما يسمى بالمديرية العامة للبيئة عرفت فيما بعد بالبيئة البشرية و شرعت تستورد الأجهزة والآلات ومعدات التقنية التي لم يتدرب عليها أفراد الكادر الصحي،ونصبتها في المدن والقرى وكتبت عليها البيئة البشرية!! في استعراض مسرحي مضحك أثار دهشة الناس عندما ظلت الآلات قابعة لسنوات لا أحد يدري من جاء بها ولماذا.... حتى نتذكر أن أحد المكلفين بحراستها من العاملين يسمع همساً من بعض القرويين أن هناك تنبيهاً للبعض أن يضعوا سماً في خزانات تلك الأجهزة و يسمموا الناس بدل أن يقدموا لهم شيئاً نافعاً، ولما سمع ذلك العامل المسكين بهذا الهمس بدأ يرتعد خوفاً مما جعله يقدم طلباً إلى رئيس دائرته الصحية بالموافقة على إعفائه من مسؤولية حراسة هذه الأجهزة أو سحبها لعدم فائدة الناس منها.

في الوقت الذي تتبجح دولة مثل العراق بأنها أسست مديرية عامة للبيئة بذلت عليها من المال الكثير!! ترى أن جهاز البلديات في إحدى

المحافظات يقوم بسحب مياه المجاري والبرك الآسنة ليصبها في النهر الذي تعتمد عليه معظم المدن العراقية في مشروعات مياه الشرب!!

نذكر هذه الحادثة الميدانية كمثال من أمثلة البلدان المتخلفة وكيفية تعاملها مع مفهوم نظافة البيئة في حدوده المادية ومفاهيمه الأرضية المنطلقة من عمق الميدان الأوربي الغربي والمصدرة إلى مناطق العالم والشعوب الإسلامية.

ونحن هنا لانريد لبحثنا هذا أن يتعرض لجوانب النهب الإستكباري ونشاطه المخابراتي من خلال الواجهات العلمية وإن كانت هذه لها علاقة بالاستلاب الفكري لدى الشعوب المستضعفة من قبل الإستكبار العالمي والتي تعتبر في تصورنا كإسلاميين نتصدى لمواجهة هذا الإستكبار عبر نظرية إسلامية أصبحنا نتلمس معالمها بوضوح بعد أن أفتقدناها في الماضي كأحد أهم الأسس الحضارية لأي صراع حضاري في أبعاده الفكرية!؟

ماذا تعني مفاهيم نظافة البيئة لنا؟

لابُدَّ أن نحدد بوضوح فكري أن هذه المفاهيم تفتح أمامنا ميادين جديدة للصراع الحضاري التي لابُدَّ ان نتسلح لها ونحدد أبعادها لنتمكن من قيادتها وإدارة رحاها بما ينفع الانسانية. فالموقف الإسلامي المسؤول إبان الصحوة الاسلامية المعاصرة يتطلب منا أن ننتقل إلى مرحلة قيادة الحدث والتأثير فيه دون الإكتفاء بمواجهة آثار الحدث!! فتلك مرحلة استهلكت منا الكثير من الجهد والوقت.

كيف نفهم نظافة البيئة؟

إن عكس نظافة البيئة يعني تلوث البيئة، وإذا تأملنا أسباب تلوث البيئة بمختلف مصادرها الصناعية والحيوانية لوجدنا أن خلف كل تلك الظواهر والنشاطات يقف الفاعل والمحرك لها ألا وهو الإنسان... ولوجدنا بعد تأمل آخر في حركة هذا الإنسان ان التلوث يأخذ مظهرين من مظاهر البيئة بمختلف تكويناتها بما فيها الوجود الإنساني وأن هناك علاقة ترابطية شديدة الوضوح نعبر عن اكتشافها بالسؤال التالي:

متى يتلوث الوسط البيئي؟

ولا نحتاج إلى مزيد من التحليل الذي قد يستغرق في التعقيد إذا ما تعرضنا إلى أبعاده المختلفة بشيء من الاستطراد الفكري العميق!

بل سنبادر لطرح الجواب باستطراد يحمل البداهة والتلقائية للموقف الفكري الإسلامي.

لنقُلْ: يحدث التلوث البيئي عندما يتعرض قانون الترابط العام في الوسط الاجتماعي إلى الإختراق والبعثرة!!

وهذا الإختراق وتلك البعثرة إنما هما التعبير الأكثر وضوحاً عن قلق الفكرة وعدم إستقرارها، وظاهرة القلق في تركيب الأفكار وصياغتها هي التعبير عن التلوث الفكري!!

وهكذا نخلص إلى أنه لكي نحافظ على نظافة البيئة لابُدَّ لنا من المحافظة على نظافة

الفكر الانساني في أبعاده المختلفة من التلوث. فالفكر هوالذي يخطط و يقود و يترجم مصاديق قيادته وخططه الى مشار يع و برامج في الوسط الميداني (البيئي)...

فإن كانت البيئة الفكر ية تعيش حالة التلوث بمختلف أنواعها ومستو ياتها... كان لابدّ للبيئة الإجتماعية من أن تكون هي الأخرى متلوثة. وهذا التلوث الإجتماعي يتجسد أكثر عبرمظاهر البيئة وميادينها المختلفة.

فظاهرة التبول على الجدران ومنعطفات الشوارع داخل المدن هي من أكثر المظاهر اشمئزازاً في تلوث البيئة. وهذا السلوك الاجتماعي المتلوث إنما هو التعبير الواضح للتلوث الفكري، فليست فوهات المصانع وفضلات الطعام هي وحدها التي تساهم في تلوث البيئة وإنما هناك ما يرقى في خطورته على هذه وتلك وان كانت جميعها تحمل في طياتها الخطورة والهلاك.. فظاهرة التبرج مثلاً هي من أكثر الظواهر الاجتماعية في باب السلوك الفردي التي تؤدي الى تلوث الوسط الإجتماعي بمختلف العلل والأمراض النفسية.وإذا مرضت النفس أو اختل توازنها فقدنا كل شيء بما فيه الفكر الذي يبني ويخطط و يوجه... فعندما تهتز النفس يهتز الفكر... وعندما تمرض النفس يمرض الفكر،وهكذا دواليك.

الخاتمة:

وهكذا نفهم ان أطروحة الاسلام إنما عالجت موضوع نظافة البيئة الفكر ية، والبيئة الإجتماعية، والبيئة البشر ية ككل وفي مستو ياتها الثلا ثة عندما طرحت الإطار الفكري العام ورسمت معالمه الأساسية عبر قانون كوني عام يُسهم في صناعة الفهم الكوني المترابط في مفاصله ومفرداته. وهذا ما أنجزه الطرح القرآني المبارك وهو يرسم ويخطط للفهم الإنساني الكوني في سياقاته العذبة... ولعلنا نوفق في القر يب العاجل الى معالجة الأبعاد الأخرى في هذا الموضوع باعتباره من المواضيع المعاصرة التي تشغل بال الإنسانية اليوم والحمدلله ربّ العالمين...

لغة

دراسة مقارنة في:

المصطلحات الإسلامية ودلالاتها في مختلف اللغات

بقلم: الدكتور الحسيني

■ أمّة البشر: الأمّة البشرية:

Human being: Humanity

■ أمّة الإسلام: الأمّة الإسلامية:

Islamic Ummah: Muslim Ummah

«إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ».[1]

لاشكّ أنّ البشريّة أمّة واحدة، وقد أكّدت الأديان والرسالات السماويّة على وحدتها. وأنّ الدين الإسلامي الذي كَمُلَ به الدّين كلّه و تمّت به النعمة[2] الشاملة قد جسّد هذه «الأمّة الواحدة» ــ الأمّة الإسلاميّة ــ وذوّب فيها كُلّ الفوارق والاعتبارات إلا فارق التقوى واعتباره؛ إذْ هو المقياس والمعيار: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ».[3] فإنّ اختلاف الذكر والأنثى والشعوب والقبائل لايمنع من تشكيل الأمّة الواحدة، أو بالأحرى إعادة تشكيلها:

«(وما كانَ النّاسُ إلا أمّةً واحِدةً فاختلَفُوا ولَولا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ ربِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فيما فيهِ يَختَلِفُونَ)»[1].

إنَّ هذا الاختلاف ناجم عن الجهل والابتعاد عن الحقّ والجادة الوسط، ولكنَّ الله سبحانه وتعالى بعث نبيّه الكريم محمّداً (ص) رحمةً للعالمين[5] وإلى الناس كافّةً[6] تمهيداً لذلك الهدف؛ ليكون شهيداً على أمّته وتكون أمّته شهيداً على الناس: «(وَكَذلكَ جَعَلْناكُمْ أمّةً وَسَطاً لِتَكونُوا شُهَداءَ على النّاسِ ويكونَ الرَّسُولُ عَليكُمْ شَهِيداً وما جَعَلْنا القِبلَةَ الّتي كُنْتَ عَلَيْها إلا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ وَإنْ كانَتْ لَكَبيرَةً إلا على الّذِينَ هَدَى اللهُ وما كانَ الله لِيُضِيعَ إيمانَكُمْ إنَّ اللّهَ بالنّاسِ لَرَؤوف رَحِيمٌ)»[7] وتمّ اتّخاذ «القِبلة الواحدة»: الكعبة الحرام بعد القبلة الأولى: الشريف «القدس» ليتّجه إليها كلُّ مَنْ أسلم في «صلواته»، ويطوف حولها كُلُّ مَنِ استطاع «الحجّ» رمزاً «للوحدة والتوحيد» وتكوّنت بذلك الأمّة المادية الخيّرة الّتي أخرجت للناس هدىً ونوراً ورمزاً للصلاح والإصلاح: «(كُنْتُمْ خَيْرَ أمّةٍ أُخرِجَتْ لِلنّاسِ تَأمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ)»[8] والأمل أن تعود كما كانت، وها قد بدأت تباشير النهضة الإسلاميّة العالميّة، وقد طلع فجرها في إيران الإسلام وبقيادة الإمام الخمينيّ الكبير.

وببركات هذه الثورة الإسلامية المباركة بدأت كلمة «الأمّة» تلمع في الكتابات الإسلاميّة والوسائل الإعلاميّة المحليّة منها والعالميّة. ونحن حسب منهجنا اللغويّ المقارن والنظريّة اللغوية العالميّة: Universality الّتي أشرنا إليها في حلقات سابقة نجد كلمة «امة» ذات جذور ضاربة في أعماق اللغات والتاريخ، وذلك ممّا يؤكّد كوْن البشريّة من أمّة واحدة ومنحدرة عن «ام» واحدة هي الأصل والمرجع لجميع الأمم. وقد احتفظت لغاتها باشتقاقات مقاربة لكلمة «امة» صوتاً ودلالة. وإذا كان ثَمَّ اختلاف في اللفظ أوالمعنى ظاهراً، أوكان ثَمَّ تطوّر في ظلالها ودلالاتها فذلك طبيعيّ وبديهيّ، وكذلك هي سنّة اللغات والأشياء.

فعند الرجوع إلى كلمة «أُمّ» في المعجمات اللغويّة نجدما يأتي: «أمّ الشيء أصله، ومكّةُ أُمُّ القُرى، والأمُّ الوالدةُ، والجمعُ أُمّاتٌ، وأصلُ الأُمّ أُمّهةٌ، ولذلك تجمع على أُمّهات، وقيل الأُمّهاتُ للنّاسِ، والأُمّاتُ للبهائم... ورئيسُ القوم أُمّهم، وأمّ النجوم المجرّةُ، وأمّ الطريق معظمُهُ، وأمُّ الدماغ الجلدة التي تجمع الدّماغ، ويقال أيضاً أُمُّ الرأس، وقولُهُ تعالى: «(هُنَّ أمُّ الكِتابِ)»[9]، ولم يقُلْ أمّهات؛ لأنّهُ على الحكاية، كما يقولُ الرجلُ: ليس لي معينٌ فتقول نحنُ معينك، فتحكيه. وكذا قولُه تعالى: «(كُنْتُمْ خَيْرَ أمّةٍ)»[11]، قالَ الأخفشُ: يريدُ أهلَ أمّةٍ: أيْ كنتم خير اهل دين»[12]. وقد ورد في الشعر المعاصر النشيد الآتي:

«وَأجْمَعْ إلى أُمِّ القُرَى أمِّ المَدائِنْ»[13]

فنحنُ نلاحظ من هذه النصوص اللغوية أصالة كلمة «الأمّ» ودلالتها على الأصل عموماً، وعلى الأصل الإنسانيّ خصوصاً؛ هذا المخلوق المؤمن الأمين أصالةً، وخليفة الله الذي حمّل «الأمانة» و«الإمامة» وكانَ أمّةً وحده[14]، إلا إذا ضَلّ عن السبيل واتّبع هواه فيتردّى عن

إنسانيّته وأمنه وأمانه، ويخرج عن أمته الإنسانية، و يكون هو وأمثاله كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا[15].

واللفت للنظر أنّ كلمتي «أمّ»«وأمّة» تشتركان مع كلمتي «أمن» و «أمانة» صوتاً ودلالة في ظلال كثيرة من المعاني الحضاريّة والإنسانيّة. كما أنّ كلمة Human في الانكليزية المنحدرة أصلاً عن اللاتينيّة humanus والمستعملة في الفرنسية الوسطى humain تحمل نفس الظلال والدلالات وهي ذات جذر مشترك مع homo. والّتي يصطلح عليها في الدراسات اللغوية بظاهرة الكوگنيت Cognate وهي تتساوق مع كلمة «أمّ» في دلالتها على الأصل والصفات المشتركة بين الأشخاص أو الأشياء.

«Human (hu'man) [M.F. humain, L. humanus, cogn. with Homo], a pertaining to man or mankind; having the nature, ovualities, or characteristics of man».

وإذا كانت كلمة man قد استعملت في الانكليزية بمعناها الخاصّ للدلالة على الرجُل فكلمة Wo-man تدلّ على المرأة، وكلاهما من أصل واحد لفظاً ومعنى؛ إذْ أنّ woman في اللغات الانگلوساكسونيّة أصلاً من كلمة عبريّة wif-man: «wife, man»[17] ثمّ تطوّرت إلى ماهي عليه في الإنكليزية المعاصرة. وهي زوج الرجل ومنها يتوالدالنسل، وكلاهما أمّ بمعنى الأصل، وقد اصطلح القرآن الكريم عليهما «زوجاً» دون تمييز، وما التاء في «الزوجة» إلا متأخرة: «(وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ)»[18].

ومن الطريف أن يُسمّى كلٌّ منها بالفارسية «همسر»، كما تقابل man بالفارسية كلمة «مَرْد» وهي قريبة منها جَرساً، وقد استعملت في اللغات الأنگلوساكسونية جذراً باشتقاق آخر mann وكذلك هي في الألمانيّة، غير أنّها في الهولندية والسويدية man. وأنّ كلمة «أمّ» بلغاتها ولهجاتها المتعددة متقاربة في أغلب اللغات المعروفة. وقدوردت في العربية بصورة مماثلة في بعض لهجاتها واشتقاقاتها: أم، أمام، أمامة، مامة، ماما، مام.. ومثلها في الانكليزية mother , mammy , mummy, mum وكذلك هي في الفارسية «مادر» متساوقة صوتاً ودلالةً كأغلب مصطلحات أفراد العائلة Family: فاميل.

وقد أطلق على الأمّة البشرية في التعبيرات المعاصرة Great Family أيْ الأسرة الكبيرة الواحدة، وإذا أريد التحسّس بالمعاني الإنسانية الرفيعة استعملوا اشتقاقاً آخر من كلمة Man: Humane أو Humane society و هي دلالات إنسانيّة على المجتمع البشري الراقي.

«Humane (human) [as prec., differentiated in meaning late] a. Having the feelings proper to man; tender, compassionate, kind, gentle; elevating, refining; polite, elegant; relieving distress, aiding those in danger, etc.» [19]

وأراني هنا مضطرّاً لأذكر جملةً معترضةً: أين مِنْ هذه المعاني الإنسانيّة الرقيقة الأمم الناطقة بها، أو تلك الّتي يُطلق عليها بالدول العظمى أو ما يُسمى بالدول الكبرى!! فهل

بقيت بعض هذه المعاني في تصرفاتها، أو في قاموس سياساتها الطاحنة المُدَمِّرة؟! وقد اشتقّوا من هذه المعاني الأخلاقيّة المتقدّمة مصطلحاً فلسفيا وأطلقوا عليه كلمة: Humanism وعلى المتخصّص بهذه الفلسفة والمعرفة البشريةHumanistوعلى الذي يؤمن بالكمالات البشرية Humanitarian وصاغوا من هذه الأخيرة فلسفة مرتبطة بها تُدعى: Humanitarianism وهي قريبة من مصطلح Humanity وإذاجُمعت: Humanities صارت تدلّ على الدراسات الانسانية؛ المعنيّة بالثقافات والآداب والحضارات المتوالدة بعضها من بعض.

إنّ علاقة الأم بـ (Home) البيت و«المأوى» واضحة، وكذلك كلمة Home-land : الوطن الأمّ، وفي الاصطلاحات التعارفيّة بالانكليزية: Feel at home اشعر وكأنّك في بيتك وعند أهلك، كناية عن رفع التكاليف، ومثل ذلك مصطلح Home-sickness الحنين إلى الوطن الأمّ، و يقال لمن رُبّي في بيته وأحضان أمّه وأبيه: Home-bred أيْ ليس تربية أغراب، ولشدّة حُبّ الإنسان لأمّه واحترامه وتقديسه لها اشتُقّ من كلمة الأم ـ الوطن Homage لِلاحترام والمحبّة المقدّسة مطلقاً: «to pay homage or respect to». وقد نصّ معجم كاسل على أنّ هذا التعبير منحدر عن اللاتينيّة والفرنسيّة القديمة، وذو علاقة بالإنسان عموماً[٢١] «Homo, hominis, man» وقد ارتبط جنس الإنسان وأصله بكلمة man و Man-kind و Man-hood

و يدلّ بذلك على الذكر والأنثى معاً والأمّة البشريّة جمعاء.

والعجيب في الأمر أنّ الصوت [M] أو [الميم] والتصويت به ذوعلاقة بالشفتين وعملها، وهو من الحروف الشفويّة الأنفيّة: «الأنفمويّة» وقد استعمل في كثير من المفردات والاشتقاقات وفي كثير من اللغات بدلالات نفسيّة خاصّة وغالباً ما تكون ظلالها مرتبطة بالأمّ بمعنى من المعاني التي ورد بعضها في النُّصوص المتقدمة، ولَعَلّ أوّل صوت ينطق به الطفل مناغياً به أمّه هو الميم ـ أوْ من الأصوات الأولى ـ لسهولته من ناحية ولطبيعة عملية الرَّضاعة الفطريّة الّتي تحدثه، ومنه قيل «مصّ الثدي» في العربية و «مكيدن» في الفارسية، عند عمليّة الرَّضاعة، وابتداؤهما بالميم. ومن ذلك سُمّيت الحيوانات الّتي ترضع أولادها «بالثدييّات»: Mammal و Mammalian كما يلاحظ وجود الميم في كلمة «فم» و Mouth و قد قيل «للأثداء» نفسها Mammary: والأطفال عامّةيطلقون كلمة Mum«مام» بمختلف اشتقاقاتها و في مختلف اللغات على «الأمّ» كما مرّت الإشارة إلى ذلك.

ولعلّ لكلمة Animate وسائراشتقاقاتها ك Animated, و Animal و Animation وأمثالها أثراً واضحاً في الدلالة على «أمّة الحيوان» وجنسه عموماً، وعند تقسيمه إلى فصوله وأنواعه نلاحظ كلمة المناطقة الشهيرة: «الإنسان حيوان ناطق» فهويشكّل الفصل الأرقى من هذه الأمّة، و يتميّز عن سائر الفصول بعقله ومنطقه: «﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾»[٢٢] و بحمله للرسالة والأمانة والإمامة، فإذا

فرّط فيها يكون أضلّ من الأنعام ــ كما ذُكِرَ.

وكلمة Great family كَمّاً وكَيْفاً تكون صحيحة إذا احتفظ الإنسان بإنسانيّته وأخلاقيّته.

إنّ كلمة Family ذات علاقة صوتية ودلالية بكلمة Female المرأة أوجنس المرأة وقد وردت في أغلب اللغات المتفرّعة عن اللاتينيّة، كماوردت في الانكليزية، وهي تقابل Male الرجل أوجنس الرجل، وهما قريبتان من كلمتي Woman و Man إذ الأصل في Woman «Wife-man» فتارة تنسب البشرية إلى المرأة ــ الأمّ فيقال: Great Family وتارة تنسب إلى الرجل ــ الأب فيقال Human being أو Hu-man ونحن نعلم أنّ علامة التعريف Definite Article في العبرية تكون Ha :«ها» وهي قريبة من البادئة Hu في كلمة Hu-man ومنه قولهم: «هامايم» للمياه و «هاشمايم» للسماوات و «ها أرص» للأرض، فيمكن أن يكون: Hu-man: الإنسان كجنس «الأمّة» وتقابل «ال» الجنسيّة في العربية وتكون بذلك: Hu-manity :

الانسانية وهي الامة البشرية وقد ورد Man في المعجم الكتابي بمعنى آدم و Woman بمعنى (Wife-man) و Ummah بمعنى الجماعة :Community و Amam : المجمع و Aman : الأمّ و Ammah : الرأس و Ammi-el امّة الله.[٢٣]

و هناك نوع من الأصوات الشفوية الناعمة التي يُخرجها الإنسان بشكل متشابه ومتجانس يقال لها **همهمات**. «والهمهمة: ترديد الصوت في الصدر»[٢٤] و يراد بها التعبير الهادىء أو الهادف إذْ قد يركّز بها على هدف مقدّس و بأسلوب عرفانيّ خاصّ، فيقال لنوع من التسبيحات «هينمات» وقد وردت في الانكليزية كلمة Hymn بهذا المعنى من الأصوات المقدسة والترانيل والترانيم في «القُدّاس» وهي ذات علاقة صوتية ودلالية بكلمة Harmony هم آهنگي

«Hymn n. song of praise to God or a sacred being. hymn book n. book of hymns»[٢٥]

ونحن نلاحظ هنا بشكل جيد علاقة Hymn بكلمة «هينمة» و«هيمنة» إذ إحداهما سبب للأخرى في كثير من الحالات، ومنه قيل «للمهيمن»: المسيطر على وجود الشيء «هَيْمَنَ»، والمهيمن من أسماء الله تعالى المشتركة مثل «المؤمن» يطلق على الله ــ سبحانه ــ وعلى العبد المؤمن بالله، وقد قيل: إنّ المهيمن أصل مشترك مع المؤمن ومادتها الأمن والأمان والإيمان: «والإيمان التصديق، والله تعالى المؤمن؛ لأنّه آمن عباده من أنْ يظلمهم. وأصل آمن أ أمن بهمزتين لُيِّنَتْ الثانية، ومنه المهيمن وأصله مُؤأمن لُيِّنَتْ الثانية، وقلبت باءً كراهة اجتماعها وقلبت الأولى هاءً، كما قالوا أراق الماء وهراقه»[٢٦]. وتلاحظ إضافة «الهاء» أو إبدالها في كلمة أمّ أيضاً فيقال «امّهة»، كما قيل: «الهامَةُ» لأمّ الرأس، والرجُل الهُمام: «الملكُ العظيمُ الهمّة»[٢٧]؛ ولكلّ مَنْ يتّصف بالهمّة العالية يُقال: هُمام. كما يقال لرئيس القوم: هامَة[٢٨] أيضاً. واذا اشتدّ شوقُ الإنسان وزاد حُبُّه و وَلَهُهُ للمعشوق قيل «هَيْمانُ» و هو في الأصل

من شدّة العطش، ويقال «الهُيام ــ بالضمّ أشدُّ العطش»[٢٩] كما يُقال «اليهيام» بالكسر والكلُّ من مادة واحدة. واذا أُخِذَتْ بمعناها المجازيّ فهي خاصّة بالوَجْد والتواجد، و«الوَلَه» والحنين الشديد و هي من صفات الإنسان، و يكون أقدسها وأعلاها التوّجه إلى «اللّه» تعالى وهو معنى الإله: «لإنّه مألوه أيْ معبود»[٣٠].

ولمّا كانت كلمة «أمّ» تدلّ على الأصل الجامع والجنس العامّ والمعنى الكلّيّ فقد استعملت مضافة إلى «الكتاب» بمعنى عرفانيّ كلاميّ فلسفيّ. وقد جاء في تعريف «أمّ الكتاب» باللغة الفارسيّة مايأتي:

[امّ الكتاب: اين اصطلاح عرفانى است كه فلاسفهٔ اسلام با استفاده از كلمات قرآن وأخبار مورد بحث و دقّت فلسفى قرار داده اند و بر معانى متعدّد وز يادى اطلاق كرده اند:

١ ــ عقل اوّل را از جهت احاطهٔ كه باشياء دارد بنحو اجمال «أمّ الكتاب» گويند.

٢ ــ نفس كليه را از جهت آنكه مظهر اشيا است در مقام تفصيل «أمّ الكتاب» نــاميده اند ونفس منطبه را كتاب محو واثبات نــاميده اند باعتبار احوال لازمهٔ اعيان آنها برحسب استعدادات اصليه آنها كه ظهور آنها مشروط باوضاع فلكيه است.

٣ ــ انسان كامل را از جهت روح وعقلش كتاب عقلي و «أمّ الكتاب» نامند و از جهت قلبش كتاب لوح محفوظ و از جهت نفسش كتاب محو واثبات ناميده اند.

٤ ــ لوح محفوظ و قضاء الهى را نيز «أمّ الكتاب» ناميده اند. رسائل صدرا ص ٢٨٢ و شرح قيصرى وفصوص ص ٢٧][٣١].

ونخلص من كلّ ذلك إلى أنّ كلمة «أمّ» و «أمّة» ومايعادلها في مختلف اللغات والاشتقاقات تفيد الدلالة على الأصل والمرجع أو ما انتسب إلى الأصل والمرجع من اشخاص أو أشياء ذوات صفات مشتركة تكون حقيقتها منعكسة في تلك الأمّ، أوهي مرايا لصورة أصيلة واحدة، كماهي دلالة «أم الكتاب» لسورة الفاتحة التي تنعكس فيها كلّ حقائق القرآن وسُوَرِه، و تتضمّن كلّ أُصول الدين و فروعه في نظر أهل التفسير والمعرفة[٣٢] ومن ذلك ماورد في النصّ الفارسي المتقدّم حول العقل الأوّل والنفس الكلّيّة، والإنسان الكامل، واللوح المحفوظ. كما ورد في الفارسية أيضاً «مادر گيتى» و «مام وطن» للكون الجامع والوطن الأمّ. وقد اصْطُلِحَ بكلمة «الأمّهات الأربع» على العناصر الأربعة التي تمثّل كلّ ما في الوجود ــ حسب الفلسفة القديمة ــ: الماء والتراب والنار والهواء، والّتي يتوالد منها كلّ شيء في الوجود بنظرهم، وكذلك هي «أمّهات الأسماء» الّتي تمثّل كلّ أسماء الذات المقدّسة وصفاتها الثبوتيّة، وهي الأوّل والآخر والظاهر والباطن ويجمعها الاسمان المختصّان «اللّه والرحمن»[٣٣] ومثلها «أمّهات الحقائق». وقيل «امّهات المطالب» للأدوات التي يُسأل بها عن كلّ مطلب وهي: «ما ــ هل ــ لم»[٣٤] إذْ هي الأمّ لكلّ سؤال.

وانّ كلمة «المهمهة» المتقدّمة والّتي تمثل الترديد والتكرار والتشابه بين الأصوات «المهمهم» بها ذات علاقة وُثْقى دلالية وصوتية بكلمة Homo الّتي تدلّ على التشابه بين الأشخاص أو الأشياء وكأنّها منحدرة من

«أمّ» واحدة وأصل واحد، ولها علاقة كبيرة بكلمة Home: البيت المكان الجامع الذي يضمّ أفراد العائلة من «أب وأمّ» وَالِدَيْنِ لها، ومنه قيل Homo-nym و يعادلها في الفارسية «هم نام» أيْ: اللفظ المتشابه و -phone Homo اي: الصوت المتجانس و -geneous Homo و يعادلها في الفارسية «هم جنس» و ما إلى ذلك من مصطلحات متشابهة صوتاً ودلالة والتي تقوم عليها عمدة دراستنا في هذه الحلقات والتي يطلق عليها «homo nyms-Syno» وهي المشترك اللفظي والمعنوي عالمياً.

ولمّا كان الجنس البشريّ من جنس واحد وأصل مشترك و«أمّ وأب» وَالِدَيْنِ للجميع فهم «أمّة بشريّة» واحدة وهو المصطلح الذي نقترح معادله: Humanity المشابه «لأمّة» صوتاً و دلالةً، وهي الأمّة العالميّة الواحدة التي يسعى من أجل تكوينها الإسلام العظيم بتحقيق «الأمّة الإسلامية» الكبرى Islamic Ummah والتي تذوب فيها كلّ الفوارق المفتعلة والحدود المصطنعة. وانّ يوم تحقيق هذا الحُلم الكبير لقريب ــ إنْ شاء الله تعالى ــ وقد بدأت تباشيره الخيّرة في نواة الثورة الإسلامية العالمية في «إيران الإسلام» وهي المرحلة التمهيدية لحمل الراية من جديد على يد وليّ العصر والزمان ــ عجلّ الله تعالى فرجه وسهّل مخرجه ــ ونختم مقالتنا المتواضعة هذه بما افتتحنا به من القرآنِ الكريم:

«﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾»[٣٥] والدُّعاءِ المرويّ عن الحجّة ــ عليه السلام ــ:

اللّهُمَّ إنّا نرغبُ إليكَ في دولة كريمة تُعزُّ بها الاسلامَ وَأهلَهُ، وتُذِلُّ بها النِفاقَ وأهلَه، وتجعلنا فيها من الدُّعاةِ إلى طاعتكَ والقادةِ إلى سبيلكَ، وترزقنا بها كرامة الدُّنيا والآخرة»[٣٦].

الهوامش

١ــ سورة الأنبياء، الآية ٩٢.

٢ ــ «(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً)» المائدة/٣.

٣ ــ سورة الحجرات، الآية: ١٣.

٤ ــ سورة يونس، الآية: ١٩.

٥ ــ «(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)» الانبياء / ١٠٧.

٦ ــ «(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَاسِ)» سبأ/٢٨.

٧ ــ سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

٨ ــ سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

٩ ــ سورة آل عمران، الآية ٧.

١٠ ــ سورة الفرقان، الآية ٧٤.

١١ ــ سورة آل عمران، الآية ١١٠.

١٢ ــ الرازي، مختار الصحاح، ص ٢٥ ــ ٢٦، ط. دارالقلم ــ بيروت.

١٣ ــ النشيد المعاصر يتحدث عن «القدس» الشريف وسقوطه في أيدي الصهاينة، ومن أسمائه: «أمّ المدائن».

١٤ ــ «(إِنَّ إِبراهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لله حنيفاً)». النحل / ١٢٠.

١٥ ــ «(إِنْ هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً)». الفرقان / ٤٤.

١٦ ــ معجم كاسل:

Cassell's English Dictionary, p. 569

(London-1975).

١٧ ــ انظر المصدر السابق ص ١٢٨٣، ومعجم وبستر الكتابي ص٥٧١ مادة: woman

١٨ ــ سورة البقرة الآية: ٣٥، والأعراف، الآية: ١٩.

١٩ ــ معجم كاسل نفس الطبعة والصفحة

Cassell's English Dictionary, p. 569.

٢٠ ــ معجم كاسل

Cassell's English Dictionary, p. 559.

٢١ ــ نفس المصدر، نفس الصفحة.

٢٢ ــ سورة الإسراء الآية: ٧٠.

٢٣ ــ ينظر المعجم الكتابي لوبستر المواد المذكورة

Webster's Bible Dictionary, p. 498, 537, 567, 571

٢٤ ــ الرازي،مختارالصحاح،ص٦٩٩ مادة(هم).

٢٥ ــ معجم اكسفورد الصغير:

The Oxford Minidictionary, p. 215 (Oxford 1981):

٢٦ ــ الرازي، مختار الصحاح، ص ٢٦.

٢٧ ــ المصدر السابق، ص ٦٩٩.

٢٨ ــ المصدر السابق، ص ٧٠٤.

٢٩ ــ المصدر السابق، نفس الصفحة.

٣٠ ــ المصدر السابق، ص ٢٢. وانظر مقالتنا حول «الولاية» في العدد السابق من مجلة التوحيد.

٣١ ــ دكتر سجادي، فرهنگ علوم عقلي، ص ٩٢، (ط. طهران ١٣٦١ هـ. ش.).

٣٢ ــ انظر مقالتنا: أصول الدين والعرفان في تفسير السبع المثاني ــ المنشورة في مجلة «طريق الحق».

٣٣ ــ انظر فرهنگ علوم عقلي، المصدر السابق، ص ٩٣.

٣٤ ــ نفس المصدر ــ نفس الصفحة.

٣٥ ــ سورة الأنبياء، الآية ٩٢.

٣٦ ــ من دعاء «الافتتاح» المشهور المروي عنه عليه السلام.

جدول تقابلي مقترح للغات واللهجات ذات العلاقة الصوتية والدلالية بكلمة «أم» عموماً

١ ـ أم	أ	م	م		عربية ـ سامية ـ كتابة.
٢ ـ أمة	أ	م	م	ة	عربية ـ سامية ـ كتابة.
٣ ـ امهة	أ	م	م	هة	عربية ـ لهجة أخرى.
٤ ـ مام	ا	م	م	(١)	عربية ـ لهجة أخرى.
٥ ـ امام	ا	م ا	م		عربية ـ بالضم لهجة أخرى ـ وبالكسر بمعنى الرأس.
٦ ـ امامة	ا	م ا	م	ة	عربية ـ بالضم لهجة أخرى ـ وبالكسر بمعنى الرئاسة.
٧ ـ امانة	ا	م ا	ن	ة	عربية ـ بمعنى الإمامة كما وردت في القرآن.
٨ ـ هامة	ها	م		ة	عربية ـ بمعنى أم الرأس.
٩ ـ هيمنة	هـ ي	م	ن	ة	عربية ـ كتابة.
١٠ ـ هيمنة	هـ ي	ن	م	ة	عربية ـ كتابة.
١١ ـ همهمة	هـ	م	هـ م	ة	عربية ـ عالمية ـ (حكاية الأصوات).
١٢ ـ هم	هـ	م			فارسية: (بمعنى المشابه) ـ لهجة عراقية.
١٣ ـ homa	ho	m	o		انكليزية ـ لاتينية.
١٤ ـ home	ho	m	e		انكليزية.
١٥ ـ homage	ho	m	a	ge	انكليزية ـ فرنسية قديمة ـ لاتينية.
١٦ ـ humao	hu	ma	n		انكليزية ـ فرنسية ـ لاتينية.
humain	hu	ma	in		فرنسية وسطى.
١٨ ـ humanus	hu	ma	n	us	لاتينية.

١٩ ـ humane	hu	ma	ne		انكليزية ـ بمعنى الاحساس الانساني.
٢٠ ـ humanity	hu	ma	ni	ty	انكليزية ـ بمعنى الإنسانية الكبرى.
٢١ ـ humanities	hu	ma	ni	ties	انكليزية ـ بمعنى الدراسات الانسانية.
٢٢ ـ humanism	hu	ma	n	ism	انكليزية ـ بمعنى الفلسفة الإنسانية.
٢٣ ـ humanitarian	hu	ma	ni	tarian	انكليزية ـ بمعنى الشاعر الانسانية.
٢٤ ـ hominis	ho	mi	ni	s	انكليزية ـ لاتينية.
٢٥ ـ animate	a	ni	m	ate	انكليزية ـ بمعنى الحياة والحيوانية.
٢٦ ـ animality	a	ni	m	al	انكليزية ـ بمعنى الحيوانية.
٢٧ ـ mammal		mx	mm	al	انكليزية ـ بمعنى الأمومة والثديات.
٢٨ ـ mammary		ma	mm	ary	انكليزية ـ اشتقاق آخر.
٢٩ ـ aman	a	ma	a		عبرية ـ كناية بمعنى أمّ: Mother
٣٠ ـ woman	wu	ma	a		انكليزية ـ عبرية بمعنى (wife-man)
٣١ ـ ummah	u	m	m	ah	عربية ـ عبرية ـ كناية بمعنى الجماعة Community
٣٢ ـ amam	a	ma	m		سامية بمعنى المجمع: gathering place
٣٣ ـ ammi	a	ma	mi		سامية ـ كناية ـ بمعنى امّي: My people
٣٤ ـ ammi-el	a	ma	mi	el	سامية ـ كناية ـ امّة الله: People of God
٣٥ ـ mum	mu	m			انكليزية ـ عامية: etc. (mammy-mummy)
٣٦ ـ مادر	ا	م		در	فارسية ـ هندواوربية (Mother)

(١) يلاحظ أن التوزيع الأصوات حسب التركيب الفونوماتيكي Phonematic ولبس الفونوتاتيكي: Phonetactic

الإسلام في الاتحاد السوفيتي

الدكتورة س. اكينر

مقدمة:

تختلف هذه الدراسة عن جميع الدراسات التي قدمت الى هذا المؤتمر لسبب واحد هام وهو أنه بالنسبة للبلاد الأخرى يمكن مناقشة نجاح أنشطة الدعوة الاسلامية أوفشلها، والمشاكل التي تواجهها وما يلزمها من متطلبات خاصة، ولكن هذا لايمكن تطبيقه بالنسبة للاتحا السوفيتي نظراً لاعتبار الأعمال التبشيرية (الدعوة الدينية كمايطلق عليها)، أعمالاً اجرام يعاقب عليها بالسجن لفترات طويلة، بل بالنفي الى مناطق نائية من البلاد. فالمادة (١ من الدستور السوفيتي تنص على أن «ها يكفل حرية العبادة لجميع المواطنين السوفيت، أي حرية اعتناق أي دين من الأديان أو عدم اعتناق أي دين على الاطلاق، وتأدية العبادات، أو الدعوة للا لحاد...»

وثمة انفصال بين الكنيسة والدولة و بين المدرسة والكنيسة في الاتحاد السوفيتي وخلاصة القول أن حق «تأدية العبادات» يتساوى مع حق «الدعوة للالحاد» أما الدعوة للدين «التي نسر بأشمل معانيها المحتملة على أنها تتضمن أي كل من أشكال التعليم أو المناقشة الجماعية

) موضوع قدمته الكاتبة الى مؤتمر الدعوة الاسلامية لامبور.

للمسائل الدينية فيما بين الأفراد في الخفاء، فهي محظورة بالنص الصريح. أمّا حق «تأدية العبادات» فيفسر في نطاق محدود للغاية، ولا يعتبر مشروعاً إلّا اذا أدى بالشكل المصرح به من الدولة، وفي المكان الذي ترتضيه. وسوف أعود فيما بعد الى هذه النقاط، أما الآن فانني سأبدأ بتحديد أبعاد المشكلة.

وقبل الشروع في مناقشة وضع المسلمين السوفيت، لابدَّ أن نوضح بعض الحقائق، وأعني بها: من هم هؤلاء المسلمون؟ وأين يوجدون؟ وكم عددهم؟ ومن المهم ايضاً أن نعرف شيئاً عن الخلفية التاريخية للوضع الراهن. و بعد ان نحدد هذا الإطار، أقترح دراسة حالة الاسلام في الاتحاد السوفيتي اليوم، وتقديم بعض الاقتراحات بطرق ووسائل تقديم المساعدة لجماعة المسلمين في الاتحاد السوفيتي. وانني أنظر الى حالهم نظرة موضوعية باعتباري مواطنة غير سوفيتية. فأنا أنظر اليه من الخارج وأقومه في اطار كبير، من منظور تاريخي ومقارنة بينه و بين البلدان والثقافات الأخرى. ومن المؤسف ألا يكون لدينا قدر مماثل من المعلومات عن وضع المسلمين في بولندا، المجاورة للاتحاد السوفيتي. ولما كان المجتمع الاسلامي هناك، على الرغم من صغر حجمه، يعتبر من المجتمعات العريقة القدم، فانه لمن الأهمية بمكان ألا نغفله في هذه الدراسة. و بناءً عليه سأختتم هذا التقرير عن الاتحاد السوفيتي باستعراض مختصر لوضع المسلمين في بولندا.

من هم المسلمون السوفيت؟

من الملائم أن نتكلم عن «المسلمين السوفيت» وكأنهم يمثلون مجموعة واحدة متجانسة، ولكن هذا بعيد كل البعد عن الحقيقة، فهم يختلفون كل الاختلاف عرقياً ولغوياً وثقافياً بل واقتصادياً. كما تختلف تجربتهم بالنسبة للاسلام. ومن ثم، فمن الضروري ألا يغيب عنا أبداً، أنه على الرغم من أن هؤلاء المسلمين يجدون أنفسهم اليوم متحدين من الناحية السياسية نظراً لأنهم مواطنون ينتمون الى بلد واحد، إلّا أن هذه العلاقة تعتبر في الحقيقة، علاقة عرضية وليس لها جذور عميقة.

وهنا ان حوالي ٨٥٪ من المسلمين السوفيت ينتمون لأصل تركي. وهذا يعني أنه في وقت ما في الماضي البعيد كان لديهما تراث مشترك، ولكن منذ القرن الثالث عشر (وفي بعض الحالات قبل ذلك بكثير) تباعد واختلف تاريخ كل منهما، ولم يكن لديهما إلّا اتصال ضئيل نسبياً فيما بينهما منذ ذلك الحين وتتكون المجموعة التركية من أهل الأوزبك، والكازاك، والتتار، وآذربايجان، والتركمان، وكميركير، وشوفاش، و باشكير، وكاراكالبك، واغق، وكاراشاي، والأتراك من مشكتيا والبلقار، وكويك، ونوجال، ومثل الايرانيون ثاني مجموعة عرقية من حيث الحجم، وتمثل حوالي ٨٪ من عدد المسلمين السوفيت، ومرة ثانية نجد أن الروابط العرقية التي تربط بين هذه المجموعات ضعيفة بعض الشيء. وهذه المجموعات هي: أهل الطاجيك والأستيان، والأكراد، والفرس، والبنات، وأهل بالوخستان. وهناك مجموعة من القوقاز تتكون من: الشاشان، والكاباردیان، وانجوش، وأدبجاس، وانجاز يان، والركاز والاباز ين، ولا تمثل أكثر من ٧٪ من المجموع

القوة في جميع أنحاء المنطقة التي نتحدث عنها، وتليها في الأهمية طريقة القادرية والتي كانت تتسم بالنشاط في القوقاز و بعض أجزاء آسيا الوسطى. وكانت طريقة كوبراوي منتشرة أساساً في خانليت كيضا (التي أصبحت الآن جمهورية كاركاليال تقريباً)-اما طريقة المشيزتية فقد كانت منتشرة في طجكستان.

وسأتحدث عن مدارس التشريع الاسلامي في الاتحاد السوفيتي ومدى قوة الحركات الصوفية هناك في الوقت الحاضر عندما أتناول وضع الاسلام في الاتحاد السوفيتي، ولكن قبل أن نترك موضوع تاريخ المسلمين فانه من الضروري أن نأخذ بعين الاعتبار متى وقع هؤلاء المسلمون تحت الحكم الروسي. وقد كان المسلمون في الواقع وراء التوسع في الامبراطورية الروسية، فكلما اتسعت الامبراطورية استوعبت المسلمين الذين يعيشون في المناطق المجاورة، وقد كانت دولة «موسكوفي» هي نواة الامبراطورية الروسية، وتدل أي نظرة عابرة الى الخريطة على أن نمو هذه القوة الناشئة كان في اتجاه الشرق و الجنوب. وكانت أكبر فتوحاتها هي فتح الولايات الاسلامية في كازان واستراكان في منتصف القرن السادس عشر، ثم بدأت تشق طريقها في الجزء الشرقي من القوقاز في القرن السابع عشر،وفي أوائل القرن الثامن عشر أستولت على «ديربنت» على بحر قزوين، والتي كانت أساساًمعقلاًللعرب. وقدأضطرت فيما بعد الى ترك الفتوحات الى الصفويين من بلاد الفرس، ولكنها تغلبت على الصفويين والعثمانيين واستولت على جميع منطقة «عبرالقوقاز» حتى وصلت الى تبريز تقريباً.

وفي الوقت نفسه طرد الروس العثمانيين خارج منطقة البحر الأسود، واستولوا على آزوف ثم القرم، و بعد سنوات قليلة استولوا على الشاطئ الشمالي لهذا المجرى المائي الذي كان تابعاً للمسلمين حتى ذلك الحين. ولم يمر وقت طويل على تعزيز هذه الفتوحات حتى اندفع الروس الى الشرق الى سهول القزاق وعبرت قواتهم حتى قلب ترانسوكيانيا (وهو الاقليم الذي يقع بين آمودار يا و سيردار يا) وقد تمّ أغلب التوسع في غضون النصف الثاني من القرن التاسع عشر. و بذلك تمكن الروس من الاستيلاء على طشقند في ١٨٦٥، و سمرقند في ١٨٦٨ و خانتي كيفا و خوكندا في ١٨٧٣ و ١٨٧٦ على التوالي، و بحلول عام ١٨٩٠ كانوا قد توغلوا في بامير، وقدكان ذلك انذاراً مفزعاً للبريطانيين في الهند. وفي عام ١٨٩٥ اتفقت اللجنة المشتركة للحدود على تخطيط معين لحدود أفغانستان الشمالية، على طول نهر يانج (وأوكس العليا) على أن يصير الحد الجنوبي لمجال نفوذ الامبراطورية الروسية لمدة الخمس وثمانين عاماً التالية، وزعم الروس أنه لم يكن لديهم رغبة في بسط نفوذهم أبعد من ذلك.

وقد أصبحت هزيمة المسلمين مهمة سهلة على وجه خاص نظراً لعدم وجود هدف مشترك بينهم ، ولم يكن هناك تفاهم بين المجموعات العرقية المختلفة، و بظهور السمات القومية اتسعت الثغرة بين المسلمين. وقد بذل التتار وهم أكثرهم اهتماماً بالدعوة، محاولات جادة لتوحيدهم والايحاء اليهم بمثل اسلامية جامعة، ولكن كان الجميع ينظرون اليهم نظرة شك وريبة،خاصة لتأييدهم سياسات تركية جامعة،

مخافة ان يفرضوا أحد أشكال السيطرة التترية. وقد بلغ تأثيرهم ذروته في أوائل القرن العشرين، وأصبحت القومية بمرور الوقت عائقاً كبيراً، واتجه المسلمون الروس في الامبراطورية الروسية والذين بدت قواتهم تتحد في بادئ الأمر، أن يسلكوا سبلاً منفصلة، ومنذ ذلك الحين لم يكن بينهم تقارب في أي صورة من الصور. والآن، في بداية العصر السوفيتي، فهم يمثلون مجموعات منفصلة تماماً.

موقع المسلمين السوفيت

ثمّة افتراض شائع بأن المسلمين في الاتحاد السوفيتي يتركزون أساساً وان لم يكن بصورة شاملة في آسيا الوسطى السوفيتية، أي في المنطقة التي يحدها بحر قزوين غرباً، والصين شرقاً، وتركيا وايران وأفغانستان جنوباً، وتجاورها كل من الباكستان والهند. ولكن هذا ليس حقيقة واقعة. ويبين الجدول التالي التوزيع الإقليمي التقريبي للمسلمين السوفيت وفقاً للتعداد السوفيتي لعام ١٩٧٩، ومنه يتضح أن أكثر من نصف المسلمين السوفيت يعيشون بالفعل في مناطق آسيا الوسطى:

آسيا الوسطى وكازخستان ٥٨٪

أهل اوزبك، وكازاك، وتادجيك وتركمان، وكيركير، وكاراكاياك، وأغوز والأتراك، ودانجان، والفرس، بالوخستان، وبعض التتار، وبعض تتار القرم.

عبرالقوقاز وشمال القوقاز: ٢١٪

(سكان؛ آذربايجان، وداغستان، وششن، واستيان، وكبارديان، وانجوش، وكاراكايبس، والأكراد، وأديجيس، وأنجازيان، وبالكان، وشيركيس، وأبازين، وتات).

جمهوريات الاتحاد السوفيتي الأوربية وسيبريا: ٢١٪

(التتار، وشوقاشي، وباشكير)

عدد المسلمين السوفيت

يوجد حوالي ٤٥,٥ مليون مسلم في الاتحاد السوفيتي، وهو بالتأكيد من أكبر أعداد السكان المسلمين وأكثرهم تنوعاً في العالم. وفيما يلي قائمة للمجموعات العرقية التي يتكون منها المسلمون السوفيت بناءً على الأرقام الواردة في التعداد السوفيتي لعام ١٩٧٩:

سكان ازبك ١٢٤٥٥٩٧٨
سكان كازاك ٦٥٦٦٤٤٢
التتار ٦٣١٧٤٦٨
سكان آذربايجان ٥٤٧٧٣٣٠
سكان تادجيك ٢٨٩٧٦٩٧
سكان التركمان ٢٠٢٧٩١٣
سكان كيركيز ١٩٠٦٢٧١
سكان شوقاش ١٧٥١٣٦٦
سكان آفار ٤٨٢٨٤٤
سكان ليجي ٣٨٢٦١١
سكان دارجين ٢٨٧٢٨٢
سكان كومك ٢٢٨٤١٨
سكان لاك ١٠٠١٤٨
سكان تابازاران ٧٥٢٣٩
سكان نوجاي ٥٩٥٤٦

سكان روتولي ١٥٠٣٢
سكان تساخور ١٣٤٧٨
سكان باشكير ١٣٧١٤٥٢
سكان شيشن ٧٥٥٧٨٢
سكان أوسيتيان ٥٤١٨٩٣
سكان كاباردويان ٣٢١٧١٩
سكان كاراكاليك ٣٠٣٣٢٤
سكان أوغور ٢١٠٦١٢
سكان انجوش ١٨٦١٩٨
سكان كاراكايز ١٢٥٧٩٢
الأكراد ١١٥٨٥٨
سكان اديجاي ١٠٨٧١١
الاتراك ٩٢٦٨٩
ابخاريان ٩٠٩١٥
سكان بالكار ٦٦٣٣٤
سكان دانجان ٥١٦٩٤
سكان شيركيس ٤٦٤٧٠
الفرس ٣١٣١٣
سكان الاباذين ٢٩٤٩٧
سكان التات ٢٢٤٤١
سكان بالوخستان ١٨٩٩٧

المجموع ٤٥ ٥٤٨ ٨٣٢

• نسبة السكان المسلمين الى العدد الكلي لسكان السوفيت: ٤، ١٧٪
• لا توجد بيانات عن تتار القرم كمجموعة عرقية منفصلة.
• أغلب هؤلاء الأشخاص غير مسلمين، كما لا توجد قائمة بالأقليات المسلمة في المجموعات العرقية (مثل سكان جورجيا).

موقف الروس من الاسلام

تميزت مواقف الروس من الاسلام بالانتهازية. وقد تفاوتت من القمع السافر والاضطهاد الى التسامح المحدود تبعاً للظروف الخارجية الى حد كبير. وفي بداية حكم الروس للمسلمين كرعايا لهم بعد سقوط كازان في ١٥٥٢ واستراكان في ١٥٥٦ عاملوهم بقسوة بالغة. وكان هدفهم هو جعل التتار والشوقاش وأهل باشكير «الوثنيين» يعتنقون المسيحية. وفي هذا الصدد لم يختلفوا كثيراً عن قوات الاحتلال الأوربية الاخرى وان كانوا قد سلكوا لذلك طرقاً أشد قسوة، فأحرقوا المساجد وصادروا الممتلكات، وأدخلوا تشريعات عقابية مختلفة لارغام السكان المحليين على نبذ الدين الاسلامي. واصبح عدد كبير من الشوقاش والباشكير على درجة بالغة من الفقر مما اضطرهم الى الاستسلام واعتناق الدين المسيحي بينما ظل أغلب التتار متمسكين بالدين الاسلامي. وبعد أن خفت حدة الضغط الروسي، ارتد الى الاسلام عدد كبير من المسلمين الذين كانوا قد سمحوا لانفسهم بالتعميل، وعلى الرغم من بعض النجاح في البداية لم يتمكن الروس من القضاء على الاسلام في منطقة القوقاز والاورال.

وقد كان السبب الرئيسي الكامن وراء فشور حماس المبشرين السوفيت هو أنه بتوسع الامبراطورية الروسية في القرن الثامن عشر، اصبحت على اتصال بالمزيد من الشعوب الاسلامية. وحتى تتمكن الامبراطورية السوفيتية من هزيمة هؤلاء الشعوب واستيعابها فقد ظهرت بمظهر حامية الاسلام وأحسنت استخدام هذه

السياسة عندما ضمت منطقة القرم في عام ١٧٨٣، وعلى سبيل المثال كانت سخية في وعودها لمنح الشعوب المحلية امتيازات وحريات عديدة، بما في ذلك حرية الدين، ولكن عندما استولى الروس على شبه الجزيرة تماماً اختلفت الصورة. وكما حدث في منطقة القوقاز منذ مائتي عام قبل ذلك أحرقت المساجد وصودرت الاملاك وأصبحت الحياة غير محتملة مما اضطر الآلاف من تتر القرم للهجرة الى تركيا. ووقعت سلسلة مماثلة من الاحداث في شمال القوقاز وآذربايجان، حيث قدمت المعونة الروسية الى الحكام المحليين، ولكن عندما عين الروس مستشاريهم العسكريين، تقوضت سلطة الحكم الوراثي. وفي منتصف القرن التاسع عشر تطورت ولايات القوقاز من ولايات تابعة للروس الى وحدات ادارية روسية بما تعنيه هذه الكلمة، كما أن استقلالها لم يصبح له وجود حتى من الناحية الشكلية الزائفة. كما تمت تصفية الخانات والقيادات المحلية الأخرى وتجرد الشعب من القوة التقليدية التي توحد صفوفه. ومرة ثانية، كانت الهجرة الجماعية الى تركيا هي الأمل الوحيد الذي يمكن ان يحقق للسكان المحليين التمسك بعقيدتهم وثقافتهم وكيانهم العرقي.

وفي الوقت نفسه استمرت الامبراطورية الروسية في التوسع شرقاً وكانت عندئذ، في غضون النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تواجه معقلاً آخر للاسلام وهو آسيا الوسطى. ثم تغيرت السياسة الروسية تجاه المسلمين الذين يعيشون داخل حدودها مرة أخرى، وأصبحت تتسم بمزيد من الحرية، ذلك لانها أدركت امكانية الاستعانة بالشعب الاسلامي «الأسير» كي يبدو وجود الروس في آسيا الوسطى مقبولاً بل ومرغوباً. وقد فطنت الامبراطورة الروسية (كاترين العظمى) الى القوة السياسية المحتملة للمسلمين الذين كانوا يعيشون في الامبراطورية الروسية في ذلك الحين فراحت تسعى لكسب تأييدهم، فأنشأت داراً للافتاء في أورنبرو (انتقلت فيما بعد الى أوفا) في ١٧٨٨، وبعد ذلك انشأت ثلاث دور أخرى للافتاء في غضون القرن التالي، إحداها في القرم في عام ١٨٣١ والاثنتان الأخريان في منطقة (عبرالقوقاز) في عام ١٨٧٢، وأولها شيعية والأخرى سنية. وكانت تلك المؤسسات شبيهة «بمؤسسات العلماء» التي كانت موجودة لدى العثمانيين وكان لديها سلطات فيما يختص ببعض جوانب القانون المدني، كما كانت تضطلع بمسؤولية اعداد الفقهاء، وصيانة الأوقاف ونشر المطبوعات الدينية، وهذه لم يسمح بنشرها قبل عام ١٨٠٠. وبعد مضي خمسة اعوام، أي في ١٨٠٦ وحدها، طبع حوالي ٢٦٠٠٠ كتاب، بما في ذلك ١٥٠٠ نسخة من المصحف، وقد زاد حجم هذه المطبوعات، كما أعطيت دفعة اضافية عندما صرح بتشغيل آلات الطبع الخاصة بالتتار ابتداءً من منتصف القرن.

وكان لزاماً على العلماء ان يسجلوا و يعينوا رسمياً حتى يكونوا من وجهة نظر الحكومة، ممثلين لواجهة الاسلام المتعارف عليها والخاضعة لرقابة الامبراطورية الروسية. ومقابل ذلك كانوا يتمتعون بميزات كثيرة بما في ذلك الإعفاء من الضرائب، ومن الخدمة العسكرية، كما كان يتمتع اطفالهم بالحقوق التي يتمتع بها

أطفال النبلاء، كما منحوا حق البريد المجاني، وهو حق كان حتى ذلك الوقت حكراً على بريد البلاط ورجال الدين الارثوذكس. وفي المقابل كان العلماء مخلصين في ولائهم للحكومة ولو من الناحية الشكلية. وبعد غزو آسيا الوسطى، حصلوا على موافقة الحكومة على ان يعملوا على ادخال قبائل الكازاك والكيرجيز الوثنية في الاسلام، لان السلطات الروسية، التي كانت تثق في ولاء المسلمين التابعين لها، وجدت في ذلك هي طريقة مفيدة للسيطرة على هؤلاء الرحل الذين لايمكن التنبؤ بتصرفاتهم بأي حال من الأحوال. وعكف التتار متحمسين على تلك المهمة حتى نجحوا فيها في أوائل القرن العشرين الى درجة أفزعت السلطات الروسية مما جعلها تمنعهم من نشر الدعوة الاسلامية و بناء المساجد والمدارس. وحينئذ كان الوقت متأخراً لمقاومة قوة الاسلام المتزايدة. وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى، حقق المسلمون في الامبراطورية الروسية لانفسهم مكانة فريدة مميزة كما أصبحوا من أصحاب النفوذ فيها.

وحدث تغيير كبير في وضع الاسلام في العصر السوفيتي وكانت لذلك واجهتان: إحداهما موقف المسلمين أنفسهم، والأخرى موقف الحكومة الجديدة.

وكانت أهم التطورات بالنسبة للمسلمين هي التأثير المتفجر للقومية التي بدأت تزدهر وتأخذ صورة محددة في أوائل القرن العشرين، ولكن الثورة الروسية والحرب الأهلية التي تلتها: كانتا بمثابة قوة دفعت الاسلام للكشف عن جوانب القوة والضعف فيه. ولكن سرعان ما اختفت المثل الاسلامية الجامعة عندما بدأت كل مجموعة عرقية تصارع كي تحقق الاعتراف بها و بالشروط التي تحددها. وقد استعان بعضها بالجيش الروسي الأبيض، بينما استعان البعض الآخر بالجيش الأحمر، واستعانت فئة ثالثة باطراف من الخارج، غير انها جميعاً لم تتمكن من اقامة حكومة مستقلة والابقاء عليها. وفي منتصف العشرينات أصبحت الحكومة السوفيتية مسيطرة على جميع مناطق المسلمين.

وفي ظل الحكم السوفيتي اختلف وضع الاسلام كثيراً عما كان عليه في نهاية عصر الأمبراطورية الروسية. فقبل الثورة مباشرة كان يوجد ما يتجاوز ٢٦٠٠٠ مسجد و ٢٤٠٠٠ مدرسة داخل الامبراطورية الروسية (ولم يشمل ذلك خانيتي بوخارو كيفا) وكان يؤدي فريضة الحج ما يقرب من /٢٠٠٠٠ حاج كل عام، كما كانت توجد الكتب والدوريات الاسلامية والمكتبات التي يتيسر الحصول عليها منها. كما كانت توجد محاكم شرعية في آسيا الوسطى. وخلاصة القول أن المسلم كان يستطيع أن يعيش حياته بغير مشقة كبيرة. ولكن اختلف موقف السوفيت اختلافاً جذرياً لان هدفهم الاساس كان يتمثل باستئصال الدين بكافة أشكاله وذلك بوصفه «أفيون الشعوب!». وكما فعلت الحكومة الروسية من قبل، بدأ السوفيت حملتهم باعطاء الوعود للمسلمين لممارسة الحرية الدينية وتنظيم حياتهم كما يشاءون. ولكن سرعان ما طبقوا اجراءات معادية للاسلام: فقد أغلقت المحاكم الشرعية تماماً في عام ١٩٢٧، وألغي نظام الاوقاف في ١٩٣٠، و ألغيت الكتابة بالأحرف العربية في ١٩٣٠، وأغلقت آلاف المدارس

والجوامع وحلت هيئة العلماء (واعدم الكثير منهم)، ولم يسمح بتأدية فريضة الحج، و بدأ نظام تربية الخنازير في المزارع الجماعية التي يعمل فيها المسلمون، واضطهدت الطريقة الصوفية، وأوقف نشر المطبوعات الدينية، وأصبح الصيام شبه مستحيل ومنعت الاحتفالات الدينية بأي شكل من الأشكال. ومع ذلك فان الوضع تحسّن شيئاً فشيئاً فابان الحرب العالمية الثانية أصبح ستالين يعي أنه لامناص له من العمل على كسب مودة المسلمين في داخل الاتحاد السوفيتي، وكسب رضا المسلمين الذين يعيشون خارج نطاق الحدود السوفيتية، وتحقيقاً لهذه الغاية اضطر الى تقديم تنازلات هامة، فسمح من جديد باداء فريضة الحج لمجموعات صغيرة يتم اختيارها بعناية، وأعاد فتح بعض المساجد، وأنشأ أربع ادارات روحية خلفاً لدور الافتاء السابقة التي كانت موجودة في عصر الامبراطورية الروسية، كما أعاد فتح المدرستين الاسلاميتين وسمح بنشر كمية صغيرة من المطبوعات الاسلامية. كما سمح بعد ذلك لعدد يسير من الطلبة المسلمين من الاتحاد السوفيتي بالسفر الى الخارج لاتمام دراساتهم في المراكز الشهيرة للتعليم الاسلامي مثل جامعة الأزهر بالقاهرة، و بدأ فقهاء المسلمين يشاركون في المؤتمرات الاسلامية في الخارج، كما بدأ تنظيم مؤتمرات اسلامية في مدن مثل طشقند وسمرقند وذسهابي. وفي الجانب الآخر كان موقف الاتحاد السوفيتي من الجماعات الاسلامية كل على حدة يتسم بالوحشية التي لم يسبق لها مثيل، فقد كان الآلاف من تتار القرم والشيشين والانجوس والكاراشيز والبلقار والأكراد وشعوب أخرى من القوقاز يتعرضون للرحيل الى المناطق النائية من الاتحاد السوفيتي بعد ان تلفق لهم تهمة الخيانة، وكان هؤلاء يحرمون من ضرورات الحياة الاساسية، مما أفضى باعداد كبيرة منهم الى الموت. وقد تم الآن «رد اعتبار» أغلبية هؤلاء التعساء الذين أجاد مؤرخ سوفيتي «مغترب» حين أسماهم «الشعوب المعاقبة» وسمح لمن بقوا منهم على قيد الحياة بان يعودوا الى ديارهم، غير أن بعضهم ومنهم تتار القرم لازالوا في المنفى، ولا تلوح في الأفق حتى الآن علامة تبشر بتحسن أوضاعهم.

الاسلام في الاتحاد السوفيتي اليوم

قلت فيما قبل أن ستالين، وافق ابان الحرب العالمية الثانية على انشاء اربع ادارات روحية خلفاً لدور الافتاء التي كانت موجودة في عصر الامبراطورية الروسية، وتعد هذه الادارات بمثابة اطار لتوجيه امور المسلمين في الاتحاد السوفيتي في الوقت الحاضر، وهي تتبع مجلس الشؤون الدينية التابع لمجلس الوزراء بالاتحاد السوفيتي، وتتولى كل ادارة منها شؤون منطقة جغرافية مجردة، يرأسها رئيس يعرف باسم «المفتي» في الادارات السنية الثلاث، و يعرف باسم «شيخ الاسلام» في الادارة الرابعة الشيعية، و يتبع الرئيس نائب له و ربما نائب ثان ايضا، كما يوجد بالادارة أمين اداري ومجلس للعلماء، و يتم اختيار كبار المسؤولين (الرئيس والآخرين) بواسطة العلماء ومن بينهم.

١ ــ الادارة الروحية لآسيا الوسطى وكازخستان :

يقع مقر هذه الادارة في طشقند عاصمة جمهورية ازبكستان ولغة العمل المستخدمة فيها هي اللغة الازبكستانية، وهي تسير على مذهب أبي حنيفة، و يتولى رئاستها منذ اكثر من عشرين عاماً المفتي ضياءالدين خان بن اصحان باباخان (و يعرف أيضاً باسم باباخانوف). وكان أبوه المفتي اصحان باباخان بن عبدالمجيدخان يتولى المنصب نفسه من قبله، و يتولى كل من يوسف خان شاكروف (منتخب في ١٩٧٩) و عبدالغني عبداللاييف منصب نائب الرئيس، أما الأمين الاداري فهو غلام خان موزياكو يوف. وتتبع لهذه الادارة دائرة دولية تعد الترتيبات لسفر الحجاج و يتولى أتاكول مافليانكولوف منصب نائب رئيس هذه الدائرة.

وتشتمل ولاية الادارة الروحية كازخستان جمهوريات آسيا الوسطى الخمس، وممثلها في كل منها يسمى القاضي، وقاضي جمهورية كازخستان حالياً هو يحيى بايسنباييف، وقاضي جمهورية تادشك هو عبدالله جان كالونوف، أما أسماء القضاة الثلاثة الآخرين فانني لا اعرفها.

وقد أنشئت الادارة الروحية لآسيا الوسطى وكازخستان رسمياً في ١٩٤٦ وانعقد مؤتمر اسلامي خاص في طشقند في ١٩٧٦ للاحتفال بمناسبة الذكرى الثلاثين لانشائها. وتعد هذه الادارة أهم الادارات الأربع من نواح كثيرة، منها أنها أكبر الادارات حجماً فهي مسؤولة عن اكبر منطقة واكبر عدد من السكان اذ يبلغ اكثر من نصف اجمالي عدد المسلمين في الاتحاد السوفيتي، كما انها تصدر تقريباً جميع المطبوعات الاسلامية التي تظهر هناك ، وما اقلها حقيقة، فضلاً عن انها تتولى ادارة المدرستين الوحيدتين في الاتحاد السوفيتي. كما ان لديها المكتبة الاسلامية الوحيدة الكبرى في الاتحاد السوفيتي التي كان أساس المجموعة الجيدة من الكتب التي تضمها هي المكتبة الشخصية لوالد المفتي باباخانوف، وقد اقامت الادارة اتصالات منتظمة مع المسلمين في الخارج، اذ انها نظمت عدداً من المؤتمرات الدولية في مقرها ذاته بجانب أنها كثيراً ماتوفد مندوبيها الى بلدان أخرى للمشاركة في المناسبات المماثلة. وفضلاً عن هذا فان المسلمين من كافة أرجاء المعمورة يقومون بالزيارة الى هذه المنطقة لمشاهدة الآثار الكثيرة الوثيقة الصلة بتاريخ الاسلام، ولعل قربها من دول مثل ايران وتركيا وأفغانستان و باكستان يعطيها أهمية خاصة كواجهة تعرض المنجزات السوفيتية في سياق اسلامي فريد في نوعه. وقد ساعدت هذه العوامل على جعل رئيسها المفتي باباخانوف يشغل مايعتبره الكثيرون منصب الممثل غير الرسمي لمسلمي الاتحاد السوفيتي، فان المفتي باباخانوف هوالذي يدلي عادة بتصريحات للاستهلاك الخارجي عن أحوال المسلمين في الاتحاد السوفيتي، كما انه هوالذي يعقب على الشؤون الدولية التي تهم المسلمين مثل صراع الشرق الاوسط. وفضلاً عن هذا فان المفتي باباخانوف عضو في مجلس السلام العالمي بالاضافة الى انه وجه مألوف في المؤتمرات التي تعقد في الخارج، كما أنه يجيد اللغة العربية اجادة مطلقة، علاوة على ان علمه أكسبه احترام زملائه المسلمين الاجانب دون استثناء.

٢ ـ الادارة الروحية لجمهوريات الاتحاد السوفيتي الاوربية وسيبريا :

يقع مقر هذه الادارة في أوفا (عاصمة جمهورية باشكير السوفيتية) واللغة التترية هي لغة العمل فيها، وهي تسير على مذهب أبي حنيفة، ورئيسها هو المفتي تلجات تازيف (انتخب في ١٩٨٠ وكان عمره حينذاك اثنين وثلاثين عاماً فقط)، وجاء خلفاً للمفتي عبدالباري عيساييف الذي كان متقدماً في العمر ولم يشغل المنصب لاكثر من بضع سنوات. وقد كان عبدالرحيم رسولاييف مفتي أوفا وهو الذي عمل على اقناع ستالين بضرورة تخفيف حدة الضغط على المسلمين السوفيت بان ييسر لهم اداء شعائر دينهم و بالموافقة على انشاء هيئة ادارية للوفاء بالاحتياجات التنظيمية لجماعتهم. (في عصر الامبراطورية الروسية كانت أوفا مركزاً رئيسياً لدار الافتاء، وعلى الرغم من أن فعالية هذه الدار توقفت بعد الثورة، ظل المفتي يشغل منصباً يحوطه شيء من الهيبة وسط الجماعة الاسلامية الى أن أنشئت الادارة الروحية لآسيا الوسطى وكازخستان بعد الحرب مباشرة، اذ بعد ذلك أصبح مفتي طشقند أكبر شخصية تمثل المسلمين السوفيت)، و يشغل فيض الرحمن ستار منصب نائب الرئيس كما يشغل عباس بيارزوف منصب الأمين الاداري لهذه الادارة.

٣ ـ الادارة الروحية لشمال القوقاز وداغستان :

يقع مقر هذه الادارة في مخاشكالا (عاصمة جمهورية داغستان السوفيتية) واللغة العربية هي لغة العمل فيها (ظلت اللغة العربية هي اللغة الأدبية للقوقاز منذ فتحها العرب في القرن الثامن)، وهي تسير على مذهب الشافعي، و يرأسها المفتي محمود جكييف (المنتخب في ١٩٧٨)، ونائباه هما الشيخ أحمد دكاييف والشيخ عزالدين محمدوف الذي كان يشغل من قبل منصب الأمين الاداري لهذه الادارة.

٤ ـ الادارة الروحية لمنطقة عبر القوقاز :

يقع مقر هذه الادارة في باكو (عاصمة جمهورية آذربايجان السوفيتية) واللغة الآذربايجانية (التركية الآذربايجانية) هي لغة العمل فيها، وهي تسير على مذهبي الجعفرية والحنفية، ورئيسها هو شيخ الاسلام الله شكر باشاييف (المنتخب في ١٩٨٠ وكان عمره واحداً وثلاثين عاماً فقط)، ونائب الرئيس هو المفتي اسماعيل أحدوف، واولهما شيعي وثانيهما سني تبعاً للقاعدة المتبعة في هذه الادارة.

وتتولى الادارات الروحية مسؤولية اعداد وتسجيل وتعيين العلماء، ولا تسمح بتأدية أي نشاط ديني في الجماعة الا العلماء الذين أعدتهم وسجلت أسماءهم على وجه التحديد، واذا اتضح ان أي أحد خلافهم يقوم بتعليم الاطفال القرآن الكريم أو يعقد حلقات للذكر أو ما الى ذلك فانه يعرض نفسه للسجن أولدفع غرامة كبيرة لانه يعتبر مرتكباً لجناية، وفي مثل هذه الحالات لايحق للادارات ان تتشفع له لأن اختصاصاتها مقصورة تماماً على وظائف قليلة ومحددة.

«أسمعُ صوتَ حبيبي يدعوني الليلة.. فانتظروا قليّ!»
«أسمع صوتَ حبيبي من خلف ستور الغيب،
يُلامِس أوتارَ القلبِ،
يُفتّق أسرارَ الحبِّ،
يُهتّك سرّي..
فانتظروا أرقي!
أسمع أصداءً من عمق الكونِ
ومن أغوار بحار جلال الله..
من ذا ــ لله! يُسلّي القلبَ
المستوحِدَ في الحبِّ؟! ومن ذا بأصابعهِ النوريّة يُسْكِنُ جَوْعاتِ الروح، وأوجاعَ القلبِ؟!
وجَوادُ النورِ العشبيِّ يَطير بروحيَ والهةً صوبَ ديار الأحبابِ، ويُلْقيها قُدّامَ جلالِ الربِّ، كقربانٍ تأكلُه النارُ. وهابيلُ يَعودُ رضيّا، تُشرق سيماءُ العشق على جبهتهِ البلّوريّ؛
فهذا الحبُّ يُنبّه في روحيَ كلَّ براعمها: تَلْتف الأغصانُ عليّ، كشهيدٍ تلتف على كَتِفَيْه عذوبةُ أذرعِ هاتيكَ الحوريّاتِ العيناواتِ..

فتسقطُ عن قلبي كلُّ عباءاتِ الأيامِ المغشوشات،
وأنسى أيامَ المحنة، إذ كانتْ روحي كجناحٍ مكسورٍ تقبعُ في محنتِها.
تُنسيني أغصانُ الحوريّاتِ المكحولاتِ بأنوارِ الربِّ:
حالاتِ البؤسِ
وحالاتِ اليأسِ
وحالاتٍ أتسكّع فيها ـ كالمجنونِ ـ على أبوابِ الغيرِ
وأرصفةِ الطرقاتِ الأخرى

* * *

مَنْ ذا يحصد في رفقٍ باقاتِ سنابلَ من قلبي .. ويقدّمها
ـ وبلاثمنٍ ـ
للفقراءِ المحرومين، وكلِّ المنفيينَ عن الروح؟!
فسنابلُ قلبي آزدهرت!
وأزاهيرُ الحبِّ إذا نَضِجتْ لاتَعْرف كيف تُكتّم عطرَ الزّهرِ،
ولا تعرفُ كيف تُداري حيطانَ الزنزاناتِ،
ولا تعرف كيف تكفّ عن البَوْح..
فهذاالحبُّ ـ طليقاً ـ يَنبضُ نجمات معشوقات في صَحْوةِ ليلاتِ القلبِ.

* * *

أُوصيكمْ ـ يافقراءَ اللهِ ـ بالعشقِ كثيراً.
أوصيكم ـ يامنفيينَ ويامطرودين ويا مجفوّين ـ بالعشق كثيراً؛
فالعشق كمائدةٍ نزلت من عندِ الربِّ على آبنِ العذراءِ..
تُحيلُ اللحظاتِ الليلية عيداً.
.. يطفو القلبُ ـ كسكرانٍ أثمله الحبّ ـ على وجهِ الماءِ..
من بحرِ جمالِ اللهِ،
فلاحُزْن يَغْلُوه،
ولابُزْعجهُ..
صَحْوُ!

الكارثة الكاملة ـ الفشل الاميركي في ايران

تأليف: مايكل لبدين و وليام لويس
عرض: الدكتور امين العيوطي
تعليق: محمد تقي ابراهيم

صراع الاسلام

عانى الإسلام كثيراً في صراعه مع النفعيين والمستكبرين، من أجل نشر مبادئه وتحقيق السعادة المرجوة لبني الإنسان. وتاريخ هذا الصراع طويل، مليء بالمفاخر والمواقف الحميدة، ولكنه ـ ولسوء حظ البشرية ـ ابتعد عن دوره الرئيسي لا لنقص فيه، وانما لعوامل متعددة، منها:

١ـ بداية الإنحراف:

تمركز المنحرفين واللاعقائديين في القيادة، حيث انشغلوا بلهوهم وملذاتهم، تاركين إياه في ميدان المعركة، دون حماية أو رعاية أو ربما كانوا عائقاً، يمنع الآخرين عن نصرته، في الوقت الذي تنبه خصومه لما يعانيه فأجهزوا عليه من كل جانب، بما يملكونه من طاقات وقوى، من أجل دحره والقضاء عليه، باعتباره القوة الحقيقية التي لم تقف بوجه طغيانهم وتسلطهم واستعبادهم للشعوب فحسب، وانما تهدم كل أحلامهم الشريرة، ونزواتهم الخبيثة وتقضي على ذلك الإنحراف الشامل الذي اتخذوه وسيلة للتربع على عرش المنافع، والصعود الى القمة

من الترف على حساب الملايين المستضعفة.

٢ـ استمرار الحروب الصليبية:

إن الحروب الصليبية الحاقدة لم تكف عدوانها عن الإسلام والبلاد الإسلامية الواسعة، وانما اتخذت من تسامح المسلمين وغفلتهم فرصة لتجميع قواها وإحياك مكيدتها، فعادت ثانية في الحربين العالميتين لتضع حداً لنفوذ الإسلام وسلطانه كقوة سياسية في ميدان الحياة، وتجاوزت ذلك الى ماهو أعظم، فقد عملت على محاصرته فكرياً، والقضاء عليه إجتماعياً. فعمدت على تقطيع دولته إلى دويلات صغيرة، واقتسامها فيما بينها لتضع عليها حكاماً من عملائها ينفذون لها ما تبتغيه بالنسبة للقضاء على الإسلام، وإحكام القبضة على الشعب، وجعل البلد سوقاً مستهلكاً لمنتجاتها، ومصدراً تستدر منه ثرواته وخاماته الطبيعية، متخذة قوتها العسكرية وتقدمها في الصناعات المدنية، والأساليب الفنية المتطورة في إحكام السيطرة وبسط النفوذ على الأمة، وسيلة في تحقيق أهدافها الشيطانية وأغراضها العدوانية.

٣ـ أساليب شريرة:

فمن تلك الأساليب والوسائل التي اتخذتها أدلة لمحاصرة الإسلام والسيطرة على ثرواته الطبيعية والفكرية، أن حولت بعض الدول الإسلامية إلى دول علمانية كتركيا باعتبارها عاصمة الدولة الإسلامية، كما غيرت فيها الكثير من المعالم الإسلامية كتحويل كتاباتها بالحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية إمعاناً في طمس المعالم والآثار الإسلامية، وجعلت الدول الأخرى هجينية تخلط نظماً شتى في دستورها، كماركزت على تعميق النعرة القومية والتعصب لها في مختلف البلدان الاسلامية، فالتركي متعصب لتركيته، مستهين بغيرها من القوميات، والعربي متعصب لعروبته مستهين بغيرها من القوميات، والفارسي، والهندي، وغيرهم، كل يتعصب لقوميته ضد القوميات الأخرى، تاركين الاسلام وراء ظهورهم، ناسين قوله تعالى: ((**«واعتصموا بحبل اللّهِ جَميعاً ولاتَفرّقُوا...»**)) (آل عمران ـ ١٠٣)، وقوله ((**«يا أيُّهاالناسُ إنّا خَلقناكُمْ من ذَكرٍ وانثى وجَعَلناكُمْ شُعوباً وقبائلَ لتعارَفوا إنَّ أكرَمَكُمْ عِندَاللّهِ أتقاكُمْ»**)) (الحجرات ـ ١٣).

كما أنها إضافة إلى ذلك ، وإمعاناً في إبعاد الشعوب الإسلامية عن عقيدتها ـ التي فتحت آفاقاً واسعة في الفكر، وخلقت للبشرية تراثاً عملياً ضخماً أشاعت فيها المنكرات، من خلاعة، وخمور، وفساد خُلقي واجتماعي، وأفكار مسمومة واتجاهات فكرية وحزبية، لتمزيق قوى الشعب، وتفتيت طاقاته الخيِّرة وتصريفها في مجالات لانفع فيها، وغرس العادات العاطفية السخيفة لتحل محل عقيدتهم، كي يعودوا فارغين من العقيدة الاسلامية.

٤ـ أهداف المستكبرين:

كل ذلك كان من جملة وسائلها في صرف الأمة الاسلامية عن دينها ومبادئها الإسلامية المقدسة، واستنزاف قوى الأمة، لتحكم عليها سيطرتها، وتتحكم فيها فكرياً كما تحكمت

سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، لكي تبعد الإسلام إجتماعيا ــ كما أبعدته في كثير من المجالات ــ وتحصره في مجالات ضيقة محاطاً في كشير من الإجراءات والقيود والحدود الصارمة لئلا ينتفض ثانية، وهو ما يخشونه على مصالحهم و مراكزهم أكثر من أي شيء آخر.

وهكذا عدنا ــ في هذا العصر ــ سلعةً مستضعفين، تتساوم الدول المستكبرة على استنزاف خيراتنا والتسلط علينا، فراحت تعقد المؤتمرات فيما بينها لاقتسام العالم، وتضع الخطط لإحكام السيطرة عليه ــ خصوصاً عالمنا الاسلامي ــ متخذة من الحكومات التي تنادي بالوطنية والقومية والمفروضة على أقطار العالم المستضعف أداة لخنق الشعب وإحكام السيطرة عليه، ووسيلة لخنق صوت الاسلام وتشويه وجهه الحقيقي الناصع، وتنفيذ المآرب الإستعمارية و بوقاً دعائياً، وغطاءفي استنزاف الموارد الإقتصادية والخامات الصناعية.

٥ــ قتل بالجملة:

وإن ما نسمعه أو نشاهده من حملة شاملة في كثير من البلدان الاسلامية، حملة من الاعدامات والاعتقالات بالجملة و بشتى المعاذير والحجج ــ خصوصاً بعد قيام الجمهورية الإسلامية في ايران وتمردها على القوى المستكبرة ــ والحرب القائمة المفروضة على أبناء الإسلام الإيرانيين والعراقيين من قبل العميل الصغير ــ صدام ــ والمذابح الطائفية في الهند، وتسلط اسرائيل وامعانها في قتل المسلمين، والحروب الدامية القائمة والمتوقعة في بلدان العالم الاسلامي، بعض الشواهد على ماذكرناه سابقاً.

الكارثة الامريكية

إن انطلاقة إيران من قبضة أمريكا الحديدية، لكمة قوية وجهها الاسلام لأعدائه، وأثبت لهم بأنه حي في أبنائه، له قوة الحركة والتأثير، وكما انطلق في إيران فإنه سينطلق في كل قطر من أقطار العالم الإسلامي، ولذا أثار هلعهم وفزعهم وضجيجهم، وأقض مضاجعهم، فقد انتبهوا فجأة مذعورين على صوته الهادر، وأدركوا أن حساباتهم ومخططاتهم التي وضعوها لقهره لم تعد مجدية فعّالة أمام تلك القوة العاتية التي عصمت بكل القيود التي وضعوها دون تحركه.

فإيران، القاعدة الأمريكية التي تستند عليها في الشرق الأوسط، والقوة التي إعتمدتها لردع المسلمين وشعوب المنطقة كلها، والجبهة العسكرية والتجسسية على الإتحاد السوفيتي، ايران التي صارت نسيجاً من الشبكة الجاسوسية الأمريكية، إيران التي زرعت فيها أمريكا ألغاماً من عملائها تحسباً للطوارئ، تتخطى ذلك كله لتكون حربة تشرع في وجه الإستكبار الأمريكي، وقوة أذلّت كبرياءه وسفهت أحلامه وخططه، فراح الأمريكان يعولون و يصرخون على الدرة المنتزعة من قلادة مستعمراتهم، وراحوا يعملون على إرجاعها بكل وسيلة ممكنة، ولكن الأمر فوق قدرتهم، والتغيير أكبر من حسابهم، لأنها في رعاية الله و بتسديد منه: ((وما كيدُ الكافرينَ إلا في ضلال)) (غافر ــ ٢٥).

مقال عن كتاب

لمحت مقالاً للدكتور أمين العيوطي في مجلة (العربي) الكويتية العدد ٢٩٠ شدّني اليه، وحفزني على متابعة ماجاء فيه. كان المقال تقريراً عن كتاب أمريكي بعنوان: (الكارثة الكاملة للفشل الأمريكي في إيران) تأليف الامريكيين: مايكل ليدين و وليام لويس»، يستعرض فيه محتويات الكتاب وفق نظرة امريكية ينساق وراءها بمغالاة اكثر من الكاتبين الامريكيين.

العرض الأمين:

لقد جاء في مقدمة (الدكتور) وتعريفه بالكتاب، عرضاً موجزاً جامعاً ولكن وفق السياق والطريقة الأمريكية فهو:

(١)ــ يصف الثورة الإسلامية في إيران بـ (الثورة الإيرانية) ويذايجردها من الروح الإسلامية، ويطبعها بطابع (قومي)، منسجماً ــ عمداً أو سهواً ــ مع الخط المألوف الذي تبنّاه المستكبرون من (السادة أو العبيد) لإبعاد أنظار المسلمين وشعورهم الاسلامي عن حقيقة الصراع الدائر بين القوة الكامنة في الإسلام والتخطيط الكافر ضده ــ شرقياً كان أم غربياً.

(٢)ــ عندما يتعرض للقوى التي أسهمت في قيام الثورة الإسلامية لايذكر القوة الإسلامية والعامل الرئيسي الفعّال في إحداثها كما أبان الامريكيان ــ تحاشياً من الوقوع في (الخطأ) فعاد أكثر وعياً ــ لذلك الخط الامريكي ــ من الامريكيين نفسيهما، فهما يصفان الصراع الدائر منذ زمن حكم رضاخان ١٩٢٥ بأنه صراع سياسي وديني، و يعتبران التحدّي الأساسي من علماء الدين إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة الواردة في المقال والتي لا نتعرض اليها كلها خشية الإطالة. فقد صرحا مؤكدين العامل الديني في تفجير الثورة الإسلامية بمايلي:

((تميزت فترة حكم أُسرة بهلوي لإيران (١٩٢٥ ــ ١٩٧٩) بالصراعات السياسية والدينية، بدأها رضاخان نفسه باختياره اسم (بهلوي) إشارة الى اللغة البهلوية التي كان حكام الفرس ينطقون بها بعد الإسكندر الأكبر... وقد خلق هذا بينه و بينهم صراعاً ورثه عنه (محمدبهلوي) حين جاء إلى الحكم (١٩٤١)).

((وجاءه التحدي الأساسي من رجال الدين، هذا التحدي أدى إلى نفي آية الله الخميني الى العراق (١٩٦٣)).

((اشترط اسقاط الشاه لأنه عدو الإسلام... ولا يحكم بحدود الله)).

((في اغسطس (١٩٧٨) كان المتظاهرون في أصفهان يدعون إلى عزل الشاه وإقامة دولة إسلامية...)).

((استجاب الشاه للإضرابات بأن أعلن إلتزامه بمبادئ الإسلام))

((كان الامام الخميني يزداد قوة بين صفوف الشعب والجيش معاً، ففي عاشوراء إنطلقت مظاهرة تضم الملايين...)).

((كان الخميني ــ في الواقع ــ يحاول إعادة السلطة الدينية...)).

((إن تقارير السفير الامريكي تفيد بأن

رجال الدين يتزايدون قوة... وأن الجماهير في صف الخميني)).

((لكن فات على الإدارة[3] ان الجبهة الوطنية[4] لم تكن في وضع يسمح لها بتحدي حركة الخميني الجماهيرية، وأن الجيش كان سيواجه حرباً مقدسة)).

((كانت هذه خطة الخميني لإضعاف المعتدلين[5] وتعبئة الجماهير في صف التطرف الاسلامي)).

أليست هذه (الشهادات) والإعترافات التي تصدر من أمريكي بعد الثورة الإسلامية في إيران (كارثة أمريكية) كافية ــ في نظر الدكتور ــ لأن يمنحها (إعترافه) بتأثير القوة الاسلامية فيها وتفجيرها؟ أم أنه يتحدث عنها «من وجهة نظر... أكثر صرفة (بطبيعة الحال)»؟ أم يتحاشى أن يقف موقفاً محجلاً أمام (وجهة النظر الامريكية)؟ أم ماذا؟

وماذا بعد؟

وجاء في مقدمة (الدكتور) قوله:

((و يقومان[6] بتحليل العلاقات بينها[7] و بين الشاه من ناحية، وموقف أمريكا من هذا كله من ناحية أخرى)).

فماهي علاقة أمريكا في الصراع الإيراني الداخلي بين الشاه والثوار المسلمين؟ لو لم يكن ــ الشاه ــ اداة طيعة لتنفيذ مآربها، و يداً ضاربة لقتل الروح التحررية في الشعب المسلم في ايران، وخنق الوعي الإسلامي في نفوس أبنائه.

علاقة الشاه بأمريكا:

لنرجع إلى المقال ونرى ماجاء فيه حول هذا الموضوع كمابين المقال، لندرك مدى ارتباط الحكام المفروضين على الشعوب المسلمة بالإستكبار العالمي، والعمالة له، والذلة والصغار أمامه، والطغيان والإستكبار على شعوبهم على غيرالمطلوب منهم المفروض فيهم، كما يمليه الواجب، وكما يصرحون به ــ دعائياً ــ ويموهون به على شعوبهم، فقد ورد فيه:

((تبلورت هذه الصراعات[8] في ثورة مصدق التي هرب بعدها الشاه إلى روما ــ ١٩٥٣ ــ حتى أعادته المخابرات الامريكية إلى عرشه)).

((و وصلت المؤسسة[9] إلى قناعة بأن الشاه هوالمشكلة، فاتجه الرأي إلى إبعاده، وإقامة حكومة من عناصر أقرب إلى الديمقراطية الغربية[10] من المثقفين والتجار)).

ألا يدل هذا التصريح على هوية العلاقة؟ إنها أكثر خسة من دور العمالة، فهي بالإضافة إلى العمالة، شركة في السيطرة والسرقة من لقمة الشعب المسكين، إنها بيع الأوطان وإطلاق العنان لليد الأمريكية في أن تأخذ ما تشاء وتعبث ماتر يد مقابل دعمه واسناد حكمه، انها: تنصيب واقالة كما ورد في المقال، فهو توظيف للشاه وتسليم منه لهم، ليكون أداة لتنفيذ كل ما يريده أسياده، فعلاقته معهم علاقة العبد بسيده، فإن امتنع أو عجز بحثوا عن غيره ممن يناسب مصالحهم، وألقوا به بمنأى عنهم.

كما وردت في المقال شواهد أخرى على تلك العلاقة المشبوهة، والعمالة المتأصلة قديماً، مثلاً:

((إهتمت أمريكا بتعزيز علاقاتها

بالقصر[11] وتدريب جهاز السافاك ، والتركيز على بناء قدرة إيران العسكرية لحماية نظام الشاه، ومواجهة أي تهديد للمصالح الأمريكية في المنطقة)).

فما معنى هذا الإهتمام؟ وما فائدة هذه العلاقات؟ وماذا يعني اهتمام امريكا بتدريب السافاك ؟ وماذا تعني الشفقة على الشاه وحماية نظامه؟

ألا يدل ذلك على خنوعه لهم وبيعه بلاد المسلمين وخيراتهم بثمن بخس؟ ثم الا يدل تدريبها للسافاك إمتداد شبكاتها التجسسية داخل البلد؟

هذا ما أكدته الأحداث وصرّحت به الواجهات السياسية حتى عاد بديهة تؤمن بها كل الأطراف.

وهذا نفسه يوضح لنا هوية الحكام في البلدان الإسلامية الأخرى، والأيدي المستورة التي تحركهم وتغيرهم فيها.

والنص الآتي يبين لنا بوضوح تلك (الشفقة) الأمريكية وذاك الإهتمام،فقدورد فيه:

((عقب حرب ١٩٧٣ تضاعفت أهمية طهران في واشنطن لتصبح عنصر توازن مؤثر في سياسة الدول المجاورة النفطية، بحيث أصبحت حليفاً، له مصالح مشتركة مع أمريكا)).

فما هي تلك المصالح المشتركة التي أشار اليها الكاتبان؟ فلنتابع قراءتنا إذن:

((فتضاعفت بذلك مبيعات الأسلحة المتطورة لإيران. كان على أمريكا أن تعتمد على مصادر أجنبية للحصول على النفط، كما كانت مشتريات إيران الهائلة من السلاح تمكنها من تحقيق أرباح طائلة وموازنة ميزان مدفوعات نفطها)).

إذن فالمصالح المشتركة هو حفظ المصالح الأمريكية في المنطقة وفتح جميع الأبواب أمام المطامع الامريكية، وبالمقابل تحفظ امريكا للشاه بقاءه على العرش وتمده بالخبرات والجواسيس والأسلحة ليقتل بها شعبه والمستضعفين من شعوب الدول المجاورة عند مطالبتهم بحقوقهم ــ كما فهمنا ذلك من النصوص التي مرت سابقاً ــ كما نفهم منها أن الشاه مفروض على شعبه وأن العلاقة الأمريكية الشاهية علاقة مستكبر متواطئ مع عميله لامتصاص خيرات شعب مستضعف.

انظر اليه وهو يدعم الطاغوت الأمريكي و يؤكد دوره وعمالته للإستكبار الأمريكي في قهرالشعوب حيث ورد في المقال عن الكاتبين: (وقد لعبت إيران بالفعل دوراً هاماً في حرب باكستان ضد الهند ١٩٧١، وسايكون ضد هانوي ١٩٧٣، وفي محاولة فاشلة لاقتلاع السوفيت من القرن الأفريقي، وفي غزو زائير ١٩٧٧ لقمع الحركة الوطنية، كانت كلها أعمالاً تباركها واشنطن).

حقيقة الإستكبار

هناك خصائص يمتاز بها الاستكبار الوطني والأجنبي،منها:

الجشع والقسوة والدجل فهو يتحرك وفق المفهوم القائل: (الغاية تبرر الواسطة).

(١)ـ القسوة والدجل:

بعد أن عرفنا من النصوص السابقة مدى جشعه في استنزاف خيرات الشعوب، نتبين من خلال تجربة الثورة الإسلامية في إيران، ومن خلال هذا المقال ـ الأمريكي ـ فقط مدى الكذب والدجل اللذين استعملهما في حربه ضد الثورة الإسلامية في إيران، فمرة يدّعي بأن المحرك للثورة الإسلامية هوالعامل الإقتصادي ولا يرى عاملاً يردفه، وأُخرى يناقض نفسه، فيقول ان العامل الديني وعوامل أخرى ساعدت القادة على إثارة الجماهير، وأُخرى يرى أن الدين هوالمحرك لهذه الجماهير، فهو يقول هنا:

((وكانت الإضطرابات نتيجة لسوء الموقف الإقتصادي...)).

ثم يرى العامل الديني المحرك الأساس للثورة:

((وجاءه التحدي الأساسي من رجال الدين...)).

((في اغسطس ١٩٧٨ كان المتظاهرون في أصفهان يدعون الى عزل الشاه واقامة دولة اسلامية...)).

(٢)ـ كذب ودجل:

فانظروا الى هذا الدجل اضافة الى ما أشاعوه عن الثورة وعن قادتها، فمرة يتهمونها بأنها حركة (شيوعية) وأُخرى بعلاقات غامضة ببريطانيا تبريراً لمقاومتهم إياها، وامعان القتل في رجالاتها أو سجنهم أو نفيهم، فقد ورد في المقال:

((وأضاف الشاه خطأً سياسياً فاحشاً في يناير ١٩٧٨، حين أوعز إلى جريدة (إطلاعات) بنشر مقال يتهم فيه الإمام الخميني بالرجعية، والإنتهازية،والجهل بمبادئ الإسلام، وبعلاقات غامضة مع الإمبريالية البريطانية)).

((كَبُرَتْ كلمةً تَخْرجُ من أفواههم إن يقولونَ إلا كَذِباً)) فانظر لدجلهم وكذبهم الذي قامت عليه سياستهم المنحرفة كيف لصقوا عيوبهم بالإمام الذي أعلن ثورته للقضاء على تلك الرذائل من الصفات التي أتهموه بها هم وأسيادهم الأمريكان. فالخط واحد، والهدف واحد، والوسيلة واحدة، فلا غرابة لو تشابهت أفعال الساسة الأمريكان وكاتبي المقال والعملاء الرجعيين في المنطقة.

لننظر إلى المقال ثانية لنرى النفاق والدجل والكذب الصريح متجلياً في المقال فقد ورد:

((وكذلك اكدت على[١٢] حقوق الانسان لمحاولة تغيير صورة أمريكا بصفتهاقلعة للحرية!!..)).

فماذا نقول عن هذا النص؟ وما يعني به؟ هل التغيير في سياسة أمريكا حقيقياً؟ أم صورياً، لغرض الدعاية لأمريكا؟ أم أنه تغيير حقيقي في سياستها أبداً،؟ إنه الدجل والنفاق والكذب الذي استنته الحياة المادية، إنه التمويه وخداع الشعوب حتى صار بديهية مألوفة لدى أولئك الدجالين وأصبح سمة من سمات سياستهم وظاهرة يتعاطونها و يعترفون بها دون خجل. ورد في مقال الكاتبين: ((وارتفعت صيحات الإحتجاج ضد النفاق والخداع الأمريكي في المنطقة)).

ولا أدري كيف يمكن التعامل بثقة مع من

اتخذ الكذب والدجل والنفاق والخداع مطية لبلوغ أهدافه؟ كيف يطمئن الشعب لحكومته أوالعميل لاسياده أو الحليف لحليفه، اذا كانوا على هذه الشاكلة!!

لنعد الى المقال ونستمر في القراءة لنتبين مدى حرص أمريكا على حقوق الانسان، فقد جاء في المقال:

((وكانت كل تقارير السفير الأمريكي تفيد بتحكم الشاه في الموقف الداخلي، وقدرته العسكرية على الوقوف في وجه البلدان العربية الراديكالية)).

فأين هي حقوق الانسان اذن؟ وأين إذن هذا التغيير المزعوم؟ وللاستزادة نقرأ النص التالي لنتبين أن هذا التغيير إدّعاء ليس إلا، بعد أن تصوروا أن هذا القناع يزيل صورة وجه أمريكا القبيح الماكر عن ذهن الشعوب وبعد أن تصوروا أن لاخطر من ذلك على المصالح الامريكية وعلى العملاء في المنطقة حيث وفرت لهم الحماية الكافية فقد ورد فيه:

((ولم تكن هناك أية إشارة إلى ان تطبيق حقوق الإنسان، واتباع سياسة ليبرالية قد تؤدي الى سقوط الشاه)).

ولنتبين هذا الوجه الشرير وكذب الديمقراطية الدعائية من النصوص التالية لينجلي لنا مفهوم الحرية الأمريكية وديمقراطيتها:

((ثم اتجه التفكير الى ارسال قوة عسكرية الى منطقة الخليج لوضع التزامات امريكا تجاه الشاه موضع التنفيذ)).

((وافق كارتر على ارسال الحاملة كونستليش الى المحيط الهندي)).

((ورأت الإدارة الامر يكية أن ترسل مبعوثاً خاصاً إلى الشاه ليؤكد وقوف أمريكا خلفه، وليشجعه على استخدام القوة في حين يقف الأسطول الأمريكي متأهباً للتدخل لحل وقوع صراع مسلح)).

هل هذا يشير الى تأكيد حكومة واشنطن على حقوق الانسان؟ أرأيت الدجل والتناقض؟

إن هذا المنطق نفسه نجده عند المستكبرين الأوائل كما تحدث القرآن عنهم ففي وصفه لفرعون قال تعالى: ((إنَّ فرعونَ علا في الأرضِ وجعل أهلَها شِيَعاً يستضعِفُ طائفةً مِنهمْ يُذبِّحُ أبناءهمْ ويستحيي نِساءهمْ إنه كانَ منَ المفسدين)) (القصص ـ ٤) ثم انظر لقول فرعون في تضليله شعبه عن حقيقة الدعوة الإلهية التي بشّر بها موسى(ع)، قال تعالى عن لسان فرعون: ((إنّي أخافُ أنْ يُبدِّلَ دينَكم أو أنْ يُظْهِرَ في الأرضِ الفَسادَ)) (غافر ـ ٢٦).

(٣)ـ الأنانية والجشع:

فالأنانية والجشع تحكمتا في أفراد المجتمع الغربي المادي ثم طفحت آثارهما على مجتمعهم لتوجه سياسة حكومتهم ونظرة كتابهم نحو الأمم الأخرى ووضع الوسائل والمبررات الكفيلة بتحقيق ذلك الجشع، لإشباع تلك الأنانية.

وهذا يعكس الإتجاه الإسلامي في توجيه نظرة الإنسان الفردية، والنظرة الإجتماعية والفكرية والدستورية. لقد أذاب الإسلام أنانية الإنسان في مصلحة الإنسان الآخر وفي مصلحة المجتمع بدافع القربة الى الله، فتراهم يتسابقون في فعل الخيرات تسابقهم نحو الموت في

الجبهات، وبذا امتازت السياسة (الداخلية والخارجية) للدولة الاسلامية هدفاً ووسيلة عن السياسة الإستكبارية الغربية أو الشرقية. فالمقياس عندهم (اي المستكبرين) مقدار الربح المادي الذي يحصلون عليه من الشعوب الأخرى، ولايهم — في سبيل الوصول اليه — مدى الأضرار البشرية التي تنال تلك الشعوب، ما دامت توفر لهم ربحاً أعظم، وتحقق لهم هيمنة تمهد الوصول إلى هذا الهدف. لنقرأ النص الآتي:

((إهتمت أمريكا بتعزيز علاقاتها بالقصر.... ومواجهة أي تهديد للمصالح الأمريكية)).

((وعقب حرب ١٩٧٣ تضاعفت أهمية طهران في واشنطن لتصبح عنصر توازن مؤثر في سياسة الدول المجاورة... كما كانت مشتريات إيران الهائلة من السلاح تمكنها من تحقيق أرباح طائلة وموازنة ميزان مدفوعات نفطها. ومن الناحية الإستراتيجية شجعت أمريكا طهران على لعب دور شرطي المنطقة، كما حولتها إلى مركز للتجسس على برامج الصواريخ السوفيتية. وعسكرياً أصبحت إيران قاعدة عسكرية هامة)).

ثم انظر الى تقرير الكاتبين لترى النظرة الأمريكية في علاقتها بالشعوب فقد ورد:

((كما انه[١٣] فشل في حماية المصالح الامريكية عندما حدث الانفجار، وظل سلبياً إزاء كل الحلول السياسية والعسكرية المطروحة أملاً في أن يتمخض الموقف عن شيء أفضل)).

انها يعيبان على كارتر عدم التدخل عسكرياً وبالعنف، أو سياسياً بانقلاب يغير وجوه ساسة الحكم ليمتص بذلك النقمة الشعبية من أجل بقاء السيطرة الإستعمارية الأمريكية معبرين عن ذلك بالمصالح الامريكية.

ثم انظر الى النص الآتي أيضا لتجد فيه توصيات الكاتبين الأمريكيين إلى الحكومة الأمريكية لتعرف جيداً ديمقراطية الشيطان الأكبر:

(وأن تدرك — أي الإدارة الأمريكية — أن الهدف الأول هوالأمن القومي، وفي هذا الإطار كان عليها أن تفضل التعامل مع ديكتاتور لا أن تضغط على الحلفاء لتحقيق الديمقراطية كما أن على أمريكا أن تعتمد على القوة العسكرية في وجه أعدائها)).

إنها يؤكدان لزوم التدخل لمقاومة الثورة الإسلامية عسكرياً، وكأن كارتر قدم لها باقات من الزهور فرحاً بانتصارها، وكأنه لم يساهم في محاولة إخماد ثورة الشعب العارمة، ووثبة الرجال الذين واجهوا الدبابات بأرواحهم واجسامهم، وتلقوا الرصاص بصدورهم وعزائمهم.

إن الكاتبين يعكسان النظرة الأمريكية الحقيقية بسحق الشعوب من أجل تحقيق المصالح الامريكية اللاشرعية في المنطقة، وفي ذلك يتبين لنا ديمقراطية الحكومة الامريكية الخادعة الماكرة.

انظر الى تقلباتها ومواقفها المتناقضة في (موضوع واحد) هو(إسناد الشاه) كيف يتغير تبعا لتغير الظروف فنجدها مرة تواجه الثورة بالعنف، فاقرأ:

((ثم اتجه التفكير الى ارسال قوة عسكرية الى منطقة الخليج لوضع التزامات امريكا تجاه الشاه موضع التنفيذ)).

«ليؤكدوقوف أمريكاخلفه ــ أي الشاه ــ وليشجعه على استخدام القوة... إختار كارتر مبعوثاً عسكرياً يهدف دعم معنويات الجيش)).

((أصبحت مهمة المبعوث أن يشجع الجنرالات على الوقوف خلف بختيار)).

إلى غير ذلك من النصوص، حتى إذا يئسوا من الشاه وعجزت الإدارة الامريكية من السيطرة على الموقف اتجهت الى تغيير الوجوه القديمة بوجوه سياسية عميلة أُخرى، فانقسموا الى قسمين؛ قسم يريد تأييد الشاه بأي ثمن لما في ذلك من تأثير على ثقة العملاء الآخرين في المنطقة بأمريكا، وقسم يقر لإبدال الشاه بجبهة ديمقراطية عميلة لهم، واليك هذا النص:

((انقسمت الحكومة الامريكية بين من يؤيد العمل العسكري لنجدة الشاه، ومن يطالب بعزله وبمساندة الجيش لحكومة وطنية)).

وتابعت الحكومة الأمريكية رغم كل ذلك تأييدها عرش الشاه المتداعي وأسعفته بالمدد والمعونة وشجعته على الصمود واستعمال العنف واتخذت تدابير عسكرية لإسعافه ولكنها فشلت في النهاية لانهيار عزيمته فولى هارباً أمام المد الزاحف.

وعندما يئست امريكا منه نهائياً اتجهت إلى عزله وابعاده وفق الخطة التي تدعو الى تغيير وجوه الحاكمين وهذه فشلت ايضاً، فقد ورد:

((فاتجه الرأي إلى إبعاده واقامة حكومة من عناصر أقرب الى الديمقراطية الغربية... لكن فات على الإدارة أن الجبهة الوطنية لم تكن في وضع يسمح لها بتحدي حركة الخميني الجماهيرية)).

فأرادوا باقامة هذه الجبهة الوطنية العميلة إخماد الحركة الإسلامية ولكنهم فشلوا أيضا، فالثورة الإسلامية في صعود مستمر والجماهير أقوى من أن يخمد لهيبها أو تغلب على أمرها وهي تستقبل الموت بنفوس مطمئنة وأقدام ثابتة وعزيمة قوية. وهكذا استسلمت أمريكا للأمر الواقع أملاً في جرّ الثورة إلى حضيرتها ثانيةً ومحاولة التسرب إلى أوساطها، أو بعجز قائدها الإمام الخميني عن إمكان إدارتها أو بعدم قدرتها على الحياد في عالم صراع القوى وبقاء الأقوى. وهكذا قادتهم أحلامهم الى ان الثورة الاسلامية ستنظم إلى المعسكر الغربي لأنها أشد عداءً للمعسكر الشرقي الملحد، أو بطريقة أُخرى تدرس في حينها. وعلى أي فقد أملت رجوعها إلى المعسكر الغربي آجلاً أو عاجلاً، فقد ورد:

((كان الكثير يشكون بمقدرة الخميني السياسية والإدارية، و يعتقدون أن الخميني سينأى بنفسه عن النشاط السياسي بعد عزل الشاه، غير أنه أذهلهم حين استطاع أن يحوّل الثورة إلى أُسلوب حياة)).

((لم يعد أمام أمريكا إلا محاولة التعايش مع الثورة حتى ولو كانت ديكتاتورية وأن لا تضاعف شكوك الإيرانيين بأنها تحاول إنقاذ سلالة بهلوي... ودعت الكونجرس إلى عدم إصدار تصريحات ضد النظام الجديد... أما فيا

يتعلق بالشاه، فقد اتفق على عدم منحه حق اللجوء السياسي)).

ثم غيرت سياستها بعد ذلك أيضا عندما أثار تصرفها اتجاه الشاه شكوك عملائها في المنطقة وزعزعت ثقتهم فيها، ولما أدركته من مدى العداء الشعبي والقيادي للإيرانيين ضدها خصوصاً بعد احتلال السفارة الامريكية حيث أدركت حينئذ أن لاجدوى من مسايرة الوضع القائم ولا بد من التغيير مستغلة عملاءها في البلد المسلم من منافقين وغيرهم أو بتدخل عسكري أو بالمحاصرة الاقتصادية أو بالحرب العراقية واسقاط الحكومة الاسلامية القائمة ــ لاسمح الله ــ واعادة الشاه ثانية كما اعادته سابقاً فسمحت للشاه بالدخول الى أمريكا، وعللت ذلك بنظرة إنسانية لغرض التداوي والعلاج.

انظر لموقفها المتغير وفق احتمالاتها بالحصول على مغانم ومكتسبات، ضاربة كل القيم والموازين الأخرى.

(٤)ــ الجهل:

ــ لقد اعترف الكاتبان بعجز الحكومة الأمريكية وجهلها بظروف المنطقة بالرغم من دقة تنظيماتها وغرورها بما بلغته من تكتيك سياسي، فانها انتفخت كبراً وتيهاً ولكنها صحت ــ فجأة ــ أمام حقيقة جهلها فأوعزت الى عملائها في كافة أنحاء العالم بدراسة الحركات الإسلامية بصورة عامة والحركات الشيعية بصورة خاصة، دراسة دقيقة، لتضع بموجبها طرق القضاء عليها بقتل المفكرين والتسلل إلى أوساطها لحرفها والسيطرة عليها، وشواهد ذلك ملحوظة في كل بلد إسلامي، حيث نجد إعدامات المسلمين، وتفتيشهم وسجنهم، وغسل أدمغتهم بالجملة، نجد ذلك قائماً على قدم وساق، وأن الحكومات العميلة جادة في حربهم بحجة أو بدون حجة فقد ورد:

((فشرعت تدرس مبادئ الشيعة الأساسية، وأحوال المسلمين في الإتحاد السوفيتي ودور الإسلام ضد الشيوعية)).

نعم: إن ضعف الإنسان يتجلى أمام الإرادة الإلهية. قال تعالى: ((انهم يكيدون كيدا وأكيد كيداً فمهل الكافرين امهلهم رويداً)) (الطارق ــ ١٥: ١٧ وقال: ((ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين)) (الأنفال ١٨) ففرعون الذي قتل حتى الأطفال لئلا يكبر من يزيحه عن عرشه، إضطر أخيراً لتربية عدوه (موسى) (ع) في بيته ((فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا)) ((الحشر ــ ٢)).

وهكذا انتفض الشعب المسلم في ايران، وحقق ثورته، وراح الكاتبان يعللان ذلك بشتى العلل. فقد ورد:

((يرجع فشله الى سوء تشخيص إدارته للحركة الخمينية على أنها مجرد احتجاج ديني، أو مطالبة بحقوق مدنية)).

((لأن ملفات وزارة الخارجية لم تكن تحتوي على كتب الخميني أو على معلومات كافية عن الزعماء الدينيين، ولا عن الشاه نفسه)).

انظر لجهلهم وتبرير عجزهم كيف يعبر عنه المقال في النص التالي لبيان ما تضمنته كتب الامام ــ حفظه الله ــ من طاقات ثورية المهبت

حماس الجماهير ولعبت دوراً خطيراً في تغيير الواقع الذي قلع ما بنته أمريكا من حصون وقلاع لحفظ ما تسميه بمصالحها، فقد ورد النص التالي:

((لم يدرك أحد الفاشية الدينية التي تضمنتها كتاباته وآراؤه العنيفة)).

نعم عنيفة على الكافرين المستكبرين كما قال تعالى: ((أشداء على الكفار)) ((الفتح ـ ٢٩)) ولكم ان تسموها ما شئتم لأنكم أعداء.

ثم انظر إلى جهلهم حتى في ظروف اندلاع الثورة وأيام نجاحها فقد ورد:

((لكن فات على الادارة أن الجبهة الوطنية لم تكن في وضع يسمح لها بتحدي حركة الخميني الجماهيرية)).

((ولم تدرك الإدارة أن عداء الثورة كان ينصب على الغرب)).

((قبيل وصول الشاه بأسبوع إلى أمريكا للعلاج... عند ذاك أدرك الأمريكيون أنهم قد أساءوا الحكم على الموقف في إيران)).

وغير ذلك من النصوص الكثيرة التي وردت في المقال والمعبرة عن جهل العقلية الأمريكية، وعدم إدراكها الإدارة الإلهية الغلابة. إذن أين دوائرهم ومخططاتهم؟ وأين حقيقتهم الجاهلة الضعيفة من صورهم المرعبة الخداعة إنهم كما قال الإمام حفظه الله ((لا تهولكم امريكا... انها نمر من ورق)).

(٥)ـ التخبط والعجز:

وهكذا راح الشاه وأسياده الأمريكان يتخبطون في حيرتهم وعجزهم أمام هذا الحديث الذي أذهلهم وأطار صوابهم فما عادوا يدركون ما يفعلون ولا ما يجب أن يفعلوه.

لقد استعمل الشاه كل قوته ومقدرته الفكرية والمادية وكل ما أمده به أسياده الأمريكان والإنكليز من أساليب ووسائل للحفاظ على كرسيه، كدّس الأسلحة لضرب الثورة، ودرّب السافاك ووسع نفوذه، واستعمل القسوة حتى غصت الشوارع والمساجد والمدارس الدينية بالجثث الطاهرة وألقى بالمجاهدين من الجو مكتوفين في بحيرة الملح وفي عرض البحر وقتل العلماء أو نفاهم خارج الحدود وأشاع عنهم بما لايليق بهم من افتراءات وكذب، كما حاول إخضاعهم، لكن هذا ضاعف من معارضتهم له. هذا في جانب، وفي جانب آخر، ألقى الخطب الرنانة والوعود المعسولة، وأعلن (ديمقراطيته الليبرالية) ولكنها باءت بالفشل، لأن الشعب عرف حقيقته ودجله وعمالته وآمن إيمانا مطلقا بقيادته المسلمة المتمثلة بالإمام الخميني حفظه الله، وراح يستمر في غضبته كرد إيجابي فقد:

((حدثت مصادمات دموية بحيث طلب العسكريون من الشاه إقامة حكومة عسكرية، وحين استشار حلفاءه تلقى الرد بالموافقة على مايراه لازما. وعينت حكومة عسكرية)).

ولكن ما تأثير الحكومة العسكرية إذا صمم شعب أن يقاوم الظلم و يستقبل الموت؟ ما تأثير الحكومة العسكرية إذا كان رد الشعب حاسماً بحيث يخرج الى الشوارع ليفترش الارض مقابل منع التجول الذي أصدرته الحكومة العسكرية؟ لقد فشلت الحكومة العسكرية وعجزت عن

مقاومة الأمة رغم قسوتها، فورد:

((ولكن سياسة الشاه السلبية جعلتها عاجزة عن مواجهة التحدي)).

وهذا دجل وتبرير لفشلهم لان السبب هو غضبة الأمة على الطواغيت وانضواؤها تحت راية الاسلام، هذه هي التي سببت عجزهم عن مقاومتها كما يبدو ذلك في هذا النص:

((في وجه هذا العنف تراجع الشاه عن تحديه لرجال الدين فاصدر أوامره الى قواته بضبط النفس، وعزل رئيس جهاز السافاك بل إنه عاد يطلب من الملك حسين إعادة الإتصال بالخميني في باريس)).

((في آغسطس ١٩٧٨ كان المتظاهرون في أصفهان يدعون الى عزل الشاه. واقامة دولة إسلامية، وفي آبادان... إلى أن يقول: إستجاب الشاه للاضرابات بأن أعلن التزامه بمبادئ الإسلام... لكن هذه الاجراءات أقنعت الثوار بأن الشاه قد ألقى اسلحته فازدادت حدة المظاهرات في سبتمبر حتى وصل الأمر الى مقتل مئة شخص وجرح المئات وفرض الأحكام العرفية)).

((ولم تعد في إيران لأية قوة قادرة على إقامة حكومة لايرضى عنها الخميني)).

وكما لم تنفع القوة في قمع الجماهير كذلك لم ينفع دجله وكذبه في ثنيهم عن قرارهم القاطع بعزله واقامة الحكومة الإسلامية، فقد راح يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غروراً. ولنقرأ بعض ما ورد في المقال عن ذلك :

((التي خطبة وعد فيها بمزيد من الليبرالية والديمقراطية، وبالحد من ممارسات السافاك)).

ولكنهم رفضوا ذلك بإباء وإصرار.

وحاول شق صفوفهم بانتقاده الزعماء الدينيين فأخفق في مسعاه...))

واستنجد بأسياده فعجزوا عن إسعافه كما عجز هو نفسه بعد محاولات كثيرة يائسة لأسباب كثيرة منها: عدم إدراكهم حقيقة قوة المعارضة، ووهن عزعة الشاه، فحاولوا إسعافه بمعدات عسكرية كالأسطول الأمريكي والحاملة كونستليشن وفشلوا، ولكن النتيجة ماذا؟ إذن لنقرأ سوية ماورد:

((كان هذا مؤشراً على عدم قدرة إدارته ــ يعني كارتر ــ على اتخاذ قرار بالتدخل في إيران)).

((ولم يكن كارتر ومستشاروه يعرفون ماير يدون، ولا ما يمكنهم أن يفعلوه)).

إذن فالشاه وما تحصن به من جيوش وأسلحة، وما استند اليه من قوة أسياده الأمر يكان وقفت عاجزةعن أن تؤثر.

أليس ذلك دليل على عظمة الثورة الإسلامية وصمودها؟ ودليل أيضا على رعاية الله اياها وصيانتها من بطش الجبابرة وكيد الأعداء؟ إن الذي حال بين الرسول محمد(ص) وهو في الغار و بين أعدائه ــ الذين اقتفوا أثره ليقتلوه ــ بنسيج العنكبوت حفظاً لرسالة الإسلام، قادر أن يحول بين أعداء الإسلام من الطغاة الجبابرة و بين أن ينالوا المسيرة الإسلامية بسوء في هذه الحقبة من الزمن.

إن الذي جعل خليله إبراهيم(ع) آمناً وسط لهيب النار التي أعدوها له قادر أن يجعل رسالته حية وسط لهيب الصراع القائم في إيران و

وسط النار السياسية التي أضرموها حول الثورة الإسلامية في العالم.

إن الذي مهّد للدعوة الإسلامية أن تشق طريقها وسط قوتين عالميتين الكسروية والقيصرية حتى امتدت إلى انحاء بعيدة من العالم قادر أن يمهد الطريق لهذه الثورة كي تؤدي رسالتها وسط قوتين عظميين.

قال تعالى: ((انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا)) (غافر: ٥١). وقال: ((وكان حقا علينا نصر المؤمنين)) (الروم—٤٧).

هل حقاً تخاذلت أمريكا؟ أم عجزت؟

لقد اتهم الكاتبان أمريكا بالتخاذل عن نصرة الشاه فهل حقاً تخاذلت عن نصرته؟ أم خذلت عنه وعجزت؟

لقد ذكرنا في الصفحات السابقة بعض النصوص التي تشير الى محاولات التدخل الأمريكي لمساندة الشاه في كل الأحوال حتى بعد خروجه من إيران وفراره عنها، كما عملت على مساندة حكومة بختيار، حيث ورد:

((ورأت الإدارة أن ترسل مبعوثاً خاصاً إلى الشاه ليؤكد وقوف أمريكا خلفه وليشجعه على استخدام القوة في حين يقف الأسطول الأمريكي متأهباً للتدخل حال وقوع صراع مسلح. إختار كارتر مبعوثاً عسكرياً يهدف دعم معنويات الجيش لكن الشاه أعلن في تلك الأثناء عزمه على مغادرة البلاد وتعيين بختيار رئيساً للوزراء. وهكذا أصبحت مهمة المبعوث أن يشجع الجنرالات على الوقوف خلف بختيار)).

فأنى لمثل أمريكا أن تقف مكتوفة اليدين أمام المد الإسلامي الذي يهدد مصالحها ليس في إيران وحدها، بل في البلاد العربية والإسلامية وربما امتد إلى انحسار نفوذها في العالم أجمع، ولكنها جهلت حقيقة الثورة واستنادها إلى القوة الإلهية العظمى، فراحت تتخبط في ظلمات جهلها وخيبة عجزها.

إن أمريكا لم تتهاون عن نصرة الشاه، وإنقاذ حكمه المتداعي أمام الصرخات الجماهيرية المسلمة، لأن بقاء للمصالح الأمريكية، ولكن ماالعمل أمام هذه الجماهير الغاضبة المتحدية لكل الأوامر، وحتى للموت، إذ فرشت طريق الدبابات بأجسادها البشرية، وإرادتها الحديدية الصامدة، متأثرة بعاملين يشدانها للفداء والثورة، هما: عامل الكره المتأصل لمفاسد الحكومة الطاغية، وعامل التعلق بالقيم السماوية التي فتحت أمامها السبل للثورة، واستنشاق عبير الحرية في رحاب الإسلام. إضافة إلى ذلك، وفوق كل ذلك السند الإلهي والرعاية الربانية الخاصة التي عاصرت خطوات الثورة، ومهدت لها مسالك التقدم والنجاح بالرغم من كثرة العقبات، وشكيمة الأعداء المتربصين لإخمادها أو حرفها عن مسارها الصحيح.

وما يعلم جنود ربك إلا هو:

وحاولت أمريكا تغيير الحكم القائم في إيران في بداية الثورة الإسلامية وانتصارها، فقد ورد عن المبعوث الأمريكي قوله: ((إن هناك خطة إنقلاب عسكري جاهزة لتلقي الأمر من

واشنطن))، ولكنها فشلت أمام المد الجماهيري الساحق الذي تصدى لمحاولات الأعداء كما حاولت أمريكا بالتدخل عسكرياً وتغيير الحكم لصالحها في إيران حتى بعد سقوط الشاه وقيام الجمهورية الإسلامية، فقد أحكمت خطتها في الهجوم بطائراتها على إيران عسكرياً وتغيير الحكم فيها، ولكن إرادة الله حطمت خططهم، وتحطمت طائراتهم بهبة ريح في طبس. فما أشبه اليوم بالأمس، وكأن قصة أصحاب الفيل الذين أُبيدوا بحجارة صغيرة، عادت ثانية في إيران الإسلام في طبس، حيث أُبيد هؤلاء بذرات غبار دقيقة، وما يعلم جنود ربك إلّا هو.

قوة السند الشعبي:

لقد اتخذ الأعداء من (بني صدر) وأمثاله أداة لضرب الثورة الإسلامية من الأعماق، وتغيير مسارها الإسلامي، حيث خلق مداً مضاداً للثورة، ومهد لدخول الجيش العراقي في أراضي الجمهورية الإسلامية، ولكن الله أخزاه وفضحه، فوقف حزب الله بوجه حزب الشيطان وأزاحه، فولى هارباً يندب حظه ليلتقي مع المنبوذين في فرنسا.

ثم فجروا مقر الحزب الجمهوري الإسلامي واستشهدت ثلة خيرة من أبناء الإسلام، وفجروا ثانية مكتب رئاسة الجمهورية واستشهدت ثلة أخرى من أبناء الاسلام، وبقيت الجمهورية الإسلامية قائمة بإسناد شعبي رغم استشهاد رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء، وبعض الساسة المسلمين، فكانت إيران دولة بدون حكومة، ومع ذلك صمدت واستمرت.

اعتماد الثورة الاسلامية:

لقد اعتمدت الثورة الاسلامية قاعدتين هامتين في تحقيق انتصارها الكاسح أمام القوتين العظميين ــ أمريكا وروسيا ــ وأمام كل القوى اللاإسلامية الغاشمة، اعتمدت التمسك بالمبادئ الإسلامية، والسعي الحثيث لتطبيق الاسلام، كما اعتمدت تأييد القاعدة الشعبية العريضة في بناء الدولة الإسلامية، وإلا فأية ثورة في العالم يأتي قائدها الأعزل ــ إلا من الثقة بالله واعتماد الشعب المسلم ــ ليجابه دولة قائمة وقوية مثل إيران، وهو يعلن ثورته عليها صراحة، والاطاحة بها علناً، وخلال رحلته الرهيبة وثورته الغريبة ينام بالطائرة ملء عينيه ثقة بالله وايمانا بالمستقبل؟

أية ثورة في العالم تحوط الجماهير قائدها بحزام جماهيري سمكه كيلومتران؟ ثم أية مظاهرة تضم الملايين من البشر لتقف بوجه الدبابات الطاغوتية العاتية بأجسادها الغضة، وبقوتها المجردة وإيمانها المطلق؟

عجز الجيش عن المقاومة:

لقد وقف الجيش عاجزاً عن الحركة أمام إرادة الجماهير المسلمة، لأنها أعظم من أن تقاوم، ولأن التدبير الإلهي لانتصار الثورة شل حركته، ولأنه يدرك علاقة الشاه بأمريكا وعمالته لها، ويدرك بأنه أمام مسؤولية جسيمة، ومنعطف خطير، وواجب مقدس، سيحاسب عليه أمام الله ورسوله والمؤمنين، ولأنه تأبى عقيدته ويأبى إسلامه إراقة دماء هذا الشعب المجاهد المطالب بحقه الطبيعي.

من هوالملوم؟

راح الكاتبان يلقيان بلومها هنا وهناك ، فهما يلومان الشاه و يعتبرانه السبب في نشوب الثورة الإسلامية لتفرده بالحكم تارة، وتسامحه وضعفه تارة اخرى، أو ينسبان فشله لسياسته السلبية تجاه العسكريين مما جعلهم يقفون عاجزين أمام الشعب تارة، وتارة ينسبان فشله للعامل الإقتصادي وتفشي البطالة والفقر والحرمان، مثلاً يقولان:

((لقد دفع الشاه ثمن تفرده بالحكم. فلو أنه قام بإصلاحات سياسية.... لعزز الإستقرار)).

((أدى إلى عزلته ــ الشاه ــ نتيجة ضعف شخصيته)).

((ولكن سياسته السلبية ــ تجاه القوات العسكرية ــ جعلتها عاجزة عن مواجهة التحدي)).

((كانت الاضطرابات نتيجة لسوء الموقف الاقتصادي..)). هذا في جانب.

وفي جانب آخر، راحا يلومان كارتر لديمقراطيته وتهاونه وتغيبه عن الساحة وتخبط مستشاريه، و يلومان الحكومة الأمريكية وسياستها، والإدارة الأمريكية في تقييمها وخبرتها، وتارة أخرى يلومان وزارة الخارجية وصانعي السياسة الخارجية بقولهما:

((وكذلك أكدت ــ إدارة كارتر ــ على حقوق الإنسان لمحاولة تغيير صورة أمريكا)).

((ظل ــ كارتر ــ سلبياً إزاء كل الحلول السياسية والعسكرية المطروحة)).

((كما أن كارتر كان دائماً متغيباً عن المناقشات، بحيث لم يعرف أحد من صانعي السياسة الخارجية إتجاهه، فراحوا يتخبطون بين اجتهاداتهم الشخصية)).

((لم يكن كارتر ومستشاروه يعرفون ما يريدون، ولا مايمكنهم أن يفعلوه)).

[(انقسمت الحكومة الامريكية بين من يؤيد العمل العسكري لنجدة الشاه ومن يطالب بعزله وبمساندة الجيش لحكومة وطنية (عميلة طبعاً)].

((يرجع فشله ــ كارتر ــ إلى سوء تشخيص إدارته للحركة الخمينية)).

((لأن ملفات وزارة الخارجية لم تكن تحتوي على كتب الخميني...)).

وفي جانب ثالث ينسبان عجز امبركا إلى ظروف خارجية كانشغالها في كامب ديفيد ونزع الأسلحة، وتطبيع العلاقات مع الصين، والعامل الديني الذي سيطر على النفوس، فهما يقولان:

((وحينما جاءت الثورة كانت الإدارة الأمريكية غارقة في كامب ديفيد وتطبيع العلاقات مع الصين... بحيث لم تكن في وضع يسمح لها بعمل شيء)).

((في عاشوراء إنطلقت مظاهرة تضم الملايين ولم يتدخل الجيش..)).

((وأن الجيش كان سيواجه حرباً مقدسة في سبيل أفراد غير شرعيين)).

((بل ان بعض الجنود قتلوا إثني عشر ضابطاً من الحرس الإمبراطوري وانضم غيرهم إلى صفوف المتظاهرين في تبريز)).

ف((القوات المسلحة المتماسكة المستعدة

للبطش بأي شغب يمس الحكومة والجيش»ـ كما ورد في المقال ـ عاد وفي المقال نفسه ((عاجزاً عن استيعاب نظام عسكري متكامل نتيجة لأن كل سلاح كان يعمل بمفرده)).

هكذا يكون التخبط واللوم المنثور وكأنهما يشيران إلى اشتراكهم جميعاً وغفلتهم جميعاً عن الساحة السياسية وعن الحزم العسكري وجهلهم جميعاً بحقيقة الواقع الإسلامي في إيران، والوعي المتنامي فيها. كلا إنهم ليسوا بمثل هذا الغباء، فإن لم يعلموا به تفصيلاً، علموا به إجمالا، ولكن مشيئة الله نافذة، شاء الإنسان أم أبى، ففرعون لم يكن غافلاً عن دورموسى(ع)، وإلا لِمَ كان يقتل أطفال بني إسرائيل؟ هذا من جانب.

ومن جانب آخر ندرك عظمة الصمود الإسلامي وتأثير العقيدة في نفوس حملتها، وتضاؤل الإستكبار العالمي وعجزه وتخبطه أمام الارادة الحقة والثورة الجماهيرية.

ليكن هذا درساً بليغاً للأمة الإسلامية، وعبرة بالغة للشعوب المستضعفة، لتعلن إصرارها وصمودها بوجه المستكبرين ولتعلم أنهم صغار أمام إرادتها. وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين...

الهوامش

(١) .. محمدرضا بهلوي.
(٢) .. الإمام الخميني.
(٣) الادارة الامريكية.
(٤) الجبهة التي ترضاها الحكومة الامريكية أو الواجهة الوطنية للسيطرة الامريكية.
(٥) من عملائها المتواطئين معها.
(٦) الكانبان الامريكيان.
(٧) القوى الاجتماعية والسياسية.
(٨) الصراعات الإيرانية مع الشاه.
(٩) .. المؤسسة الامريكية.
(١٠) .. أي أقرب من (التطرف الاسلامي) ـ كما يقول الكانبان و(الثورة الفاشية) الى امكان العمالة لهم.
(١١) .. القصر الشاهي.
(١٢) .. ادارة كارتر.
(١٣) كارتر

الشيوعيون في دور جديد

الدكتور محمد الصافي

نشرت جريدة (نويس دويتشلاند) لسان حال الحزب الحاكم في المانيا الشرقية بعددها الصادر في (١٣/ابريل/١٩٨٣)[١] تغطية وثائقية لاخبار وخطب وفود احزاب عديدة حضرت الى برلين للاشتراك في مؤتمر الذكرى المئوية لوفاة كارل ماركس.[٢] وقد اشترك عن العراق وفدان، الأول عن حزب نظام صدام التكريتي برئاسة سعد قاسم حمودي[٣] رئيس تحرير جريدة (الثورة) لسان حال حزب البعث، وبعض المسؤولين في (القيادة القومية)، ووفد عن الحزب الشيوعي العراقي برئاسة زكي خيري عضو المكتب السياسي، والذي القى خطبة طويلة غطت نصف الصفحة الخامسة من عدد الجريدة المذكور.

وقد تضمنت الوثيقة المنشورة بعناوين بارزة تصورات وآراء تعكس جانباً من مجرى التمهيد والإعداد له من المشاريع التي تهدف الى الانحراف عن أحقية الشعب العراقي في تقرير مصيره وباختياره النظام الذي يرتضيه وبصورة حرة، وذلك بفرض شكل جديد ومشوه لجوهر قديم متفسخ لدكتاتورية مستهلكة ومن خلال تغيير بعض المسميات، وبربط (المشكلة العراقية) بعجلة الاستراتيجية الدولية لكتلة

عظمى، وكأن شعبنا لم يكفه تزييف العصابة البعثية لارادته وطيلة سنوات حكم الطغيان لنظام المجرمين البكر ــ صدام التكريتيين، والذي من خلاله تم انهاء ماكان قد تبقى من استقلال (جزئي) لبلدنا و بتحوله الى تابع للامبريالية العالمية والرجعية المحلية وكشرطي (بعد انهيار نظام الشاه المقبور)، يعادي الطموحات المشروعة لشعوب المنطقة و بضمنها شعبنا العراقي ذاته.

والمشروع (الجديد) هذه المرة صادر عن مجموعة امتهنت ــ دوماً ــ حرفة الوصاية على شعب العراق و بتبريرات من اطلاق شعارات (النضالية والتقدمية). وكعراقي اجدني ملزماً بواجب الرد والتوضيح لما جاء فيه الضلال وما تضمنه من سوء النيات.

تضمنت الوثيقة عدة مسائل تتعلق بالحرب البعثية ــ الاسلامية. وكعادة الشيوعيين فان البدء يكون بطرح المشكلة والاستناد الى تبرير نظري لدى ماركس. وحتى في الانتقاء أو تطبيق ذلك على (الوضع المحدد) لهذه الحرب فهو يجانب الصواب، سواء فيما اختار أو في محاولته لتطبيق قسري وتجزيئي وانتقائي لتلك التبريرات الماركسية. ولا بدّ من الاشارة الى ان هدف هذه المقالة ليس مناقشة أيديولوجية للنظرية الماركسية، بل فقط القاء الضوء على كيفية الاستخدام الانتهازي للأفكار لتخدم التوجهات الآنية أو المناورات السياسية، بحيث يتم تبرير معاداة الشعب والشذوذ واللا معقول السياسي بعملية بسيطة لا تتجاوز إلا الاقتباس من افكار ماركس وتطبيقه جزافاً.

وبهذا فهو يبدأ مستنداً على مقولة ماركس؛ (... في عصر الرأسمالية تقوم الحروب بسبب سعي البرجوازية المحموم نحو الارباح مستخدمة النعرات القومية، و بذلك تتبعثر في هذه الحروب القرصانية، الدماء والموارد... الخ) وهو بهذا يدّعي تطابقها مع حالة الحرب العراقية ــ الايرانية! مستشهداً بالتسمية البعثية لها (بالقادسية). والمشكلة في هذا التفسير هو انه يذكر كيفية استخدام النظام البعثي للعنصرية بتزوير التاريخ وتفسيره كحالة صراع موهوم بين شعبين شقيقين تجمعهما أُخوة الاسلام والتاريخ المشترك ، دونما اشارة للجانب الاسلامي وهو الطرف الآخر للحرب ولا لتحليلاته ولا لرفضه القاطع لمقابلة تلك العنصرية البغيضة بمثلها. فأين العنصرية المضادة تلك التي تفترضها (المقولة) المذكورة؟

ولو رجعنا الى هذه (المقولة) لوجدناها تفترض تواجد نظامين برجوازيين وفي عصر رأسمالي (كأساس مادي اقتصادي) لشن الحروب التوسعية والعدوانية يستخدم (كلاهما) العنصرية وتأجيج النعرات القومية. فهل تمكن (منظر الحزب الشيوعي) من الإتيان بدليل واحد على استخدام الجمهورية الاسلامية في سياستها وحربها واعلامها للعنصرية والقومية؟ واذا سقط اول عناصر هذا الافتراض في (المقولة) المذكورة، فان العنصر الآخر لايقل هزالاً عن سابقه. إذ وحسب المنطق النظري (للقائد) المذكور فان نظاماً (كنظام صدام

تكريتي) يشعل حرباً قرصانية مدمرة مستخدماً العنصرية البغيضة، يفترض ان يكون (رأسمالياً) تقود أُمور الاقتصاد والسياسة فيه (طبقة) البرجوازيين، وان هذه الحرب هي نتيجة طبيعية لكون نظام البعثيين رأسمالياً تحكمه (البرجوازية العراقية) الساعية نحو الأرباح عن طريق النهب الاستعماري، فهو إنْ لم يتوسع عبر اراضي الجمهورية الاسلامية، فعليه التوسع في كل الاتجاهات الممكنة كأية دولة استعمارية تبحث عن (المجال الحيوي الاقتصادي).

ولا تخفى سطحية وغرضية هذا التحليل وابتعاده عن ذكر الأسباب الحقيقية التي دعت صدام لشن حربه التدميرية هذه، والسكوت عن دور الامبريالية العالمية والرجعية العربية الخليجية وغيرها في مراحل الإعداد والتنفيذ والاستمرار، و (اغفال) عمالة حزب و نظام البعثيين. ناهيك عن العجز المقصود عن الاجابة، لماذا اختار هذا النظام الحزبي الحرب (الاستعمارية) صوب اراضي الجمهورية الاسلامية بالذات هدفاً لهجومه دون غيرها مع العلم أنَّ بلداناً أُخرى كممالك ومشايخ الخليج يمكن ان تضمن تحقيق هذا المجال الحيوي لوجود ثروات نفطية هائلة فيها مع قلة في السكان وتفسخ الأنظمة الحاكمة فيها.

ان لهذا التصور ــ برأيي ــ سببين، أولهما ان هذه (الكليشة ــ المقولة) عاجزة عن اثبات وجود أساس اقتصادي مادي لنظام رأسمالي متوسع استعمارياً في العراق، هذا البلد الذي ينتمي لمجموعة دول العالم الثالث الأقل تقدماً، التي تفتقد ــ في الوقت الحاضر ــ هذا الاساس. و بالتالي فلايمكن تفسير مغامرات حكامها كطاغية بغداد، إلّا بكونها أدواراً بوليسية موضوعة من قبل السادة الامبرياليين حفاظاً على مصالحهم ولإيقاف الحريق (الثوري) الذي بدأ بالامتداد و بعد انشاء جمهورية الاسلام في ايران.

ان دور العوامل الاقتصادية المؤدية لاشعال هذه الحرب يمكن حصره لدى الدول الامبريالية وليس ضمن النظام الاقتصادي داخل العراق. ثم ان تطبيق هذا المنهج في التحليل يتطلب تقييماً شاملاً لنظام ودولة وحزب البعث. وهذا ما لا تريد القيادة الشيوعية في العراق الدخول في تفاصيله. وهو ما سنحاول القاء الضوء عليه.

إنَّ الأزمة لم تعد تتوقف عند الصمت عن الأسباب الحقيقية لشن (قادسية العار) بل تتجاوز ذلك ، كما ذكرنا الى مشكلة تلك القيادة وصمتها عن اعلان (تحليلاتها وتقييماتها) لنظام البعث، وهي تمارس ذلك ولغاية في نفس يعقوب. فالمقولات (الماركسية) آنفة الذكر طبقت لتشير الى نصف الحقيقة حول التبريرات (الصدامية فقط) العنصرية المواكبة لحروب النهب الاستعمارية، والسكوت عن تحليل نظام البعث (ماركسياً) يخدم بلا شك سياسة مستمرة للاتحاد السوفياتي في التعامل مع الانظمة التي تعاقبت على حكم العراق، ولايشكل رأي (الشيوعيين العراقيين) إلّا دور

الموالي دائماً والتابع دائماً.

وحسب المقولة المذكورة فان التطبيق المنطقي لها يوجب وضع النظام الصدامي البعثي صفاً بصف مع النظام الفاشستي النازي في المانيا الهتلرية والنظام الصهيوني الاستعماري في فلسطين ونظام بينوشيت في شيلي. إلّا ان هذا التطبيق والاستنتاج يوجب على الاتحاد السوفياتي وتوابعه امثال قيادة الشيوعيين العراقيين اعادة النظر جذرياً في التعامل مع النظام البعثي واعطاء حكم صريح وواضح حول طبيعة التشكيلة الحاكمة في هذا النظام وترك البقاء في مجال العموميات.

واذا كانت وسائل الاعلام تذكر دائماً وبتكرار ممل بان (المبدئية) هي الاساس في سياسة الاتحاد السوفياتي وتوابعه من العراقيين، فان المهم هو اعطاء الأحكام القاطعة حول الأفكار والانظمة والحكومات التي تسبب الحروب (كالنظام الصدامي مثلاً)، وليس ذرف دموع التماسيح وترديد مقالات صحافة العالم باختلاف مشاربها حول (استنزاف طاقات الشعبين ودمائهما... الخ)، وبحيث تنقطع العلاقة (عن قصد) بين الأسباب والنتائج. فحتى سادة صدام وحلفائه عملاء الخليج ومصر والمغرب... وغيرهم يشيرون الى تلك الحقيقة، ولا يتوانون وهم يمدون نظامه بكل انواع الاستمرار، بوصف هذه الحرب (بالحماقة)، فما الجديد الذي تقدمه قيادة الشيوعيين، تلك التي تتبجح (كلاماً) (بتبني قضية الشعب العراقي)؟

ان سياسة السكوت الايجابي عن البعثيين، ليس سببها فقط تجنب الاحراج لوجود (رفاق) من وفد نظام صدام في المؤتمر العالمي المذكور، بل يمكن توضيحها من خلال: السياسة الاستراتيجية السوفياتية وعلاقات الشيوعيين المحليين بنظام البعث.

فالاتحاد السوفياتي وكل الوثائق المعلنة تؤكد ذلك ، إذ لم يصل في موقفه، وحتى في اقصى حالات البرود مع هذا النظام، الى حد تقييمه (وحسب المقاييس والكليشات ـ الماركسية) بالفاشية، و برغم كل ما سجله نظام وحزب البعث من رصيد في الاجرام والتصفيات الجسدية والقتل الجماعي وتهجير مئات الألوف لاسباب عنصرية وغير عنصرية... وغير ذلك ، وهي الظواهر التي تصاحب المسيرة السوداء لكل نظام فاشستي.

وما يجري، فهو بنظر الوثائق الحزبية أو الدعائية، ليس إلّا اجراءات (مؤسفة) لحكم هو بالأساس (وطني ديمقراطي معاد للامبريالية)، هذا ان تم الاعتراف بوجود القمع أو الاشارة اليه وهو نادر الحدوث. والمطلع على تلك الوثائق أو الصحافة السوفياتية أو التي تتبعها، يجد فراغاً كبيراً وتعمداً مقصوداً في عدم التعرض لنظام البعث، الذي لم يعد يخفي عمالته للامبريالية ولا رجعيته ولا طغيان وانحطاط سلطة عصابته المتحكمة على رقاب شعبنا المظلوم. وطبيعي ان هذا الموقف المتعارض حتى مع الآيديولوجيا الرسمية السائدة للاتحاد السوفياتي!!، ليس موقفاً دبلوماسياً أو ظرفياً أو ترفاً فكرياً لدولة (مبدئية)، بل هو سياسة

مخططة تفرضها المصالح الاستراتيجية والاقتصادية للاتحاد السوفيتي كدولة كبرى، والا كيف يمكن تفسير حالة التواجد المستمر في وسائل الدعاية الشيوعية لوصف نظام بينوشيت في شيلي بالفاشية ووصف نظام البكر، صدام التكريتيين (بالوطنية ومعاداة الامبريالية)؟. ولا ينكر المنصفون تخطي النظام الأخير للدول في الاجرام والوحشية.... الخ.

لقد اصبح الشيوعيون العراقيون ملوني الارادة حتى في القدر (الممكن) لاقتباس وتطبيق الماركسية، و بصورة مقننة، بحيث لا تتعارض و بأي شكل والمصلحة السوفياتية الامبريالية حتى ولو اقتضى الأمر السكوت عن كل ما يجري في العراق (بلدهم) الذي يدعون تبني قضيته.

لقد بينت الفترة الزمنية التي اعقبت انقلاب تموز ١٩٥٨ وحتى الوقت الحاضر بان لدى الاتحاد السوفياتي سياسة واحدة تجاه الشيوعيين العراقيين تصب دائماً في المصلحة الاستراتيجية للدولة السوفياتية، تلك التي تقوم على اساس ان على الشيوعيين العراقيين التعاون مع (الموجود) وقبوله، وتعطيل المبادىء وانتظار الزمن، فلربما سنحت فرصة اغتيال الدولة في مرحلة مامن مراحل ضعف وتدهور السلطة فيها وتوفر الظروف الملائمة لتحقيق افغانستانات سوفياتية هنا أو هناك .

وليس خافياً على المراقبين للوضع السياسي للعراق المعاصر دور الاتحاد السوفياتي في (اجبار) أو (اقناع) الشيوعيين المحليين و من ضمنهم خطيب مؤتمر برلين آنف الذكر، بالتعاون مع حكم الدكتاتور عارف والدخول في (الاتحاد الاشتراكي) ولادورهم في دخول جبهة العار (التقدمية والقومية والوطنية) بقيادة نظام المجرمين البكر ـ صدام تلك الجبهة السيئة الصيت التي بررت الغطاء (الوطني) و (الجبهوي) و (الاجماعي) لسياسة القمع والتصفيات لجموع المعارضة الشعبية في السبعينات.

ان أهم ما تميزت به فترة هذه (الجبهة)، هو انها الفترة الحاسمة التي مهدت لتدعيم سلطة البعث وصعود اكثر اجنحتها اجراماً، ولتسلم الجهاز الأمني (مكتب العلاقات العامة) الذي يرأسه العميل صدام، مقاليد الأمور.

ولشعب العراق ذاكرة لا تنسى بيان الحزب الشيوعي (والخطيب المذكور احد قادته منذ اكثر من عشرين عاماً)، الصادر ضد التظاهرات الشعبية اثناء العزاءات الحسينية والمعروفة بحوادث خان النص (بين كربلاء والنجف) المشهورة والتي طالبت ولأول مرة بسقوط الدكتاتورية البعثية المعادية للشعب العراقي المسلم حينما يصفها في جريدته (طريق الشعب) الصادرة آنذاك (بالطائفية والعمالة للامبريالية والرجعية ومعاداة الحكم الوطني). وقد كانت نتيجة هذه التظاهرات تقديم نخبة خيرة من ابناء شعبنا الى الموت، وهذه بلا شك جريمة شنيعة بحق شهداء ابرار تتحمل احزاب (الجبهة القومية والتقدمية) و بضمنها قيادة

الرفيق خطيب مؤتمر برلين، مسؤوليتها التاريخية.

و برغم طرد هذه القيادة واخراجها من الجبهة المزيلة بعد معاملة مهينة لها من قبل نظام صدام ولاسباب تتعلق بتوثيق روابطه مع رجعيات الخليج والانظمة (القومية) الأخرى وساداتهم الامبريالين، فان العلاقات اصابها بعض البرود وليس الانقطاع. فرغم انتهاء التحالف الجبهوي رسمياً فان الجسور ليست مقطوعة وهي تتم بصور و بأماكن عديدة، كزيارات القادة الشيوعيين العراقيين الى العراق ضمن المنظمات الدولية الموالية للاتحاد السوفياتي (كزيارات مهدي الحافظ ضمن وفود منظمة التضامن الآسيوي والافريقي) وغير ذلك أو خلال سيل من تبادل زيارات الوفود الحزبية الشيوعية الحاكمة وغير الحاكمة أو وفود حزب صدام الى دول اوربا الشرقية حيث تقيم قيادة الشيوعيين حالياً، أو عبر عديد من المؤتمرات المشتركة كالمؤتمر الذي هوموضوع نقاشنا. والمهم في هذا السياق ان العلاقات بين حلفاء الأمس انخفضت الى مستوى علني ادنى درجة، فهي ليست مقطوعة. وغير خفي ان اجهزة الدولة الصدامية و بالذات وسائل الدعاية والأنباء والنشر تضم عدداً كبيراً من الشيوعيين العراقيين المجندين في خدمة النظام و بصفاتهم (الفردية). وليس قرار النظام باطلاق سراح المعتقلين منهم أو المعاملة الخاصة والاستثنائية المتساهلة التي تبديها سفارات النظام تجاه مهاجريهم فيما يتعلق بجوازات السفر وما شابه ذلك بعكس العراقيين ذوي الانتماءات السياسية الأخرى، إلا غيض من فيض.

لقد اريد للحرب البعثية ان توقف امتداد ثورة الاسلام المنتصرة في ايران، ولكن للخالق عزَّ وجلَّ حكمته وللثورات منطقها، فانقلب السحر على الساحر لتصبح هذه الحرب اداة الهلاك لدولة ونظام وايديولوجية البعث جملة وتفصيلاً. وطبيعي ان هذا التطور يتوافق كلياً مع مصالح مجموع الشعب في العراق الا من في قلوبهم مرض. ولا شك ان هناك قوى عديدة لا مصلحة لها في هذا التطور، مع تعدد الاسباب واختلاف التسميات. لقد توافقت المصالح لاطراف عديدة تدعي التناقض الجذري مع بعضها إلّا في مسألة الاحتفاظ بنظام صدام في الوقت الحاضر. فالامبريالية الغربية وحلفاؤها انظمة الخيانة (العربية) لاتجد غضاضة في اعلان عدائها الصريح لأي تغيير شعبي ثوري في العراق، والامبريالية (الاشتراكية) أو توابعها المحليين العراقيين (ورغم ادعاءاتهم حول تأييد تحرير الشعوب) لايريدون لتحرير شعب العراق ان يتم من سيطرة وطغيان العصابة البعثية العميلة. وهذا ما يوضحه المشروع الذي يطرحه منظر الحزب الشيوعي العراقي، فهو يفضح طارحيه رغم الجهد المبذول في كيفية الاعداد واختيار الالفاظ، فهو يذكر:

(ليس هناك من مشكلة بين بلدين لاحل عالمي لها، ويجب ان يكون على اساس الوصول الى سلام عادل وديمقراطي. وهذا يعني رفض الالحاق والاحتلال لاراضي أي من الطرفين). ومادامت المشكلة كذلك فان الضرورة تستوجب (تشكيل حكومة ائتلافية وطنية تقوم بطرح مقترحات بهذا الشأن وأي طرف يرفض... فان الحكومة الائتلافية عليها تحقيق

الدفاع الثوري).

فادا يقصد هذا الخطيب بذلك الاختيار المتكلف للكلمات في هذه الفترة الحاسمة من تاريخ الحرب المفروضة؟

يمكن توضيح ذلك بالنقاط التالية:

اولاً: يتجاهل الحزب الشيوعي و بتعمد واضح، الأسباب التي دفعت لشن هذه الحرب الامبريالية بالوكالة ضد الجمهورية الاسلامية بواسطة العملاء البعثيين بحيث لايكلف نفسه حتى عناء الاشارة اليها، وسط الاسراف في التطرق لأمور ثانوية وعرضية، و يتجاهل العزلة القاتلة التي يعيشها النظام عن الشعب وثورة الجماهير عليه، أو دور الرجعية المحلية من شيوخ و ملوك ودكتاتوريين في اسناد هذا النظام، ولكنه يلجأ للحديث و بصورة عمومية عن (رفض الالحاق أو احتلال اراضي اي من الدولتين) مع حشر عبارات (العدل والسلام والديمقراطية) ضمن مشروعه (للسلام)، حتى يبدو وكأنه يكرر ولكن مع بعض التجميل الشكلي و بديماغوجية رخيصة نفس حجج نظام صدام بكون الحرب هي (حرب حدود ومياه والحاق... الخ) ولابدّ من التساؤل اذن: لماذا لم تتحرك قيادة الرفيق وهي التي كانت تشارك في مسؤولية الحكم من خلال (الجبهة القومية التقدمية) حتى وقت قصير قبل اعلان الحرب، لتعترض على اتفاقية الجزائر بين صدام والشاه المقبور، ولتسجل موقفاً تأريخيا على الأقل؟ اليست هي التي تكرر دعاواها بملل بانها (نذرت نفسها لقضية الشعب؟!).

ولكن شعب العراق يعلم بأن تلك القيادة كانت وقتها وعبر تحالفها الجبهوي غير المقدس مشغولة باستخدام دولة البعث واجهزتها القمعية للخلاص من التنظيمات التي شقت عصا الطاعة عليها للحصول على مزيد من النفوذ والتغلغل في جهاز الدولة بعد حصولها على عدة مناصب وزارية. والمتتبع لاعداد جريدتها العلنية ذلك الوقت يقرأ رجاءاتها المتكررة للنظام (الوطني التقدمي) للمجرمين البكرصدام، بتدعيم المؤسسات الجبهوية وتوسيع استخدام الشيوعيين ليشمل اعطاءهم بعض مناصب السفراء والقناصل في جهاز وزارة الخارجية!!

ثانياً: ان الدعوة لتشكيل حكومة أئتلاف (وطني) تثير الشكوك حول النيات، وما دامت دولة صدام قد فقدت القدرة وهي فاقدة الشرعية اصلاً، على الاستمرار، وقد حدث ما حدث بحق الشعبين المسلمين العراقي والايراني، باقتراف ابشع الجرائم، ابتداءً من جريمة اشعال الحرب المدمرة ضد ثورة الشعب الايراني المسلم في ايران، وابادة المدن العراقية كالدجيل مثلاً، فأي معنى للحديث عن السلام، مع ابقاء الوضع الحاضر كما هو عليه الآن، عدا كونه دعوة مشبوهة يراد بها اطالة عمر هذا النظام؟ وما الدعوة الى الائتلاف إلّا مناورة. واذا كان شعب العراق قد خبر تلك الأ لاعيب بعد وضوح جبهات الاصدقاء والاعداء فان هذه الدعوة بلا شك موجهة اساساً لنظام صدام ليس غير. اذ لابد من التساؤل رغم ذلك ؛ هل سيتم هذا الائتلاف مع أم بدون حزب البعث الصدامي؟ ومن هم اطراف الائتلاف الآخرون؟

ان وقائع المؤتمر العالمي الذي القيت فيه خطبة الرفيق المذكور وحضور وفد عن حزب عفلق ــ صدام فيه تؤكد بان هذه الدعوة موجهة بالدرجة الرئيسية الى حزب السلطة و بوجوده ولمنع سقوطه. ولو افترضنا جدلاً عكس ذلك ، فاكان هناك من مبرر للدعوة الى الائتلاف ضمن مشروع ايقاف الحرب واقامة سلام (ديمقراطي)، مادام البعث لايزال يتحكم بمقاليد السلطة.

ان القيادة الشيوعية، وهي تعلم مقدار عداء الشعب لحكم الطغيان، تجدها تحشر مشروعها المشبوه لانقاذ البعث بكلمة الديمقراطية، علها تقلل سخط الجماهير على سياستها ولتحقق نقمتها بجعل هذا التحالف الجديد مقبولاً لديها، باضافة هذه (الكلمة ــ الوصفة السحرية) وما عدا ذلك فان اقحام كلمة الديمقراطية في مشروع سلام وانهاء حالة الحرب لامعنى لها. اذ لم يجر العرف في العلاقات الدولية ان تقوم اتفاقيات الصلح أو السلام أو الهدنة بين دول متحاربة على اساس (ديمقراطي!).

ثالثاً: ولابدَّ ان يثار التساؤل المشروع، وهو؛ بأي حق يفرض شكل الحكومة الائتلافية على الشعب العراقي ومن برلين بالذات؟ وهل هناك مبرر مقبول بفرض شكل معين من الحكومات وعلى شعب وقبل سؤاله حقاً بانتخاب واستفتاء حُرَّين وصحيحين؟ وفي هذه النقطة بالذات تكمن الأزمة التي تعانيها قيادة الشيوعيين المحليين.

ان شعبنا يشهد فترة اسقطت كل الاقنعة والمناورات واللعب الهزيلة التي تستر خلفها كثيرون من مدّعي تمثيل الجماهير من حركات واحزاب وتنظيمات عديدة. وما عليهم جميعاً إلّا الوقوف امام حكم الشعب والرضوخ لارادته الحقيقية. هذا هو الدرس الذي علمته ثورة الاسلام في ايران لشعبنا. والآن وبالذات تبدأ مشاريع الائتلاف على تلك الارادة لاغتصاب السلطة وتكرار التجربة البعثية، وفي هذه المرة تتم تحت رداء (تقدمي-تآمري)، و بدون الشعب وخلف الأبواب المغلقة. و بعدها يصار الى تنظيم مسرحيات مزيفة حددت الادوار فيها مسبقاً، تقدم الغطاء (الشرعي) لسرقة السلطة وسلب ارادة الشعب. والرفيق المذكور واثق تماماً بأن حزبه كبقية التنظيمات الجهرية الصغيرة وصالونات النخبة (المثقفة) والمتأوربة ليست قادرة بمجموعها على كسب التأييد الجماهيري عبر ساحة المعركة ضد نظام صدام (وهي ليست راغبة اساساً) ولا عبر صناديق الاقتراع بعد انهياره. لقد فقد الملك الاحترام حينما ثبت بأنه كان عارياً من الثياب. هكذا تروي القصة ــ الاسطورة القديمة!

لقد استعمل الائتلاف الحكومي كحالة مؤقتة في ممارسة الحكم في التأريخ السياسي الحديث. وقد استخدم كاتفاق بين قوى متكافئة في القوة كحالة انتظار لحين حصول تغيير ما يغير التوازن و بالتالي اعادة النظر في الائتلاف، أو بين قوى سياسية مختلفة الوزن لها مصلحة معينة في عدم ممارسة الحكم بصورة منفردة. فالأقوى يكسب عن طريق الائتلاف اجماعاً اكبر لتأييد حكمه، والأضعف يقدم هذا التبرير للاقوى مقابل الاشتراك في الحكم وكسب

الوقت بانتظار حصول ظروف افضل توفر منافع اكثر عطاءً . ولكن ماهو موقع الائتلاف الذي تطرحه قيادة الشيوعيين العراقيين من ذلك ؟

يمكن الاجابة على ذلك بان هذا الائتلاف ماهو الامحاولة اتفاق بين قوى هي بمجموعها ضعيفة امام الاجماع الشعبي وغريبة عن الشعب ولايسنده ايمان بالفكرة، وبموجب الايديولوجية الماركسية فان كل هذه الاتفاقات ماهي إلاافتراب مؤقتة تمهد للوصول الى الهدف النهائي بسيطرة الشيوعيين على مقاليد السلطة وقمع الآخرين وتصفيتهم وعلى اساس مفهوم خيالي من دكتاتورية (البروليتاريا).

ولكن السؤال الأهم الذي يطرح ضمن هذا السياق هو؛ ما الجديد الذي يقدمه هذا الائتلاف عن (الجبهة الوطنية والتقدمية) المقبورة؟ وما هي مصلحة الشعب العراقي المسلم في عقد هذه الجبهات أو الائتلافات؟ ألم يكف ما حل بشعبنا طيله خمسة عشر عاماً من حكم البعث؟ ولماذا تتكرر هذه الألاعيب الهزيلة؟ وما النتيجة العملية لتحقيق هذا الائتلاف إلّا استمرار هذه المأساة المدمرة، اللهم إلّا رجوع بعض الوزراء الشيوعيين الى حكومة يرأسها صدام ومعاودة اصدار جريدة (طريق الشعب) من جديد؟!

ان العلة في ذلك ان الدعوة الى هذا التآمر الجبهوي وفي هذه الظروف التأريخية التي تعيشها المنطقة وشعب العراق، ليست شيئاً غريبا رغم طابعها واهدافها المعادية للانسان، انها نتيجة طبيعية لعجز العديد من التنظيمات عن فهم طبيعة المجتمع العراقي المسلم وتركيبته الفكرية والاجتماعية وقيمه السائدة. فهذه الاحزاب وان استطاعت في فترات معينة من تاريخ (الحكم الوطني) في العراق الحديث استقطاب اعداد من حسني النيات ممن أملوا خيراً منها في مقاومة الانظمة العميلة أو المستبدة التي تتابعت على حكم العراق ومنذ فشل ثورة ١٩٢٠ المجيدة ضد الاحتلال البريطاني وتشريد واضطهاد قادتها العلماء والزعماء الافاضل وحتى دكتاتورية بعثيي تكريت الحاليين، إلا ان الوضع قد تغير بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران، ووضوح ابعادها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها. لقد كان لهذا النموذج الجذري في التغيير في المجتمع الاسلامي اكبر الأثر في كشف قصور وغربة تلك الحركات السياسية وضحالة نماذجها وافتراقها العضوي عن شعبنا ورفضه لها، وهي تعلم ذلك جيداً و بدون شك .

الا ان قيادة الشيوعيين العراقيين لا تزال تزايد في تكرار الحديث عن شعبيتها وقوة تأثيرها على (أوسع الجماهير) دونما تقديم إلّا الأدلة المماكسة لذلك ، كتلك العجوز التي فقدت صباها فتوهمت فاستبدلت الماضي بالحاضر واصرت عناداً اعتبار الماضي هوالحاضر دوماً!!

ان قيادة الشعوب أو ثوراتها ليست مسألة ادعاءات أو تبجحات نظرية، بل هي عملية بالدرجة الأولى تشبهها مجريات الاحداث اليومية في عملية الصراع بين الشعوب وفراعنتها الطواغيت. فاين ياترى قيادة حزب (الرفيق) لتطورات الاحداث في العراق؟ ولانجد من هذا الادعاء سوى ما يتخيل بقوله:

(ان تنظيمه رجع الى وضعه السابق كمركز للحياة السياسية ومستقطب للاحزاب الوطنية).

ولذلك فهو يطرح الآن الدعوة الى (جبهة عريضة تضم القوى الوطنية واليسارية والعربية والكردية... والدوائر الاسلامية!!) وبقيادة البعث الصدامي طبعا!! ويستمر في التفاصيل فيقول بان: (انضاج الظروف الثورية لايتم من خلال الحروب، فالتأريخ يعلمنا!! بان الجماهير تكون اكثر استعداداً للثورة بعد الحروب!!) ولو رصفنا هذه الافكار المتناقضة والمزايدة فيبدو انه يريد القول:

عقد حكومة ائتلافية تضم البعث والشيوعيين والدوائر الاسلامية!!، وفرض اتفاقية (سلام ديمقراطي) على الجمهورية الاسلامية وعبر (الدفاع الثوري) المشترك لقوات مشتركة من البعث والشيوعيين ان رفضت ايران مشروع (السلام) المذكور، والسعي بعد ذلك لتحقيق الثورة... وأي ثورة!!

ونشير ان هدف هذه المقالة ليس الرد على ما جاء في هذا الخليط من الشطحات والديماغوجية وفقدان المبدئية، الا ان نقطة مهمة وردت فيها تستوجب المناقشة نظراً لما تضمنته من البطلان والتزييف. فحين التعرض الى مسألة ان الجماهير تكون اكثر استعداداً للثورة بعد الحروب فانه يطبق ومن خلال منطق شكلي وحرفي مسألة استيلاء البولشفيك على السلطة وقيامهم باخراج روسيا القيصرية من حالة الحرب ضد المانيا الامبراطورية في الحرب العالمية الاولى، على حالة الحرب البعثية الاسلامية. والمنطق في هذه الحالة واضح فكما استطاع البولشفيك الاستيلاء على السلطة في روسيا القيصرية آنذاك والتركيز على الوضع الداخلي وتأسيس دولة الاتحاد السوفياتي الحالية وعلى اساس قاعدة ان الشعبين الروسي والالماني زجا لمعمعة الحرب الكونية الاولى آنذاك وهي حرب لا مصلحة للشعوب فيها اطلاقاً، اذ انها حرب الطبقات الحاكمة لتوسيع الامبراطوريات وتقسيم المستعمرات، فان النتيجة المنطقية لهذا التشبيه تستوجب وضع كلا النظامين الجمهوري الاسلامي في ايران ونظام العصابة التكريتية بصف واحد. والاعتراض على هذا المنطق الجاهل ــ الحاقد المصاب بعمى الألوان، هو كيف واين وجدت حالة التشابه بين حروب الاباطرة والقياصرة الاستعماريين، وبين الحرب البعثية الاسلامية؟ ان الاستنتاج المنطقي لفرض هذا التشابه قسرياً يوصل الى ان كلا النظامين المتحاربين هم (اعداء) للشعبين العراقي والايراني!! على السواء.

ان هذا المنطق الغريب لابدّ وان يثير التساؤل وبغرابة ايضاً، هل تعلم القيادة الشيوعية العراقية بان (الامبراطور البهلوي) لم يعد يحكم الآن في ايران وان ثورة قد حدثت واقيمت بعد نجاحها المبارك دولة الشعب هي جمهورية ايران الاسلامية؟ وان حرب صدام هي جريمة اقترفت وبالنيابة عن الامبريالية والرجعية المحلية لاسقاطها ولاخماد هذه الجذوة المشتعلة التي اصبحت نموذجا لثورة شعب العراق ذاته.

اضافة لذلك لابدّ من التساؤل، اذا اعترفت تلك القيادة بان حكم صدام معاد جوهراً

للشعب العراقي (وهذا ما لايمكن الا استنتاجه من فرض التشابه المذكور) فلماذا ندعو الى قيام حكومة ائتلافية والا تفاق مع بعث صدام؟ وهل يمكن تجنب اعتبار ذلك المنهج انتهازياً وفاقداً للمبدئية والاخلاق السياسية؟

رابعاً: اما النقطة الأخيرة من مشروع السلام (الديمقراطي) فهي تنص بصراحة على التحريض على حرب الجمهورية الاسلامية وعبر (قتال تقدمي) وكما تذكر ــ (ان أي طرف يرفض هذه المقترحات فان الحكومة الائتلافية وبتأييد من الجماهير عليها تحقيق الدفاع الثوري). ولابدّ من الاشارة الى ان تلك الحكومة الائتلافية ان تضمنت حزب العصابة الصدامية فما معنى طرح مشروع السلام العادل؟ وبماذا يختلف هذا المشروع عن مشاريع الامبرياليين وعملائهم العرب لانقاذ صدام عبر مختلف المنظمات كالأمم المتحدة، والمؤتمر الاسلامي وعدم الانحياز؟

والسؤال الذي يتبادر على خاطر كل عاقل في ايران الاسلام أو في العراق هو هل يمكن تصور قيام سلام عادل ودائم يضمن الاستمرار لنظام المجرمين البعثيين؟

ولا بدّ من التفريق، فان رضي الشيوعيون العراقيون بالتحالف مع نظام صدام وعبر مساومات وضغوط واعتبارات دولية ومحلية، فان كل المخلصين من ابناء شعبنا العراقي المسلم المظلوم لن يقبلوا بأقل من اسقاط النظام وتحطيم اجهزته الفاشية وكنس كل ما ارتبط بهذا النظام من افكار ومؤسسات وانهاء حكم العمالة والتبعية والاستبداد. هذا من جانب، ومن الجانب الآخر لابدّ من طرح التساؤل المشروع؛ هل يعني تحقيق (الدفاع الثوري) اعلان الحرب على ارادة الشعب العراقي و بداية اعلان انضمام الشيوعيين المحليين هذه المرة الى جبهة الحرب الصدامية صفاً لصف مع مرتزقة الانظمة الرجعية العربية كنميري ومبارك ... وغيرهما، و بعد ان اصبحت نهاية النظام حديث الناس؟ هل ان على الشعب العراقي ان يفهم بان تلك القيادة سائرة صوب تحقيق ائتلاف مشبوه ليس هدفه ايقاف الحرب حقاً عن طريق المهزلة البهلوانية (للدفاع الثوري)، بل استمرار الدكتاتورية والاستيلاء على السلطة بصورة متآمرة وعبر العصابة البعثية التي ايلت على السقوط بفعل الحرب الداخلية والخارجية؟ هذه اسئلة لابدّ من طرحها وخصوصا ان الملامح الاخرى للمخطط الجديد بدأت تتوضح من خلال التحريك لاعلان هذا (المشروع ــ المؤامرة) والاخبار التي تتحدث عن تكثيف شحن السلاح السوفياتي المتطور لنظام صدام، وذو بان الجليد في العلاقات السوفياتية الصدامية وظهور مؤشرات عديدة عن تحول السوفيات عن حالة (الحياد التي كانوا يدعونها) من الحرب ولصالح دعم نظام صدام ودعوة صدام للشيوعيين المحليين للتصالح والوقوف ضد الخطر الاسلامي المشترك ودعوته وكذلك لشق صفوف الاكراد العراقيين باجراء اتصالات مع بعض الاطراف الكردية العميلة دائماً (كالاتحاد الوطني الكردستاني للطالباني).[5]

خلاصة:

بسبب من المتغيرات العديدة التي طرأت

على صعيد المنطقة وجدت القيادة الشيوعية العراقية نفسها ضمن أزمة جذرية موضوعها التوفيق بين متناقضين:

(١) ــ القصور عن تفهم الواقع الموضوعي للمجتمع وطبيعة الصراع السياسي والفكر والقيم السائدة في بلد العراق المسلم. فبرغم من ادعاءات العلمية والموضوعية والتي تملأ نشراتها الصادرة في دول اوربا الشرقية، فانها لم تتمكن (ولا تريد) فهم ان البديل الذي (تقدمه) سواء فيما يتعلق بمقاومة الانظمة السائدة والمتفسخة أو في كيفية بناء المجتمع، ليس الا هزالاً ولا يقدم الحل الشافي لمشاكل الدولة والمجتمع والفرد. وهي كما يبدو مستعدة للتضحية بالانسان اذا ماحصل التعارض بين عقلية واهداف وطموحات الشعب العراقي وبين نموذج وبرامج تلك القيادة الماركسية. فالشعب يمكن ان يكون بمجموعه على خطأ، اما برامجها ومقرراتها والاعيبها ومناوراتها فلايمكن ان تكون (أوليست العلمية هي حتمية وقدر الشيوعية كما يدعون) وما دام الأمر كذلك فلابدَّ من تفسير انفضاض الشعب العراقي عنها بكونه (مؤامرات) تحيكها وتخطط لها جهات ترتبط بمصالح (طبقية)... وغير ذلك من رخيص التخريجات.

(٢) ــ مشكلة التوفيق بين ستراتيجية دولة كبرى وبين الاهداف الخاصة للشعب العراقي المسلم. ومادام التعارض حاصلاً دائماً في هذه الحالة، فلا يمكن التضحية بمصالح أو التفريط (بنصائح) الاتحاد السوفياتي. وفي حالتنا هذه ان حصل ان اجماع الشعب في العراق على الخلاص من نظام الطغاة الفاشستين البعثيين، يتعارض مع الموقف السوفياتي الواضح، فان النتيجة المنطقية هي ان على العراقيين قبول هذا النظام وربما عبر اقناعه ومن خلال الشيوعيين المحليين باجراء بعض التغييرات الشكلية أو التجملية لوجهه وجوهره القبيحين، ولا اراني بحاجة الى الاستشهاد بما تنشره وسائل الدعاية والوثائق النظرية في دول الكتلة السوفياتية، أو الى البيانات المشتركة الصادرة مع حزب صدام، تلك التي تؤكد أهمية وضرورة بقاء النظام وضمان استمرار وتدعيم العلاقات الحزبية والرسمية معه وعلى كافة الاصعدة باعتباره افضل البدائل الموجودة امام التغيير (الاسلامي المتطرف!).

لقد اشار دستور الحزب الشيوعي للبلد المضيف للمؤتمر مجال البحث بأن تأييد سياسة الاتحاد السوفياتي الخارجية هي الشرط الاساسي (لشيوعية الشيوعي) افلا ينطبق هذا الشرط على قيادة الشيوعيين العراقيين المعروفة بالولاء الدائم والكامل للسوفيات؟

واخيراً، اذا كان حزب (الرفيق) زكي خيري مستعد حقاً لتنفيذ مشروعه (بالدفاع الثوري) وبعد فشل مشاريع انقاذ صدام الأخرى، وعبر حكومة ائتلافية مشبوهة ضد الجيش الاسلامي أو ضد البديل الذي سيفرضه شعبنا العراقي على ساحة المعركة فان هذا التحدي سيواجه الرد المناسب وعلى ساحة المعركة ايضاً، والمهم هنا هو التساؤل: اما كان الأولى بهذه القيادة ان توجه هذه الجهود التآمرية، وهي التي لن ترتضي الى اكثر من جعجعة فارغة عرفها شعبنا

من مشقي الصالونات الافندية، وممن انهكها لهاثها وراء الدول الكبرى أو الانظمة الدكتاتورية في بلدنا، والتي اعتادت الخمول والعيش على هامش الاحداث للرجوع الى الذات ومعرفة النفس ومحاسبتها (وهي فضيلة بلاشك) ومعرفة حجمها الحقيقي ضمن الشعب العراقي، وفي هذه المرة الاخيرة، قبل الاقدام على حماقات معاداة ارادة الشعب ورفع السلاح ضد تطلعاته ــ بعد ان تقاعست عن رفعه ضد جلادي الشعب الصداميين ــ صفاً بصف مع الفاشست العملاء. وليس هذا بأمر مشرف.

لقد افرزت تجربة الثورة والجمهورية الاسلامية في ايران كثيراً من العبر وهي حتماً جديرة بالاتعاظ لقوم يعقلون.

الهوامش:

(١) جريدة نويس دو يتشلاند الالمانية الشرقية، برلين ١٣/ابريل/١٩٨٣.

(٢) دير شبيغل الالمانية، هامبورغ، ١٨/ابريل/١٩٨٣ صفحة (١١٣).

(٣) وهذا الصحفي (وعضو المكتب الاعلامي القومي) الصدامي، معروف للعراقيين بكونه استمرار (المدرسة). والده قاسم حمودي صاحب جريدة (الحرية) والعميل البريطاني المخضرم. لقد كانت جريدته وضمن عهدين (الملكي والجمهوري) احد المراكز الدعائية المعروفة لحلف بغداد الامبريالي، وقد مارست دوراً مهماً في محاربة الحركة الشعبية ضد الحكم الملكي الهاشمي وفي تخريج عملاء مثقفين مارسوا بعد ذلك ادواراً مهمة في السياسة والحكم.

(٤) الايكونوميست، لندن، ٤/ديسمبر/١٩٨٢ صفحة (٦١).

(٥) التايمس، لندن، ١٣/ابريل، وكذلك الايكونوميست العدد الصادر في ١٤/مايس/١٩٨٣ صفحة (٥٥).

تقرير من مراسل صحيفة الكرسنت انترنشنال
الكندية في الشرق الاوسط

وعاظ السلاطين في بغداد

لقد سعى ويسعى صدام حسين لانهاء قادسيته قبل سقوط نظامه الدكتاتوري، إذ لم يترك باباً الا وطرقه، أملاً منه في البقاء بالسلطة. ولقد توسل الى الكثير من المنظمات والدول والمؤتمرات ومنها؛ منظمة الأمم المتحدة، والدول العظمى، ومؤتمر دول عدم الانحياز، وجامعة الدول العربية و... الخ، إلّا ان مساعيه لم تجد له نفعاً. وأخيراً لجأ الى حيلة جديدة وهي تشكيل مؤتمر اطلق عليه اسم المؤتمر الشعبي الاسلامي الذي دعت الى تشكيله وزارة الأوقاف في بغداد. وقد حضر المؤتمر جمع من العاملين في وزارات أوقاف الدول المشاركة أو بالأحرى العلماء المرتزقة التابعين للأنظمة المختلفة.

ان أي مسلم شريف غيور لا يمكنه تلبية نداء صدام البعثي للسفر الى بغداد مجاناً، صدام المنكر للأصول الاسلامية والداعي الى بث الأفكار القومية الجاهلية.

ان النشاطات الاسلامية تعتبر جريمة في قاموس حكومة صدام، كما ان المسلم

الذي يتردد دائماً الى المساجد لن تكون عقوبته إلّا الاعدام. فلقد أصدر صدام في يوم ٣١/آذار/ عام ١٩٨٠ أمراً باعدام كل من له ارتباط بحزب الدعوة الاسلامية وعلى اثر ذلك اعدم عشرات الآلاف من ابناء الشعب العراقي.

وتعود الى المؤتمر المذكور، فخلال انعقاد المؤتمر كان يعيش اكثر من ٢٠ الف مسلم في حالة اغماء جراء التعذيب الذي يلاقونه في سجون النظام الصدامي بسبب نشاطاتهم الاسلامية، اضافة الى ذلك لا تصلح بغداد لاستضافة مؤتمر وذلك لارتكاب نظامها اعتداء على الجمهورية الاسلامية.

واستناداً الى التقارير الواصلة فان (٢٨٠) شخصاً يمثلون (٥٠) دولة كانوا قد اشتركوا في المؤتمر المذكور، وكانت اكبر بعثة اشتركت في المؤتمر من الباكستان وقد ضمّت حوالي (٣٥) شخصاً وكان من ضمنها (شاه بالي تورين) الشخص المتهم بافتعال الأحداث الطائفية بين السنة والشيعة في كراتشي.

كما ان اكثر المشتركين الذين حضروا المؤتمر كانوا يمثلون هيئات و منظمات ترتبط بالسعودية مالياً، ومن هؤلاء (انا مولانا خان) الأمين العام لمؤتمر الاعلام الاسلامي و(معروف الدواليبي) الذي يعتبر مستشارا في البلاط السعودي والذي كان قد شغل لفترة قصيرة منصب رئاسة الوزراء في سوريا. ولقد انعقد المؤتمر المذكور ما بين الفترة (١٤ ــ ١٧) نيسان في الذكرى السنوية الثالثة لاستشهاد الامام محمد باقر الصدر أحد مشاهير العلماء واخته بنت الهدى، وترأس المؤتمر احد المقربين من صدام والعاملين في وزارة داخليته المدعو (علي كاشف الغطاء) الذي منح نفسه لقب آية الله!

وبالرغم من ان مسألة فلسطين وفطاني وكشمير كانت من ضمن موضوعات المؤتمر، إلّا ان مسألة الحرب العراقية الايرانية كانت قد شغلت الجانب الأكبر من بحث المؤتمر.

وحول هذه المسألة علّق أحد المشتركين في المؤتمر والمدعو (انا مولانا خان) على موقف المؤتمر من هذه المسألة فقال: من الأفضل ان لانضيع الوقت في كيل الشتائم والتهم واللوم فيما بيننا، علينا ان لانتكلم عما مضى.

واضاف قائلا: اقترح على لجنة المؤتمر منح شهرين كمهلة يتم خلالها اقامة صلح بين طهران وبغداد، صلح يقوم على أسس معقولة وشريفة.

اما (معروف الدواليبي) فقد اعلن و بكل غباء قائلاً: اننا حضرنا هنا من أجل طي الصفحات الماضية.

وفي ختام اعماله اصدر المؤتمر بياناً جاء فيه: «يحرم التعامل اقتصادياً وثقافياً و سياسياً مع أية دولة من الدولتين المتحاربتين في حالة رفضها الانصياع لمقررات المؤتمر». كما اعلن المشاركون في المؤتمر بأنهم سيقفون عسكرياً بوجه الطرف الذي يرفض قرارات المؤتمر، و سيقررون ماهية الحلول العسكرية في مؤتمرهم القادم الذي سيترأسه صدام ايضاً، وكأن هؤلاء يسيطرون على زمام جيش أو دولة ما!

وتقرر تشكيل لجنة تضم تسعة اعضاء برئاسة (معروف الدوالبي) مهمتها التوجه الى طهران من أجل الوساطة، لكن ايران رفضت هذه اللجنة التي كان مجيئها يعني النجاح النسبي للاعلام الصدامي.

ان ايران تريد انهاء الحرب، لكنها ترى نفسها ملزمة لرعاية الاصول الاسلامية من مثل: معاقبة المعتدي، ودفع الغرامة الحربية والتعويض عن الخسائر واعادة اكثر من مئة الف مهجر عراقي والذين تم تهجيرهم خلال السنوات الثلاث الماضية الى ايران.

ان الاسلام لا يقر الصلح الذي يعني المساومة، كما ان هذا المؤتمر حاول عبثا حفظ نظام معتد وظالم.

ان أي مشارك في المؤتمر لا يمكنه الادعاء بأنه يجهل الايديولوجية البعثية والجرائم التي ارتكبها حزب البعث بحق الشعب العراقي واعتداءاته على دولة اسلامية تعتبر كعبة آمال المسلمين.

لقد قام صدام وبالتعاون مع الغرب والسعودية و حكام الخليج بالاعتداء على ايران أملاً منه في احراز نصر سريع ضد ايران لاطفاء شعلة الاسلام.

واخيراً يجب على المسلمين ان يطردوا من الساحة الاسلامية جميع الذين اثبتوا بعملهم هذا انهم في عداد المنافقين.

تحدث الكاتب في الفصلين الأول والثاني عن مفهوم القصة الرسالية، ومواضيع القصة الاسلامية، واسلوب طرح هذا النوع من القصص، ثم اشار الى بعض القوالب الأدبية المعروفة؛ كالقالب الكلاسيكي والرومانطيقي. واليكم الفصل الثالث والأخير من هذا الموضوع:

بقلم: محسن مخملباف

الفصل الثالث

القالب القرآني:

إذا أردنا التطرق الى القصة الاسلامية من الزاوية التوحيدية والنظرة الكونية الخاصة، فيجب ان نعتبرها قالباً له خصائصه... قالباً أُستُخدِمَ على مرّ التاريخ لطرح الآثار الدينية من خلاله.

ولو كانت الواقعية في الأدب تتمثل بمادية الحادثة واسبابها وأُسلوب طرحها، فان القصص الاسلامية ليست واقعية. اما اذا كانت الواقعية في الأدب تعني تطابق النتاج الأدبي مع واقع الوجود من جميع النواحي، فان القصص الاسلامية هي الأخرى قصص واقعية.

و اذا لم ننظر الى الرمزية كما هي بمعناها المتعارف عليه، فان القصص القرآنية تستطيع ان تطرح نفسها في القوالب الرمزية.

ولو اعتبرنا الخيالية بمثابة تحطيم أُطر الرؤية المادية الضيقة للوجود وليس كنوع من التخيل المثالي الناشئ من الذهن والبعيد كل البعد عن الواقع، فان القصص الاسلامية لها هي الأخرى ابعاد خيالية.

ولكي نسمي خصائص القالب الاسلامي بشكل جيد علينا ان ننظر الى المسألة من زاوية أُخرى وهي؛

لما كان كل قالب يتأثر بكيفية نظرة خالقه

للوجود، فان قالب القصة الاسلامية يتأثر بالنظرة الكونية التوحيدية أو بعبارة أخرى يتأثر بنظرة الخالق للوجود. وايضاً لما كانت هذه النظرة مطلقة وكاملة وصحيحة ودقيقة من مختلف النواحي، لذلك لم يفقد هذا القالب دعائمه نتيجةً لنقده من جانب الأفكار الفلسفية الأخرى، ولم يتغير تبعاً للفلسفات الحديثة، في حين تتأثر جميع القوالب البشرية بنوع من النظرة الكونية الخاطئة. لذلك فبتعديل النظرة الفلسفية العامة للناس ازاء الوجود، تصبح تلك النظرة والقالب المتأثر بها موضعاً للتساؤل.

واذا كان القالب يشكل وسيلة لطرح افضل النتاجات الأدبية، فلا بُدَّ له ان يكون مطلقاً، وتكون له القابلية على احتواء النتاجات الجديدة للبشر.

ونحن نعتقد انه سيحل ذلك اليوم الذي لا يتم الاعتراف فيه سوى بالقالب القرآني. إذ ان التكامل في الفلسفة، لايعني إلا الوصول الى الفلسفة الاسلامية، الفلسفة التي يقوم اساسها على قبول مثل هذا القالب. لذلك يتطلب على اصحاب الرأي المسلمين منذ هذه اللحظة ان يعملوا جنباً الى جنب مع الفلاسفة الاسلاميين لمعرفة القالب اللامتناهي في الأدب الاسلامي وان يضعوا هذا الأفق الواسع امام رؤية الأدباء الضائعين.

الأشخاص الذين تخاطبهم القصة الاسلامية:

تقتضي الضرورة بمخاطبة كل شخص باسلوب خاص. لذلك يلزم في الوهلة الأولى وقبل كتابة القصة الاسلامية معرفة الأشخاص الذين تخاطبهم القصة الاسلامية، ومن ثم طرح المواضيع (الفكر) في سياق الخصائص الفطرية والمكتسبة لهؤلاء.

إنَّ استخدام أية تقنية كانت من دون الأخذ بنظر الاعتبار الاشخاص الذين تخاطبهم القصة الاسلامية سيكون عديم الجدوى، لأنَّ التقنية في الأدب أوالفن تعني طرح الموضوع بشكل يتناسب مع خصائص المعنيين في ذلك الموضوع وذلك لايجاد الكمال في التأثير.

وكاتب القصة الاسلامية لايكتب بدافع كسب المال والشهرة، فهو يشعر بالقلق دائماً و يتساءل مع نفسه؛ من الذي سيقرأ نتاجي؟ وماذا سيكون رأيه؟ لأنَّ اي انحراف توجده مثل هذه النتاجات فانه لامحالة سيقع على عاتق صاحبها و يكون مسؤولاً عنه امام الباري سبحانه وتعالى.

واذا كان يفكر باستخدام تقنية اوسع لترك تأثير اكبر فانه لن يحقق النجاح مالم يتعرف على الانسان الذي سيتحدث معه بواسطة القصة. انه يعتبر التقنية وسيلة لايصال رسالته الارشادية الى مخاطب قصته بشكل افضل واكثر تأثيراً، وتكون هذه التقنية مطابقة لفحوى النتاج من جهة ومطابقة لمخاطبي النتاج من جهة أخرى.

ويمكن للكاتب الذي يقدم على الكتابة متجاهلاً تأثير نتاجه، ان يحقق نجاحاً عن طريق الصدفة، لكن الكاتب الذي يعرف لمن يكتب فانه سيعرف ماذا وكيف يكتب.

وهنا نرى من الضروري ان نشير الى أهم الاشخاص الذين تخاطبهم أو تعنيهم القصة

الاسلامية:

١ــ المسلمون:

بصورة عامة يستطيع كافة المسلمين نتيجة لاشتراكهم في الآبد يولوجية ان يكونوا الاشخاص الذين تعنيهم القصة الاسلامية، إذ انهم يتميزون بثقافة مشتركة وتتشابه عندهم الدوافع السليمة التي تعمل على تحريكهم. لذلك يلزم توعية المسلمين غيرالواعين الذين لامعرفة لهم بالمسائل العقائدية ـ السياسية وتحذير الواعين منهم من الوقوع في الانحرافات النفسانية.

٢ــ اتباع المذاهب الأخرى الصادقين غيرالواعين:

يقول الخالق في مطلع القرآن الكريم بان هذا الكتاب (هدىً) يهدي به بعض الناس و يضل به آخرين بل يزيدهم مرضاً. فهو يعتبر الايمان بالغيب من احد شروط الهداية، بعبارة أخرى انه يحدد منذ البداية الاشخاص المعنيين في القرآن. ولهذا السبب تتناسب جميع القصص القرآنية مع خصائص المخاطبين[1]

وطبيعي ان الشخص الذي يقوم نظرياً و بدافع الغرور بنفي الوقائع الغير قابلة للمعرفة بالأساليب العلمية (التجريبية) فانه لايبقي مجالاً لمخاطبي القصة الاسلامية. و بالرغم من ان قصص القرآن تعتبر مواعظ في مجال التربية ولا تشير الى تعليم المعرفات المجردة من الخطوط إلا قليلاً، لكنها تؤثر على الشخص الذي يحصل على التواضع اللازم من خلال مقارنة حواسه وذهنيته المحدودة والنسبية مع الوجود المجهول واللامحدود.

يقول (بلانك)؛ «**كتبوا على باب معبد العلم: ان من لاايمان له يجب ان لايضع قدمه خارجاً**»[2].

فلو كان هذا الفيلسوف المؤمن غير المسلم مخاطباً من قبل القصة الاسلامية، لكان ينجح لا في بناء نفسه فحسب، بل في الحصول على نظريات جديدة.

وعلاوة على (بلانك) و(انشتاين) وغيرهما فان الفيزياء النظرية ترى ان النجاحات التي حققتها جاءت نتيجةً لايمان محققيها بالغيب.

بديهي ان اولئك الاشخاص هم افضل مخاطبي القصة الاسلامية من الاشخاص المسلمين اسماً لكنهم يفتقرون الى الخصائص اللازمة لادراك المواعظ في القصص الاسلامية والاعتقاد بها.

وهنا يلزم القول ان المخاطبين الثانويين، أي اتباع المذاهب الأخرى الصادقين غير الواعين يستفيدون من القصص القرآنية بصورتين؛ الأولى الاستفادة من القصص التي تطرح المسائل العقائدية بوضوح وتتميز بالجاذبية

١ــ لانرى اية ضرورة لكي نذكرهنامن جديد جميع خصائص القصص القرآنية والاشخاص الذين تعنيهم هذه القصص.

٢ــ راجع كتاب: (الى اين يسير العلم).

والمحتوى الجيد[1] والثانية بشكل قصص تنتقد افكارهم.

إنَّ قصصاً كثيرة من القرآن تخاطب غير المسلمين وتتحدث اليهم، وترجع بعض هذه القصص الى ماضيهم، مثلاً: «يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم...».

واليوم فان نقد الأفكار الباطلة باشكالها الفنية والأدبية، يؤدي الى إعادة المنحرفين من الطريق الذي ساروا فيه. ونستطيع ان نقول بان اكثر المنحرفين الذين يؤمنون بالمذاهب الانحرافية والالحادية والالتقاطية قد انحرفوا على يد الأدب والفن. ولذا يلزم الاستفادة بشكل ايجابي من هذه الجاذبيات الفطرية والهبات الإلهية التي هي من اختصاص المسلمين.

إنَّ النقد لايؤثر على المنحرفين والمعتنقين للعقائد الأخرى فحسب، بل يزيد من مستوى وعي المسلمين وكافة مستضعفي العالم تمهيداً للحد من انتشار العقائد الخادعة بين هؤلاء.

٣ــ مستضعفو العالم:

ويمكن الى جانب المسلمين اعتبار جميع المستضعفين من عداد الذين تخاطبهم القصص القرآنية (لكن كيفية استفادة المسلمين الذين يتكلمون باللغة العربية أو الهندية أو بأية لغة أخرى من هذه القصص هي مسألة ترجع الى مسألة اللغة الثانية للشعوب وكيفية العبور من الأسوار المرتفعة والمؤسرة التي اوجدتها القوى الاستكبارية)[2].

ونتيجة لانتشار (الفلسفة الأوهانية) و بعض الاستدلالات الأخرى من مثل: ان الله يخاطب جميع الناس في القرآن الكريم «يا أيُّها الناس» لذلك يحتمل ان يستنبط البعض و يقول مع نفسه؛ بصورة عامة ان مخاطب القصة الاسلامية هو الانسان.

وللرد على هذا الكلام يلزم القول بان الله يخاطب الانسان في جميع الحالات لكنه في ذات الوقت يصرح بان اكثر هؤلاء لايعقلون[3]. كما وانه في حالات أخرى يخص بكلامه فئة

١ــ كان اكثر الكفار في عصر صدر الاسلام يعلنون اسلامهم نتيجةً لسماعهم آيات قرآنية تتلى عليهم بصوت واداء رائعين الى جانب محتواها العميق. ولذلك كان الكفار المعاندون يفتعلون الضجيج و يصمون آذانهم باصابعهم و يشجعون الآخرين على نفس العمل ليكونوا بعيدين عن تأثير جاذبيات القرآن.

٢ــ من المسائل التي أوجدها الاستعمار من خلال اعتبار اللغة الانجليزية لغة الشعوب، هي مسألة الحيلولة دون انتشار العقيدة الإلهية بين مستضعفي العالم. ولهذا السبب فاننا نؤكد بان اللغة العربية ــ لكونها لغة القرآن ــ يجب ان تطرح بمثابة لغة اساسية للعالم الاسلامي كله.

يقول سبحانه وتعالى في بداية سورة يوسف و بالضبط قبل آية «نحن نقصُّ عليك احسن القصص»: (إنَّا أنزلناهُ قُرآناً عربياً».

ورغم ان سورة يوسف بآياتها البالغ عددها (١١١) آية تختص بيوسف (ع) فان تأكيد الباري سبحانه وتعالى على فلسفة عربية القرآن في هذه القصة يستحق ــ حقاً ــ المطالعة والتأمل.

٣ــ إنَّ كلمة (اكثر) المتكررة في أغلب الآيات القرآنية لها خصوصيات سلبية مثل: «اكثرهم لايؤمنون» و «اكثرهم لايعقلون» في حين يرى القرآن ان البعض القليل قد هدى؛ وقليل من عبادي الشكور.

خاصة الا وهي «اولو الألباب». وهذا يعني الاهتمام بالانسانية بشكل خاص[1].

إذن يتوجب على كاتب القصة الاسلامية الذي يتميز ــ بلاشك ــ بقدرة كلامية ضعيفة للغاية مقابل القدرة المطلقة لله، ان لايضيع وقته و يعرف منذ البداية لأي اشخاص يكتب. فلو كان كلام الله يؤثر على بعض الناس فقط فاذا سيكون تأثير كلام كاتب القصة الاسلامية بوجود كل هذا النقص؟

مصادر اكتشاف معايير نقد القصة الاسلامية:

يشكل النقد اصلاً هاماً في عملية تحديد الخطوط الأساسية للفن أو الأدب الاسلامي. فاين يجب ان نبحث عن معايير القصة الاسلامية؟

نحن نعلم انه لولم يكن هناك معيار اسلامي فلن يكون للنقد وجود حينذاك . كما ان مواصلة الانتاج تحت عنوان الأدب الاسلامي سيلاقي صعوبات جمّة. فكيف يمكن الحصول على هذه المعايير؟

الجواب: من المصادر التالية:

١ــ القرآن:

إنّ اجراء دراسة دقيقة حول القصص القرآنية ستسلحنا ــ بدون شك ــ بمعايير نستفيد منها في بدء ابداعاتنا الأدبية. لكن هذه الدراسة لن تكون مثمرة مالم يرافقها انتاج ادبي. اضافة الى ذلك ان المراجعات المتكررة والتأملات الجديدة اثناء الانتاج ستضع امامنا معايير جديدة.

٢ــ دراسة المصاديق:

في بعض الأحيان يكون جزء ممّا يسمى بأدب المسلمين ذا مصاديق اسلامية نتيجةً للتأثر بالعقيدة الاسلامية عن وعي أم من غير وعي. وعلى هذا الأساس فان دراسة هذه النماذج ستزودنا ببعض المعايير التي يمكن على اساسها ان نوجد نماذج جديدة، وندرس المصاديق من جديد، ونقارنها مع قصص القرآن، وندرك الاختلافات التي نعيها فطرياً، ونستخدمها كمعايير جديدة للحصول على مصاديق جديدة.

وأدب المسلمين خليط من الأدب القومي والرسالي. ويمكن من خلال الدقة فصل خصائصه الرسالية و وضع النماذج الى جانب بعضها وتحديد الخطوط الأساسية.

وطبيعي ان تحقيق النجاح في هذا الطريق يستلزم الوقت والعمل الدائب في مجال الانتاج والتحقيق.

اسباب الخلط بين القصة الاسلامية وقصص المسلمين:

ليس المستشرقون وحدهم بل ان اكثر العلماء والناس المسلمين لم يميزوابين ادب المسلمين والأدب الاسلامي. ويحتمل ان يعزى هذا الأمر

١ــ سورة يوسف، الآية ١١١: لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب.

الى الواسطة القائمة بينهم وبين الأدب الاسلامي.

فالمجتمعات المعاصرة ترى ان الأفعال التي يقوم بها بعض الأشخاص باسم الاسلام هي افعال يصرح بها الاسلام، وتنتقد منذ أمدٍ طويل بعض المسائل الخرافية التي تتصورها تابعة للاسلام، بالضبط كما كان الحال في ايران، لكن الثورة الاسلامية الايرانية احدثت تحولاً عظيماً وجذرياً في جهة تعريف الوجه الحقيقي للاسلام.

والفن والأدب الاسلاميان كذلك ، فطالما لايطرحان بشكل صحيح فانها سوف لن يميزا عن فن وأدب الشعوب الاسلامية.

اما العوامل التي تؤدي الى الخلط بين الأدب الاسلامي وأدب المسلمين فانها باعتقادنا تتكون من:

أولاً: عدم وجود نماذج كاملة ومستقلة ورائعة من الأدب الاسلامي لتكون أُسوةً، وليتم مقارنتها مع أدب المسلمين.

ثانياً: اختلاط الثقافة الاسلامية مع ثقافة الشعوب المسلمة بشكل التقاطي (ولهذا السبب نشاهد اليوم فناً وأدباً قوميين بلون وطابع اسلامي).

ثالثاً: عدم توفر نقد صحيح لتقييم الأدب الاسلامي الأصيل وذلك لانعدام المعايير الاسلامية اللازمة لمثل تلك التقييمات.

مجالات كتابة القصة الاسلامية:

يمكن ان يدّعي المعارضون للقصص الاسلامية بان المسائل المطروحة تمثل قيوداً امام حرية التصور والعمل، أو ان اكثر الحوادث لا تستحق التبدل الى قصص. في حين اننا ذكرنا مسبقاً بان مواضيع القصة الاسلامية ليست محدودة بل يتطلب على كاتب القصة وقبل أي شيء آخر ان يصحح نظرته للكون وظواهره.

اضافة الى ذلك هناك خطر من ان يرى الفنان أو الأديب المسلم نفسه مقيداً في الاطارات الضيّقة كلما اتضح له الاطار الخاص بالفن والأدب الاسلاميين، ويحس بعد فترة بأن جميع المواضيع القابلة للطرح في هذا الاطار قد طرحت ولم تبقَ هناك مسألة للتحدث عنها.

والتوضيحات التي أُعطيت لحد الآن قد تكون كافية للحدمن التفكير الخاطئ. فالفن والأدب الاسلاميان يستقيان مواضيعهما من الوجود. وكل ظاهرة من ظواهره مع الزاوية التي ينظر منها الأديب أو الفنان لتلك الظواهر تشكل بمجموعها موضوع القصة الاسلامية. كما وان تحديد خطوط الفن والأدب الاسلاميين يساعد الفنان والأديب المسلم لرؤية الواقع بشكل صحيح.

إنَّ الفنانين والادباء المسلمين يهدّمون الاطارات التي اوجدتها اذهانهم واذهان البشر وذلك من خلال معرفة خصائص الفن والأدب الاسلاميين، و يسعون في اطار الوجود للكشف والخلاقية والابداع. و بعبارة ثانية ان القصة الاسلامية، ليست عملية تتمثل باعادة تدوين القصص القديمة. ومع ان هذا يشمل جزءاً صغيراً من مجالات الانتاج لكنه لايعتبر جميعها.

وايضاً يتطلب معرفة الاختلاف بين الرؤية الاسلامية والرؤية التقليدية التي لا تنظر إلا الى الوراء.

وقد يمكن اجراء تعديل على قصص القرآن وجعلها غير اسلامية. على سبيل المثال ان تنتخب قصة من القرآن وتطرح كما هي عليه في الظاهر، ولكن تضاف الى القصة مسألة ثانوية و يتم التركيز عليها بحيث تتبدل القصة التوحيدية الاسلامية في القرآن الى قصة مشركة في كتاب آخر.

مشاكل المرحلة الانتقالية:

١ــ النقص في مجال الانتاج

لكي تتحول قصص المسلمين الى قصص اسلامية، يلزم تخطي مرحلة انتقالية.... مرحلة ترافقها تحقيقات وتجارب عديدة. وهذه المرحلة الجديدة هي مثل اي طريق حديث آخر توجد بعض المشاكل امام الأدباء.... مشاكل ترجع من جهة الى النظرة الكونية للأديب، اي الانتقال من تفكير مادي أو التقاطي الى تفكير إلهي، وترجع من جهة ثانية الى القوالب التي يستخدمها الأديب، اي الانتقال من القوالب النسبية وذات البعد الواحد الى القوالب المطلقة والمتعددة الأبعاد.

ونحن نشعر بالقلق من ان تؤثر مشاكل المرحلة الانتقالية الخاصة بتحول قصص المسلمين الى قصص اسلامية على المسلمين وتجعلهم يتخلفون عن المسيرة.

وعندما يصمم كاتب ما لخلق آثار ادبية قيّمة فانه يلقي الأشكال السابقة بعيداً، لكنه يعجز من الإتيان باشكال جميلة ومنطقية وحديثة، ثم يعيش ازمة شديدة. وكذلك الحال بالنسبة للآداب والفنون الأخرى. على سبيل المثال ان احد الرسامين يريد تبيين تواجد القوى الغيبية في الحرب. فهو من جهة يحس بهذه المسألة، لكنه من جهة أخرى يعطي لموضوعه طابعاً مادياً ــ انسانياً. مثلاً انه يرسم فارساً يقف الى جانب حرس الثورة الاسلامية بحيث يتلابس الأمر على الناظر و يشعر بان المسألة لاأساس لها من الصحة، أو ان الرسام يعيش في الخيال.

ب ــ التشابه مع الخرافات

وفي نفس الوقت فان الطرح الرديء للمسائل الجديدة بما فيها (المسائل غير المادية) قد يجعل الناس لايؤمنون بتلك المسائل، خاصة عندما يشتد التشابه بين الطرح الرديء لهذه العقائد مع العقائد الخرافية البالية. فعلى سبيل المثال ان مسألة (الجن والملائكة) التي يشير اليها القرآن الكريم بصراحة، كانت في السابق تطرح بشكل خرافي و يستقبلها الناس. لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: الى اين يسير هذا الخط الفكري وهذا النوع من الأدب والفن؟ هل انه عودة الى المراحل الخرافية أم العودة الى القرآن؟

ج ــ اللجوء الى الانتاج المحض

إنَّ التخصص في الانتاج الأدبي والتربية الأدبية والتحقيق الأدبي في هذا المجال ينجم عن

بعض الأضرار. ولتحديد الخطوط الرئيسية للفن الاسلامي سواء في النظرية أو التطبيق يلزم وجود أدباء يكونون من اهل التحقيق و يضعون ذهنياتهم ــ عملياً ــ على محك الاختبار. لكن ومع بالغ الأسف ان اللجوء الى الانتاج المحض من جانب الأدباء وايضاً لجوء المحققين الى البحوث البعيدة عن مرحلة العمل سوف يزيل امكانية تحديد الخطوط القابلة للثقة. ويجب على الأدباء في هذا الطريق ان يقدموا اضافة الى الانتاج الأدبي والبحث عن حدود التقنية واكتشافها، على التحقيق والتعليم والتعلم.

ورغم ان استفادة الأدباء من تحقيقات المحققين ستكون مثمرة، لكن لما كان البحث الخاص بالأدب الاسلامي ليس بحثاً تاريخياً ويحتاج الى تجارب حديثة، لذلك فان الأديب والمحقق سيكون كل واحد منهما عموداً من العمودين الرئيسيين لهذا البناء. واذا انعدم احد هذين العمودين فان البناء سيبقى ناقصاً.

والسؤال المطروح هو؛ في اي مجالات يجب ان يحقق الأديب؟

الجواب: في المجالات التالية؛

١ــ التحقيق في القرآن

إنَّ إقامة علاقة مباشرة بالقرآن الكريم والتعرف عليه سواء من بعده الفلسفي العقائدي أو من بعده الجمالي يعمل على تنوير ذهن الأديب. بالضبط كما فعل مولوي[1] وحافظ[2] وامثالهما الذين منحوا نتاجاتهم عظمة وروعة من خلال الارتباط بمثل هذا الفيض الى درجة وكأنَّ أدب هؤلاء يبدو نوعاً من التفسير لتلك الآيات.

وبما اننا لانملك شيئاً افضل من كلام الله (الوحي)، ولما كانت غاية كل أدب أو فن تتمثل بايصال فكرة ما، فن الأفضل للأدب الاسلامي ان يسعى بكل مالديه لاراءة فحوى كلام الباري سبحانه وتعالى.

٢ــ الرؤية الصحيحة للوقائع

لايوجد ــ خلافاً لما يقوله الماديون ــ عالم مادي محض. واذا كانت النظرة الكونية للانسان غير مقيدة ونظر الأديب أو الفنان الى الواقع بوضوح فانه سيرى ــ لامحالة ــ الواقع المطلوب.

٣ــ التحقيق فيما يعرف بالأدب الاسلامي:

انَّ اجراء دراسات في بعض المجالات، مثلاً في مجال الشعر وفن الخطابة والكلام وخصائص كتاب نهج البلاغة، والتعرف على القوالب المستخدمة ونوعية نظرتها ومدى تأثرها بالاسلام، والعناصر الجمالية التي استخدمتها... كل هذه الأشياء تشكل دعماً كبيراً للأدباء.

وقد اشرنا الى هذه المسألة في موضوع اسلوب طرح القصة الاسلامية.

وختاماً نقول اننا سعينا من بحثنا هذا لتعيين الحد الفاصل بين القصة الاسلامية وقصص المسلمين وذلك للتمييز بينهما.

---

١ و٢ــ اثنان من كبار الشعراء الايرانيين.

نشرنا في الاعداد السابقة بعض المواضيع التي القيت في المؤتمر الأول للفكر الاسلامي الذي انعقد بطهران في الفترة من ٢٢ الى ٢٤ ربيع الثاني ١٤٠٣ هـ .ق.

ونقدم فيما يلي موضوعين:

حول خصائص الامة الاسلامية

الاستاذ محمد النخعي / ماليزيا

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته...

الحمد لله القائل: (ولقد بعثنا في كلّ أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وأشهد ألا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أنّ محمداً عبده و رسوله. اللهم صلّ على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه السائرين على نهجه ومن دعا بدعوته الى يوم الدين.

يُسعدني كل السعادة أن أقف أمامكم في هذه اللحظات السعيدة التي نجتمع فيها للاحتفال بذكرى مولد الجمهورية الاسلامية التي نعتزها. ذكرى النصر الذي حققه الشعب المسلم في ايران.

أتنهز هذه الفرصة الثمينة لأقدم أجمل التهاني الى الجمهورية الاسلامية في ايران شعباً وحكومةً على هذا النصر العظيم، هذا النصر الذي حققه المسلمون في ايران، بعد أن بذلوا جهوداً جبارة لتحقيقه، وقدموا للاسلام أرواح شهدائهم ودماء أبنائهم، وكنت حينما نستجمد في ذاكرتي تلك التضحية الغالية التي قدمها الشعب المسلم في ايران أحسُّ انني لم أجد في شفتي ما أنطق به سوى التحية المباركة لهذا الشعب المؤمن المجاهد، والتحية للامام القائد الذي استطاع بقيادته الحكيمة ونفحاته الروحانية وشخصيته الفذة وتمسكه

بالهداية الربانية والسنة المحمدية، أن يتحدى أعداء الاسلام وفي مقدمتهم امريكا وعملاؤها، و يرفع راية الاسلام عاليةً في سماء هذه الأرض بعد أن طهرت من أدران الشرك والطغيان والفساد بدم الشهداء والمعوقين. تحيةً لك أيها القائد العظيم، تحية لكم أيها العلماء المجاهدون، يامن نصرتم الاسلام. وتحية للذين بذلوا أرواحهم في سبيل الله. تحية لكم أيها المجاهدون المرابطون في خطوط النار. تحية للنفائحين قلوبهم و يقبلون الحق و يدعون اليه. تحية للمناضلين ضد الطغيان والطغاة، وضد الظالمين وأعداء الانسانية وضد المشركين المنافقين. تحية للشعب المسلم المجاهد في ايران.مرة اخرى.الذي أقرَّ بالشهادتين على أنفسها بعد تمكنه من تحرير الأراضي الاسلامية والمجتمع الاسلامي من الإستعمار والطغاة والمفسدين في الأرض. الشهادتان اللتان هما الأساس في بناء المجتمع الاسلامي وشخصية أفراده.

أيها الاخوة، اذا كان واقع المجتمع الاسلامي اليوم يخالف المواصفات الاسلامية للمجتمع البشري فان ذلك يرجع الى عدم رسوخ هذا الأساس نتيجة عدم الإقرار بالشهادتين على تمامها قولاً وعملاً واعتقاداً. وكانت الشهادتان منبعين للتصور الاسلامي عن الحياة، وقاعدة تطبيق منهجه في الواقع واصول انطلاق الحركات الاسلامية نحو بناء المجتمع الاسلامي و شخصية أفراده، الا ان مجتمع المسلمين المعاصر اتبع نفس هذا المنبع وانحرف عن هذه القاعدة والاصول باستثناء الجمهورية الاسلامية في ايران التي أعلن قائدها بارادة الشعب المسلم في ايران، أعلن الى العالم أجمع ان الاسلام هو الاساس وهوالقاعدة والاصول في بناء الدولة والمجتمع في هذه البقعة من الأرض.

انّ أهم المعاني التي تضمنها شهادة: أن لا إله إلاّ الله هي توحيد الربوبية ورفض العبودية لغير الله، ولقد حصل في المجتمع الاسلامي المعاصر الإنفكاك والإنفصال في فهم هذه المعاني وفي تطبيقها في واقع حياتهم بل وحتى الإيمان بهذه المعاني كلها.

لقد انتشرت النزعة الفردية في المجتمع الاسلامي المعاصر، وضاع الايمان بقوة التركيب للقيم الاجتماعية وهي القوة التي تؤلف قلوب أفراد المجتمع الاسلامي الاول وتركب القيم لهذا المجتمع.

ان هذه المعاني لايتناولها المجتمع الاسلامي المعاصر الإعلى شكل فلسفة عقلية باردة، وما زال المجتمع الاسلامي متأثراً بعصر الركود والجمود في فهم هذه المعاني، ولقد استطاع العلماء في ايران إعادة تصور معاني: (لا إله إلا الله) الى التصور الحركي وأساس لعملية الهدم والبناء والتركيب في المجتمع الاسلامي، كما يطرحها الاسلام في فجره الأول، وتطرحها الرسالات الإلهية في التاريخ. إلا ان التصور في عصر الركود والجمود لمفاهيم كلمة التوحيد لايزال يسيطر على عموم مجتمع المسلمين المعاصر، وزيادة على ذلك لقد انحرف المجتمع الاسلامي عن التصور الحقيقي للشهادتين بتسلط المفاهيم الغربية على عقول ابنائه.

ان الركيزة في فهم الشهادة: (لا إله إلا الله) في عصر الجمود والركود تتجه نحو توحيد الربوبية ونحو ذات الله وأفعاله وصفاته فقط. وقليلاً ما نجد في كتب عصر الجمود والركود التركيز على الجوانب العبودية، ــ أي ربط العبودية لغير الله ــ و مقارعة الطبقة المسيطرة المقتدرة في المجتمع الحاكم عليه بنظام غير نظام الله والداعي الى العبادة لغير الله. فالانفصال القائم بين معاني الربوبية والالوهية في

واقع المجتمع الاسلامي المعاصر هوالعامل الرئيس لانتشار نزعة الفردية في المجتمع الاسلامي المعاصر.

وانطلاقاً من كلمة الشهادة ومانتضمنها من المعاني يمكن أن نقول: ان مجتمع المسلمين المعاصر لم يقرّ بعد بالشهادتين على تمامها، وانه لايتم اقرارهما إلا بعد تحقيق العبودية لله وحده في واقع حياتهم، وقيامهم بمقارعة الظالمين والطغاة والقضاء على الشرك والطغيان وتحرير الأراضي الاسلامية والمجتمع الاسلامي من النظم الاجتماعية الكافرة الفاسدة.

أيها الاخوة لقد قطعت الجمهورية الاسلامية في ايران شوطاً بعيداً في محاربة الطغاة والمفسدين والمستكبرين، والقضاء على النظم الكافرة الفاسدة لإعلاء: (كلمةالله هي العليا) وعلى المسلمين أن يعترفوا بفضل العلماء المجاهدين في ايران وان يستخدوهم قدوة في النضال وان يقبلوا الامام الخميني قائداً للأمة الاسلامية في هذا العصر، وعليهم أن يستجيبوا لندائه لقطع أيادي المستكبرين الطغاة، ومحاربة الظلم والاستبداد، والقتال في سبيل الله صفاً واحداً كأنهم بنيان مرصوص. ولقد قال القائد مراراً وقدّم نداءه للمسلمين أن ينحدوا لمقارعة الكفار ولقطع أيادي المستكبرين الطغاة.

أقول قولي هذا وأستغفرالله لي ولكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خصائص الأمة الاسلامية

الشيخ محمد نوري ـ السنغال

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله وآله، وعلى ارواح الشهداء الذين بذلوا ارواحهم ليحيا الاسلام ولتحيا الجمهورية الاسلامية ولتبعث الأمة الاسلامية.

والسلام على جنودنا الاشاوس الذين يرابطون في الجبهات لمجابهة الكفر والفسوق لتبعث الامة الاسلامية من جديد. والسلام والتحية على العلماء الأفاضل وعلى الشعب الايراني المسلم الابي بقيادة الامام المعظم الذي انجزلنا هذا النصر العظيم، وأعاد الينا الأمل وفتح لنا طريق النجاح والانتصار.

وبعد، فان البحث في خصائص الأمة الاسلامية في الوقت الحاضر يعتبر أهم موضوع يمكن أنْ يتناوله المسلمون و يتدارسوه، لانهم بهذا سيرون كيف انهم ابتعدوا عن هداية الله، ولماذا؟ وكذلك سيرون الطريق الصحيح، الا اني ساعبر عن سعة الموضوع بكلمات عن الوضع الراهن في العالم الاسلامي ثم أقارن الوضع السائد في العالم الاسلامي بالمواصفات التي ذكرها المولى عزّوجل في كتابه العزيز كمواصفات للامة الاسلامية، فأقول؛ ان هذه المهازل المتتالية التي يعيشها العالم الاسلامي من أمدٍ بعيد لما تدمى له القلوب وتدمع العيون ولكنها في الحقيقة ليست إلا نتيجة حتمية لأوضاعنا الفاسدة.

فلي كل بلد نجد شعوباً ضعيفة مستضعفة

مغلوبة على أمرها يتسلط عليها حكام مفروضون كالدمى تُحركُ من بعيد وبطرف خفي لتلعب ادواراً مصطنعة، كما نجد اقتصاديات مهملة تنهبها شركات اجنبية جشعة شرسة حاقدة وكثيراً ماتكون هذه الشركات دولة في دولة.

مؤامرات صحفية دخيلة أجنبية فاسدة تتميز بالانحلال والفجور، وتربية وطنية لا تُربّي ولا تُزكي بل تفسد الاخلاق وتخرب العقول، وتشيع الميوعة والمجون. ومجتمعات متهلهلة، مفككة الأسر، مشردة النسل، مشاعة الحرم، مباحة الأعراض، مداسة المقدسات. والسياسات مبنية على التبعية العمياء والتحالف مع الامبريالية المعادية في ذل و خضوع ضد مصالح البلاد والشعوب وقيمهم. وحيثما توجهت ترى دويلات لا تعرف الوفاق أو لا تتفق إلا على حساب الحق والعدل. مملكات هنا و هناك ما انطلقت الا زوراً وبهتاناً، وماورثت شعوبها الا الحسرة والندم. امارات لا تأتمر إلا من أهل الإثم والشر. جمهوريات ما اجتمعت أو تجمهرت الا للفشل والخذلان وخيبة الأمل. والجامعة العربية لا تجمع العرب إلا على الشقاق والنفاق والتملق والهوان، ونظيرتها منظمة الوحدة الافريقية التي لم تحقق الا تفكيك شمل الافارقة وابعاد الشعوب الافريقية بعضها عن البعض.

ان موقف الدول العربية من الجمهورية الاسلامية الايرانية وتحيزها يسمى بالمؤتمر الاسلامي الذي ليس له من الإسلام إلا الاسم، وايضاً موقف البلدان العربية من أحداث بيروت الأخيرة وما تبعها من الفضائح كمؤتمر فاس الخياني، كل هذه الحوادث المؤلمة كافية لكي تشكل تحقيقاً وتجسيماً للزيف والمبادىء المستوردة وعجزها ـ عجز هذه المبادئ ـ عن تحقيق شيء غير الانهزام والعار وخيبة الأمل للعرب، ولبعد المتشدقين بالقومية العربية عن الايمان بها والاخلاص لها.

ماذا يعني اخراج نايجيريا في الاسبوع الماضي الملايين من الزنوج الافارقة بوحشية وصلافة تعرفونها بحجة انهم اجانب؟ أليس هذا دليلاً قاطعاً على عجز القادة السياسيين الافارقة وفشل آيديولوجياتهم بمافيها الآيديولوجية الزنجية عن تحقيق الوحدة الافريقية نفس الفشل والعجز على مستوى التجمعات والمجموعات الفرعية أوالاقليمية؟ فلا يقدر احد ان يسجل لاي قطاع في اي بلد او جماعة أو منظمة ولا في أي مستوى من مستويات البلدان الاسلامية الا الإخفاق والفشل الذريع وخيبة الأمل.

والسؤال عن سبر هذه الاخفاقات الشنيعة المتكررة يرجع للتاريخ. التاريخ الذي لم يحفظ للعرب حتى مجداً واحداً، ولا رقياً للعرب إلا تحت راية الاسلام، لا قبل الاسلام حيث كانت البلاد العربية مستعمرة ذليلة مسخرة لدولتين عظيمتين اذ ذاك هما الفرس والروم، ولا بعد اعتناقهم لما يسمونها بالقومية العربية وتخليهم اي تخلي العرب عن الاسلام الصحيح فلم ينج العرب من حالة الاستعباد والاستعمار الباقين الا بفضل الاسلام، تجد كل الحركات التحررية سواء في مصر أوفي الجزائر أو في المغرب وفي كل الاصقاع بعامل المسلمين وتضحياتهم وقيادتهم ولكن بكل اسف عند ما يتم الاستقلال يدبرون وجوههم عن الاسلام.

ولولا خيانة العرب للامانة الالهية والارث المحمدي لما كانوا في هذه الحالة التي لايحسدهم عليها احد اليوم.

اخواني تذكروا ما كان موقفهم يوم ذبح اخواننا اللبنانيين والفلسطينيين في بيروت. ونفس الشيء ما حدث للمسلمين الافارقة، فقبل وصول الاسلام الى قارتنا لم تكن هناك الا قبائل متشتتة متنازعة متقاتلة. وبفضله نشأت في (افريقيا الثورة) دول ذات سيادة محترمة وثقافات وحضارات مزدهرة وذات قيمة كلها في افريقيا، ولباسها والفن المعماري المسمى بالسوداني وكذلك لباس الزنجبين حتى الوثنيين منهم متأثرة كلها تأثرا ملموسا ومحمولا بالثقافة والحضارة الاسلاميتين بل الحق يقال ان للاسلام وحده الفضل في وجود الكثير منها كما له الفضل ايضا في وجود مقاومة مسلحة وغير مسلحة دامت عشرات السنين ضد الاحتلال الصليبي الاوربي وكذلك في وجود الحركات التحررية الاولى. إنَّ جميع الاحزاب الافريقية كانت تطالب بالمساواة مع الفرنسيين بالحقوق ونعتقد ان هذا هو كل شيء.لكننا اليوم متسلحون بسلاح الايمان وكنا من اوائل الذين دعوا الشعب الى ضرورة مقاومة الاستعمار. والوحدة الافريقية التي عجز عن تحقيقها سياسيون أو متلهفون على الموائد الغربية على الرغم من وحدة الوسائل الآن والدواعي لهذه الوحدة، قد حققها الاسلام في الماضي بيسر وبدون ضجة.

لقد كان كل واحد من اقطار غانا ومالي والسنغال الاسلامية تحكم في امن ورخاء واستقرار وازدهار، وهكذا جل اقطار افريقيا الغربية، وكان المسافر في ظل الحكم الاسلامي يخرج من اقصى غرب افريقيا الى مكة المكرمة وماوراءها من البلدان بدون جواز سفر أو بدون تأشيرة الدخول. وهذا الرد التاريخي القاطع يغنيني ايها الاخوة عن الاطناب في الاجابة عن السؤال المتبادر الى الذهن وهو: ما العمل؟ وهو كذلك الجزء الاول لموضوعنا الذي اعتقد اني لم اوفه حقه ولكن اقول:

أولاً: ليست هناك حاجة للاطالة، فخصائص الأمة الاسلامية ـ فضلا عن اطالة البحث والتحليل فيها ـ فانها مبينة بياناً وافياً في كتاب الله الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. واذا كنا نريد ان نعرف مزايا المجتمع الاسلامي في عهده(ص) في الصدر الاول للاسلام، فالاوصاف والخصائص التي ذكرها العليم الخبير في كتابه العزيز وصفاً للمؤمنين والمتقين امرا اياهم للتحلي بها وكذلك ما يناقضها من السلوك، والتصرفات التي وردت ايضاً في القرآن انه يعمه.

كل هذا يعطينا الصورة الكاملة التامة الواضحة للامة الاسلامية، بل والشروط التي بها تستحق الامة الاسلامية بهذا النعت ونستطيع الاحتفال بها. وبما اني لست عالماً فمن الأحسن والأحوط ان أترك البحث المنهجي والتحليلات الفلسفية للسادة العلماء واكتفي فقط بذكر بعض هذه الآيات الكريمة حسب تسلسل ورودها في خاطري الضعيف: (وَعَدَ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلوا الصَّالِحاتِ لَيَستَخلِفَنَّهُمْ في الأَرضِ كَما استَخلَفَ الَّذينَ مِن قَبلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُم دينَهُمُ الَّذِي ارتَضىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِن بَعدِ خَوفِهِمْ أَمنًا يَعبُدونَني لا يُشرِكونَ بي شَيئًا وَمَن كَفَرَ بَعدَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الفاسِقونَ) النور ـ ٥٥ ـ.

اعتقد ان قوله تعالى: «يَعبُدونَني لا يُشرِكونَ بي شَيئًا وَمَن كَفَرَ بَعدَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الفاسِقونَ) يشرح أو يبين لنا لماذا نحن في هذه الحالة التي ذكرتها آنفاً.

هكذا وعدنا الله، قد انجز وعده لسلفنا الصالح، الاستخلاف في الارض، وتمكين ديننا، وتبديل خوفنا امناً بشرط ان نخلص له بالعبادة والعبودية وان لانشرك به شيئاً. لكن ماذا فعلنا؟ الا يعبد كثير من قادتنا الشيطان الاكبر؟. الا يعبد قادتنا

اما الشيطان الاكبر، أو الاحمر و يستغلونا بغطاء الشيوعية أو الاشتراكية أو الامبريالية أو الليبرالية؟

قال تعالى يصف الأمة الاسلامية: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ والَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ، تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ) الفتح ـ ٢٩ـ.

وقد ورد في نفس المعنى في آية اخرى من سورة المائدة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى المُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ) المائدة ـ ٥٤ـ. واننا نعتقد بان الايرانيين بامامة الامام الخميني قد حققوا ذلك.

وهكذا نرى من خصائص الأمة المحمدية ان تكون شديدة قاسية على الكفار بالجهاد المستمر. يقول تعالى:

«ليغيظ بهم الكفار». ونكون ليني الجانب رحماء فيما بيننا وهذا هوالمقصود من قوله(ص): (المُؤْمِنُ هَيِّنٌ لَيِّنٌ) لا كما يراه ناظرو الاسلام الامريكي والدعاة الى التعاون المسيحي الاسلامي في حين يكفرون جزءاً كبيراً من المسلمين و يضربون الحجاج حول بيت الله الحرام، وذلك خوفاً على عروشهم المنهارة. فلا امة اسلامية ـ يا اخواني ـ بدون المجاهدة بحق، والأمر بالمعروف و النهي عن المنكر؛ (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ) آل عمران ـ ١١٠ـ. وقد جاء في سورة النساء: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ) كونوا قوامين بالقسط لا بالقومية: (شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الهَوَى) النساء ـ ١٣٥ـ. و يقول(ص) في هذا المعنى: (أفضلُ الجِهادِ كلمةُ حقٍ أمامَ سُلطانٍ جائرٍ).

والاخوة الاسلامية هي وحدها المعتبرة لدى الامة الاسلامية: (إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) الحجرات ـ ١٠ـ وما سواها من القوميات والعنصريات فباطلة. و يقول الرسول(ص): (المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنيانِ يشدُّ بَعْضُه بعْضاً)، وايضا: (المسلمُ أخُ المُسلمِ لا يَظلمُه ولا يَخذلهُ)، وايضا: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ)، ثم اعلن عن المساواة بين المؤمنين فقال: (المُؤْمِنُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ)، وامرنا الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى وحرم التعاون على الاثم والعدوان مثل التعاون باسم القومية العربية ضد الثورة الايرانية: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ) المائدة ـ ٢ـ. و ينهانا الله تعالى عن التحالف والتآلف والتوادد مع اعداء ديننا فقال: (لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) المجادلة ـ ٢٢ـ، فاذن من هنا نعلم صواب شعار: (لاشرقية لا غربية). و يشدد القرآن في منع موالاة اليهود والنصارى بالخصوص، و يقول ان من طبيعتهم الاصيلة المتمكنة في نفوسهم، التحالف ضدالحق وضد الاسلام. و يبين ايضا ان الذين يوالونهم قد خرجوا من الامة الاسلامية: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ)

المائدة ـ ٥١ ـ. انا ارجو من جميع المناضلين في الحقل الاسلامي ان يتدبروا معنى هذه الآية فلقد حان الوقت لان نعرف اصدقاءنا من اعدائنا، والمسلمين من غير المسلمين، والمنافقين، وتعلمون جيداً ان المنافقين كانوا دائما اكثر خطراً على الدعوة الاسلامية، و ما دمنا نداهن أو نقول لانريد ان نحظر فلانا اوفلانا، فاننا لا نميز بين الاصدقاء والاعداء ولن نستطيع ان نتقدم. يقول تعالى: (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ) اذن فهؤلاء يدعون الى التعاون الاسلامي المسيحي او الى الاسلام الامريكي وقد رأيتم عبر هذه الآية ان الله تعالى قد حظر هذا و كذبه، فهؤلاء ليسوا منا. وعلى المسلمين ان لايثقوا بهؤلاء.

ان اليهود والنصارى غير مخلصين في دعواهم للتعاون، ولن يرضيهم شيء غير التخلي عن ديننا: (وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) البقرة ـ ١٢٠ ـ. و قد وصفهم القرآن الصادق الحكيم بانهم كفار، أعداء الله وأعداؤنا. لهذا حرم القاء المودة اليهم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ) الممتحنة ـ ١ ـ. هذا واضح، امريكا كفرت بالقرآن، وروسيا كفرت بالقرآن وكذلك كل هذه البلدان التي يدعو العلماء السعوديون الى التعاون معها. لكن على اي اساس؟ على اساس الاسلام؟ أم على اساس القرآن؟ بل ذهب القرآن الى ابعد من ذلك فحرم اتخاذ البطانة من غير المسلمين فقال جل وعلا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ، وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ) آل عمران ـ ١١٨ ـ.

كيف يخدع مسلم و هو يقرأ هذه الآيات و هذه التوجيهات؟ كيف يمكن ان ينخدع بهذه الاباطيل والافتراءات ؟

ان الانسان ـ والله ـ يتحير لماذا لم يهتد المسلمون؟ ولماذا لم يكن المسلمون اليوم على بينة مع كل هذه التوجيهات الواضحة الالهية التي لانجد مثيلا لها في اي دين أو اية فلسفة؟ لذلك يلزم على الامة الاسلامية التمسك بالايمان كحقيقة وايديولوجية وعدم الشك فيها والالتفات الى غيرها من الايديولوجيات، وملازمة الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس.

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا) الحجرات ـ ١٥ ـ أيّ أن أي اتجاه الى الماركسية أو الى كل من هذه الخرافات والنظريات، معناه الارتياب بالقرآن، الارتياب في السنة، الارتياب في الايمان بالاسلام، كماورد في الشريعة الاسلامية: (وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ) التوبة ـ ٢٠ ـ. ذلك واجب على كل مسلم ان يكون في كل لحظة مستعدا للجهاد، هذا من صفتنا و من مميزاتنا. كيف يمكننا ملك في غرب افريقيا يحاول ان يحرف معنى الجهاد و يقول الجهاد كذا وكذا؟ هذا كلام فارغ، ومن واجبات الامة الاسلامية كذلك الدفاع عن الحق حيثما كان وعن المستضعفين جميعا بغض النظر عن دينهم او جنسيتهم: «وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا) النساء ـ ٧٥ ـ و يقول: (الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ) النساء ـ ٧٦ ـ جعلنا الله من الذين يقاتلون في سبيل الله ضد الطاغوت.

الامة الاسلامية تعتصم بحبل الله وتدعو الى الاتحاد والاعتصام به؛ (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا) آل عمران ـ ١٠٣ ـ. وقال؛ (ولا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُم) الأنفال ـ ٤٦ ـ.

الامة الاسلامية لا تعرف الطبقية والطائفية؛ (الْمُؤْمِنُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ». والفضل في الامة الاسلامية لايكون الا بالعمل الصالح والتقوى، لا بالنسب والحسب: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) الحجرات ـ ١٣ ـ.

حرم الله على الأمة الاسلامية التفاخر والتنابز بالالقاب: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِن قَومٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيراً مِنهُمْ وَلا نِسَاء مِنْ نِسَاء عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيراً مِنهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ) الحجرات ـ ١١ ـ. وكذلك الأمة الاسلامية امة وسط تختار الوسط في كل شيء وتتجنب التطرف لان كل تطرف يؤدي الى تطرف مضاد: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ) البقرة ـ ١٤٣ ـ. الامة الاسلامية لا تطلب العزة الا من عند الله لان العزة لله جميعا؛ (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) المنافقون ـ ٨ ـ. وأمر الامة الاسلامية شورى بين افرادها، يتولى قيادتها من تختاره الأمة من الاكفاء؛ (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) الشورى ـ ٣٨ ـ.

إذن فلا ملكية وراثية أو عائلة تفرضها على الناس. و يقول (ص)؛ (أيّما امرىء يَؤُمّ قَوماً وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ فَعَلَيهِ لَعنَةُ اللَّهِ وَالمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجمَعِينَ) وما ذكرته من النصوص القرآنية والاحاديث النبوية لم يكن إلا دليلا على انه باستثناء الجمهورية الاسلامية الايرانية الفتية ليس في عالمنا اليوم دولة تصح تسميتها ولو مجازا بالدولة الاسلامية. بل الحق ان المدعين بها ـ اي بالصفة الاسلامية ـ والمتبجحين بالتمسك بالتعاليم الاسلامية هم ابعد الناس عنها واشد الناس عداوة لها ـ اي للامة الاسلامية ـ وللعاملين المخلصين لتحقيق الامة الاسلامية. فلنر فقط يا اخوان مواقف حراس الحرمين والاراضي المقدسة والجمهوريات المدعية انها اسلامية او دينها الاسلام من الجمهورية الاسلامية الايرانية وابنائها البررة وانصارها الذين ما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد.

فما علينا ايها الإخوة، وما على جميع المسلمين الصادقين الا ان يشمروا عن ساعد الجد و يضاعفوا الجهود باخلاص في الدفاع سراً وعلناً وفي اي مكان عن نواة الجمهورية الاسلامية التي بذرها الامام الخميني المفدى لجميع المسلمين في اراضي ايران المباركة: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) النساء ـ ٥٨ ـ (يا أيها الذين آمنوا كونوا قَوَّامِينَ بِالقِسْطِ شُهَدَاء لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا) النساء ـ ١٣٥ ـ.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شؤون اسلامية

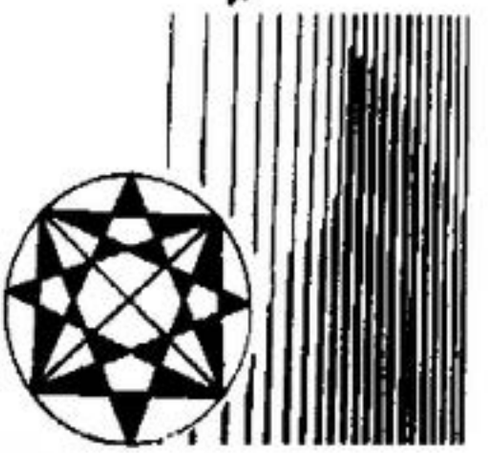

نظام بغداد والجريمة الأخيرة

عمل النظام التكريتي منذ اليوم الأول لمجيئه الى السلطة على تصفية الأحرار المعارضين له، وبدأ بنكل بافراد الشعب العراقي.

ولم يكتف نظام بغداد بدماء الشعب العراقي بل اعتدى على الشعب الايراني المسلم واراق دماء الأبرياء ووصل الحقد به الى درجة انه قتل عدداً كبيراً من الاطفال والنساء والشيوخ الساكنين في المدن المجاورة للحدود العراقية.

وبعد ان شعر النظام بالعجز امام القوات الاسلامية، وحصل اكثر من تمرد في صفوف القوات المسلحة العراقية وتصاعدت العمليات ضد مرتزقته اقدم على اعدام ست شخصيات اسلامية من عائلة المرحوم آية الله العظمى السيد محسن الحكيم.

وبهذه المناسبة وجّه الامام الخميني كلمة الى الشعب العراقي اشار فيها الى الجرائم التي ترتكب بحق المسلمين والمستضعفين في اكثر مناطق العالم، وأكد بان اعدام تلك الشخصيات ليس قضية تتعلق بعائلة المرحوم الحكيم وانما هي قضية الاسلام.

هذا وقد استنكرت الجمهورية الاسلامية حكومة وشعباً هذه الجريمة النكراء وحذرت صدام واعوانه من مغبة الاستمرار في الاعتداء على ابناء الشعبين المسلمين الايراني والعراقي.

اعتقال مجموعة من المسلمين اليوغسلافيين

أُعلن في عاصمة اقليم (البوسنة) في يوغسلافيا عن اعتقال مجموعة من المسلمين بينهم بعض الفتيات.

وكان المدعي العام للاقليم المذكور قد أعلن عن اعتقال أحد عشر شخصاً بتهمة العمل على بث التفرقة بين أبناء الشعب اليوغسلافي!

ومما تجدر الاشارة اليه ان عدد المسلمين اليوغسلافيين يصل الى أربعة ملايين، وهذه ليست المرة الأولى التي يتعرض فيها المسلمون الى ملاحقة من قبل النظام الماركسي اليوغسلافي. فقصة ذلك النظام طويلة و يكفي أن نعيد الى الأذهان المجازر التي جرت بحق المسلمين في عام ١٩٤٥ والتي راح ضحيتها مايقارب نصف مليون مسلم يوغسلافي.

تصاعد النشاطات الاسلامية في الاتحاد السوفيتي

نشرت احدى الصحف السوفيتية مقالاً حول نشاط المسلمين في جنوب الاتحاد السوفيتي، معلنة ان المسؤولين في الحكومة السوفيتية يشعرون بالقلق من هذا الأمر.

واضافت الصحيفة ان بعض التنظيمات الاسلامية بدأت في الآونة الأخيرة تحقق مزيداً من النجاح في طريق نشر العقيدة الاسلامية بين المسلمين السوفيت.

ودعا المقال، المسؤولين في الحزب الشيوعي لتصعيد التعليم الالحادي لمواجهة خطر الاسلام.

والجدير بالذكر ان المسلمين السوفيت الذين يواجهون شتى الضغوط من قبل الحكومة الماركسية المتحدة بدأوا بعدانتصار الثورة الاسلامية في ايران يصعدون من نشاطاتهم مما دفع بالسلطات السوفيتية لاتخاذ بعض الاجراءات ضدهم.

والجدير بالذكر ان هناك مادّة في الدستور السوفيتي تنص على حرية الدعوة للالحاد.

القوات الروسية تصعّد من جرائمها بحق الشعب الأفغاني المسلم

تفيد انباء الواردة من افغانستان ان أكثر مدن هذه البلاد تشهد منذ شهور معارك عنيفة بين المجاهدين الأفغان والقوات الحكومية المدعومة من قبل القوات الروسية المعتدية.

وكان المجاهدون قد نقلوا الصراع الى داخل العاصمة للتعجيل من عملية اسقاط النظام الماركسي الحاكم هناك وانهاء الغزو السوفيتي لبلادهم.

والجدير بالذكر ان الروس قاموا مؤخراً بتعزيز قواتهم في العاصمة كابول وعدد من المدن الأخرى تحسباً للحملات القادمة، كما انهم قاموا خلال الشهرين الماضيين بعدد من الغارات الجوية على الأحياء السكنية الآمنة وقتلوا عشرات الاشخاص من نساء واطفال وشيوخ.

الكتائبيون يبيعون لبنان لاسرائيل

وقّع النظام الكتائبي اتفاقية مع الصهاينة على غرار اتفاقيات كامب ديفيد بائعاً بذلك لبنان والمسلمين للعدو الصهيوني.

هذا وقد قوبلت الاتفاقية بالتنديد من جانب أكثر شعوب العالم. وفي نفس الوقت أعربت القوى الاستكبارية والأنظمة الرجعية العربية تعاطفها مع الحكومة اللبنانية وتأييدها لهذه الاتفاقية.

النظام المصري يلاحق المناضلين المسلمين

تشهد الساحة المصرية منذ مدة حملة اعتقالات واسعة للمناضلين المسلمين الذين يعملون على انهاء الغزو الاميركي والصهيوني لبلادهم واقامة حكومة اسلامية في مصر. و يواجه المسلمون في زنزانات النظام المصري أنواع التعذيب والإهانات.

الجمهورية الاسلامية تحتفل بمناسبة يوم القدس العالمي

احتفلت الجمهورية الاسلامية حكومةً وشعباً بالذكرى السنوية ليوم القدس العالمي المصادف للسادس والعشرين من شهر رمضان المبارك .

وشهدت المدن الايرانية تظاهرات ضخمة أعلن المتظاهرون خلالها عن تأييدهم لقضية الشعب الفلسطيني العادلة ونددوا بمخططات الصهاينة والأنظمة الرجعية والاستكبارين الغربي والشرقي.

هذا وأكد المتظاهرون من جديد ان القضية الفلسطينية هي قضية كل المسلمين و يتطلب العمل معاً لتحرير أرض فلسطين من دنس الغزاة الصهاينة.

وبهذه المناسبة أقيمت في أكثر دول العالم تظاهرات ومسيرات تندد بالكيان الصهيوني الغاصب واجراءاته القمعية ضد أبناء الشعب الفلسطيني المسلم، ونددت الجماهير بالامبريالية الامريكية وكافة الدول الاستكبارية الأخرى.

وفي فلسطين المحتلة خرجت الجماهير الفلسطينية الى الشوارع منددة بالنظام الصهيوني الفاشي الذي زرعته دول الاستكبار العالمي في قلب العالم الاسلامي، وناشدت دول العالم لطرد هذا النظام من الأوساط الدولية وفضح أساليبه القمعية. ونتيجةً لذلك تعرضت لهجوم الصهاينة الفاشيين، وقد أصيب عشرات الأشخاص من أبناء الشعب الفلسطيني الصامد بجروح.

التحركات الامريكية الجديدة

بعد احداث لبنان الدامية التي انتهت بغزو الصهاينة لهذا البلد، اقدمت الإدارة الامريكية على حملة تحرك واسعة على نطاق العالم الاسلامي لتتمكن بواسطة عملائها في المنطقة من امتصاص نقمة الجماهير الاسلامية الغاضبة.

هذا وتؤكد الانباء ان هناك مباحثات مكثفة بين المسؤولين الامريكيين والنظام السعودي وذلك للتنسيق معاً في هذا المجال.

وتأتي المناورات التي من المقرر ان تقيمها الامبريالية الامريكية في عدد من مناطق العالم الاسلامي كخطوة جدية لتقوية النفوذ الامريكي في البلاد الاسلامية.

القوات الاسلامية تواصل كفاحها المقدس

تشهد جبهات الحرب في كل يوم مزيداً من الانتصارات التي تحققها القوات الاسلامية ضد القوات البعثية المأجورة.

فخلال الشهر بين الماضيين أنزلت القوات الاسلامية خسائر كبيرة في تلك القوات مما أدى بالنظام العميل المتسلط على رقاب أبناء الشعب العراقي المسلم للاعتداء على بعض المناطق الحدودية بقصفه الوحشي لها بالطائرات وأنواع الأسلحة الثقيلة.

هذا، وتواصل القوات الاسلامية كفاحها المقدس لطرد العدو البعثي من ما تبقى من أراضي الجمهورية الاسلامية.

استمرار لجوء العراقيين الى الجمهورية الاسلامية

في كل يوم يصل الى الجمهورية الاسلامية بعض الأشخاص المعارضين للنظام العفلقي القائم في العراق.

والجدير بالذكر ان آلاف الأشخاص من العراقيين قد التجأوا الى الجمهورية الاسلامية منذ أنْ شنّ النظام البعثي حربه العدوانية. وقد بلغ عدد اللاجئين الى ايران من العراق خلال الشهرين الماضيين مايقارب ٧٠٠ شخص.

بريد التوحيد

ترحب مجلة التوحيد بأي انتقاد ورأي واقتراح من جانب القراء الأعزة وتبدي استعدادها للردّ على الاسئلة المطروحة عليها.

■وصلتنا رسالة معنونة الى الامام الخميني من انصار الامام في النمسا جاء في جانب منها:

•في الوقت الذي تعيش فيه الأمة الاسلامية الذكرى السنوية الثالثة لاستشهاد المرجع الاسلامي الكبير ومؤسس الحركة الاسلامية في العراق السيد الشهيد السعيد محمد باقرالصدر واخته العلوية المظلومة بنت الهدى (رض) تعاهد الله وامام العصر(عج) ونعاهدكم يا قائد الأمة ان دم الشهيد الصدر واخته الفاضلة ودماء الشهداء البررة لن تذهب هدراً، «ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون».

إنّ جندالله ماضون على الطريق للثأرمن كل الطواغيت والمتكبرين الذين يجرون وراء سراب حب السلطة وعملاء الاستعمار والصهيونية. وما الانتصارات الأخيرة لعمليات «والفجر» التي اثلجت صدورنا إلا دليلاً على عهدكم الذي عاهدتم به الله ورسوله والمؤمنين لاسقاط الحكم المفلق في العراق ونصرة الشعب العراقي المسلم من جور وظلم واضطهاد جلاوزة البعث وتحرير العراق من نير العبودية والاستعمار لاقامة الحكومة الاسلامية العادلة تحت ظل ولايتكم «ولاية الفقيه».

■ اما الأخ د. رئيس حسين فكتب البنا من فرنسا يقول:

اما بعد... فقد وصلتني مجلة التوحيد ذات الرسالة الصادقة والمضمون القيم العميق. ولكي تؤدي هذه المجلة المنيرة دورها الفعال فلا بُدّ ان تصل الى قلوب ابناء الأمة ليشاركوا فيها بقدر امكانهم و يقولوا كلمتهم عنا لغيرهم.

■ ومن تنزانيا بعث لنا الأخ سليمان عمران كلبمبلي رسالة جاء فيها:

• يسرنا ان نكتب اليكم شاكرين لكم على الخدمات الطيبة التي تقومون بها تجاه اخوانكم المسلمين ومنها؛ مجلتكم الموقرة (التوحيد) التي تحتوي على أهم الموضوعات التي تهم المسلمين في الوقت الراهن. فلا يسعنا في هذا المقام إلاّ ان نسأل الله ان يمدكم بمدده و يبارك لكم جهودكم.

■ ووصلتنا من باكستان من الأخ محمد يوسف فاروقي رسالة جاء فيها.

• رأيت مجلة التوحيد عند بعض الأخوان وقرأت بعض محتوياتها فوجدتها على مستوى عال من الناحيتين الأدبية والفكرية. اهنئكم باصدار هذه المجلة التي هي بحق من اجود المجلات.

■ ومن اميركا بعث لنا الأخ حسين جبار رسالة قال فيها:

اتقدم بالشكر الى منظمة الاعلام الاسلامي والساهرين عليها لاصدارها مجلة التوحيد التي هي بحق المجلة الاسلامية الأولى في العالم الاسلامي وذلك لمواضيعها الهادفة التي بها نستير درب المسلمين ليميزوا الحق عن الباطل.

إنّ مسلمي العالم يتطلعون الى الثورة الاسلامية العظيمة بقيادة الامام الخميني... هذه الثورة التي أسقطت عرش الطاغوت وهزت مضاجع جميع طواغيت العالم وأكدت للمسلمين ولكافة المستضعفين في العالم ان الاتحاد هوالسبيل الوحيد لإعلاء كلمة الحق وانهاء الفساد والمظالم.

وأخيراً، أدعو الباري جلّ وعلا أن يحفظ الامام الخميني وينصر جيش الاسلام على الطواغيت.

■ ومن لبنان كتب لنا الأخ خليل حمدان يقول:

• بعد اطلاعنا على مجلتكم ومجلة كل منهما (التوحيد) لفت انتباهنا عمق المعاني والقدرة على التوجيه وزرع الثقة والعزيمة في النفوس.

سلامي الى الامام الخميني قائد الأمة الاسلامية والى كل العاملين في المجلة.

ردود على رسائل القراء

■ **الأخ محمد مرتضى امباكي ـ السنغال:**

• نشكر مشاعركم تجاه الجمهورية الاسلامية ومرجع الأمة الامام الخميني وندعو لك الموفقية ونرجو منك الاستمرار في الكتابة الينا.

■ **الأخوة في مركز الشباب المسلم ـ امبركا:**

• وصلتنا رسالتكم ونرحب باقتراحكم القيم وارسلنا بعض الكتب والمجلات اليكم. ونرجو تزويدنا بكل جديد يصدر عنكم. دمتم لخدمة الاسلام والمسلمين.

■ **السيد محمد آل هاشم ـ مشهد المقدسة:**

• بعثنا لك العددين الأول والثاني من المجلة ونرجو اعلامنا بذلك ونشكر مشاعرك تجاه منظمة الاعلام الاسلامي.

■ **الأخ حبيب النجفي ـ شيراز:**

• نشكر مشاعركم تجاه المجلة والعاملين فيها. ارسلنا لك الأعداد السابقة ونرحب بكتاباتك ونأمل ان تصلنا في اقرب وقت ممكن.

■ **الأخوان: ابراهيم عبدالله، واحد ادي اندي، وحسين علي صبرا، وخليل حمدان، وعلي حوبزي، ونعمان خلبلي، وابوجبير الحباوي،**

• وصلتنا رسائلكم وبعثنا لكم الأعداد السابقة من المجلة. نرجو اعلامنا بذلك. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

■ **الأخ كمال قانصو ـ ايطاليا:**

• استلمنا رسالتك الكريمة ونشكر الله على وصول اعداد التوحيد اليك. نرجو منك يا أخي مواصلة الكتابة الينا.

■ **الأخ امين مرادي ـ طهران:**

• بارك الله بك وبامثالك من المؤمنين الصادقين. بناء على طلبكم فقد ارسلنا اليكم العددين الأول والثاني من المجلة.

التوحيد

اسلامية ـ فكرية ـ جامعة

تصدر كل شهر بين مرة

العنوان

ايران ـ طهران ـ خيابان طالقاني ـ ايرانشهر شمال كوجه هما ـ بلاك ٢ ـ

TEHRAN. IRAN

IRANSHAHR AVENUE

Koucheh Homa. Block 2

صفحة أخيرة

كفاكم أيها التجار

بقلم: أبونزار

في الوقت الذي تعيش الأمة الاسلامية محنة كبرى،
وفي الوقت الذي تتآمر كافة القوى الاستكبارية على هذه الأمة،
وفي الوقت الذي تعمل اسرائيل على احتلال جزء أكبر من العالم الاسلامي،
وفي الوقت الذي يواجه الاسلام المؤامرات تلو الأخرى،
وفي الوقت الذي تسعى اميركا لنهب خيرات العالم الاسلامي...

نعم، بوجود هذه المصائب ومصائب أُخرى، نرى أكثر المجلات التي تصدر في العالم الاسلامي تصب كامل اهتمامها بقضايا تافهة! مثلاً هناك مجلات تخصص أكثر صفحاتها للحديث عن آخر التطورات في السينما الاميركية! بينما تتحدث مثيلاتها عن الجديد في عالم الأزياء!! وعلى هذا المنوال واحدة تتصدر صفحاتها الأولى عناوين بارزة عن أسرار مطربة أو ممثلة، وتطبّل وتزمّر لتلك الأسرار وكأنها اكتشفت الحلول المناسبة لمشاكل المسلمين! وأخرى تعتب على زميلتها لماذا نشرت صورة الملحن الفلاني الخاص بها دون الحصول على إذنٍ بذلك! وواحدة تعد قُرّاءها انها ستنشر في أعدادها القادمة صوراً فريدة من نوعها للراقصة الفلانية.....!!

يا لهذه الشعوذة، ويا لهذا الفساد والإنحطاط...

كفاكم أيُّها التجار.. فزمن التخدير ولّى.. وزمن الكلمات الطنانة والملونة لم يعد يجد لنفسه سوقاً في العالم الاسلامي.. فلقد طرح الاسلام نفسه من جديد وان الجماهير بدأت تعي قضيتها وسوف لن تنخدع بهذه الأحابيل المرتّشة....